

مذكرات الملك عبد الله

طبعة ثانية

مثبت فيها أربعة فصول حول سوريا الصحيحة

مفتريات مجلة الرائد بهي



293132

41

مذكرات الملك عبد الله

SPC
DS

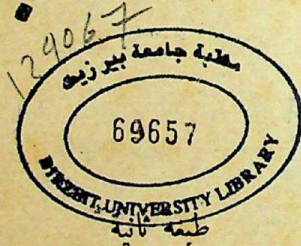
154.53

.A25

A3

1947

RBK



منشورات مجلة الرائد بعمان





حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله الأول
ملك المملكة الأردنية الهاشمية المعظم



عبد الله بن الحسين

الهدايا

أهدت هذه الهدايا لفضيلة
ولا الأخصار بفضله الأبنار لهذه الأمانه
صحيح الرضا والمحمد بواؤ ولأبهم والهدية والهدية
والهدية والهدية والهدية والهدية
والهدية والهدية والهدية والهدية

بمقتضى ابرار دة سديّة

صقروا لطبع والترجمة محفوظه

للحامي امين ابو الشعر

صاحب مجلة الرايد بعمان

كلمة للناس

هذه مذكرات ملك ، صنع التاريخ ثم كتب التاريخ
فالقول أنها جديرة بالبقاء ما بقيت أمة عربية بل ما بقيت
الدنيا ، قول فضول . على أنه ليس فضولا الاقرار بالفضل
وتسجيل الفخر : فانه شرف لا أطمع في أن أنال أرفع منه ،
هذا الذي تفضل فأسبغه علي سيدي ومولاي حضرة صاحب
الجلالة الملك المعظم صاحب هذه المذكرات ، عندما عهد الي
جلالاته حفظه الله فمنحني ان أنشر ما صنع وكتب .

وهذه الطبعة الثانية تشتمل فصولا لم تسعف الظروف لأن
يدرجها الطابع في الطبعة الأولى في حينها ، يجدها القاري مسك
الاحتام في هذا الكتاب ، وهي مذكرات جلالاته حول سوريا ،

التي تواضعت لغة الصحف وشركات الأنبياء على تسميتها «سوريا الكبرى» ، والتي هي في الحقيقة والواقع سوريا الصحيحة ، الطبيعية ، بلاد الشام الواضحة المعالم والحدود في برنامج المغفور له المنقذ الأعظم الملك حسين في ثورته لاستقلال البلاد العربية .

أما ما ظهر في الطبعة الأولى من ملاحق اشتملت على خطاب جلالته في أعياد النهضة وعلى خطاب العرش في المجلس التشريعي الأردني وعلى موجز للتاريخ الإسلامي من قلم جلالته ، فهذه ستظهر في سفر منفرد إن شاء الله .

مد الله في عمر جلالته مولانا المعظم ، وحقق آمال العرب في ابن أبي الثورة وورث النهضة والمنافع عن قضية العرب .

محمد عبد الله

صاحب مجلة الرائد بعمان

فهرس الكتاب

صفحة

١٧	مستهل الحياة
٢٣	نحن ذوو عون
٢٣	هكة ومصيفها
٢٥	الى الآستانة
٣٢	العبرة من التاريخ
٣٥	الاستانة ... اسطنبول
٤١	من اسطنبول الى الحجاز
٥٨	الحج
٦٥	من حوادث الادارة العثمانية المنفرة
٦٧	توجه والدي الى نجد وما حدث في غيابه
٧١	المبعوثية
٧٩	الادارة العثمانية
٨١	غزوة عسير كانت نقطة تحول
٨٣	واقعة قوز أبا العير
٩٣	الرغبة السلطانية والكرامة (حاد الشريف ناصر بن محسن)

٩٨	مع اللورد كيتشنر
١٠٢	رجل من رجال ذلك العصر (الصدر الأعظم سعيد حليم باشا)
١٠٦	أحداث في الحجاز وأحداث في مصر
١١١	في الاستانة .. مع الصدر الأعظم في داره
١١٣	مع طلعت باشا
١١٦	عبد العزيز شاويش
١١٩	مع أنور باشا
١٢١	ثم مع سعيد حليم باشا وطلعت باشا معاً
١٢٣	بين الطائف والاستانة
١٢٤	في الحرب !
١٢٨	الاعتداء على انطليوي عباس
١٣٣	رسالة الى السلطان محمد رشاد أبالامة تقاسرون !?
١٣٦	الاعتداء وقع من الجانب التركي
١٣٨	بريطانيا مستعدة لامداد الحركة العربية خلاصة مراسلات مكماهون
١٤١	الترك يرفضون المطالب العربية الثورة
١٤٧	قبيل العاصفة في الطائف
١٥١	

- ١٥٦ المهجوم على الطائف وحصارها
- ١٦١ استسلام غالب باشا وسقوط الطائف
- ١٦٣ بعد سقوط الطائف
- ١٦٨ مع ستورس ولورنس وبريمون
كيف تراجع الانكليز عن عزيمتهم على سحب
بعثاتهم العسكرية
- ١٧٣ إعلان استقلال البلاد العربية ومبايعة الحسين بن علي
ملكاً عليها
- ١٧٧ إبادة قوة تركية وأسر قائدها
كيف نجحت الخطة في التخفيف عن قوات
الأميرين علي وفيصل
- ١٨٦ لورنس ...
- ١٩١ بعض من عرفت من الانكليز إذ ذاك
وفيهم من خدم أكثر من لورنس
- ١٩٢ الخط الحديدي وسوء حظ العرب
- ١٩٤ استسلام القائد فخر الدين باشا بعد تدرعه بالحجرة النبوية
- ٢٠٦ معركة الخرماء
الملحمة التي غيرت معالم النهضة العربية وتناجها
- ٢١٤ الوهابية والوهابيون ... عرض وتفنيد
- ٢١٨ القلق بعد العاصفة العاتية

٢٢١

حلفاؤنا يتذكرون لنا

كأرو يقول ان لفرنسا من الحقوق القديمة ما لا ينبغي تناسيه ، واللني يقول ان الحلفاء لم يعترفوا بملكية فيصل على سوريا ، واستقالة صاحب هذه المذكرات من وزارة الخارجية العربية اذ ذاك .

٢٢٥

القدوم الى شرقي الاردن

نداء هاشمي من معان يهيب بالسوريين ويتخذهم مهم

٢٣٣

في عمان

٢٣٦

مباحثات مع المستر تشرشل في القدس

بريطانيا تهاليء فرنسا فيما يتعلق بالموقف في سوريا — سوريا — العراق — ابن سعود — فلسطين ، التريث في شرقي الأردن وتشكيل ادارة فيها

٢٤٤

مجلس المشاورين

أول حكومة ادارية للبلاد الأردنية

٢٤٧

مجلس المستشارين

٢٤٨

الى لندن

٢٥١

حادثان هامان

٢٥١

حكومة مظهر باشا رسلان الثانية

٢٥٢

إعلان استقلال شرقي الاردن

خطاب «الامير» وخطاب «المدوب السامي»

٢٥٩

مجلس الوكلاء

٢٥٩

حكومة حسن خالد باشا أبو الهدى

مجلس النظار وأول برنامج وزارتي في شرقي الأردن

- ٢٦١ مبايعة المنتقد الأعظم الحسين بن علي
بالأمامة الكبرى والخلافة العظمى
- ٢٦٥ الحكومة الركابية الثانية
- ٢٦٧ أنا عربي أعيش للامة العربية كلها
(خطاب لصاحب هذه المذكرات بعد الأوبة من
الحج) حوادث وتطورات هامة حصلت في أثناء
الغياب عن البلاد .
- ٢٧٢ تنازل جلالة الملك حسين عن العرش
مبايعة جلالة الملك علي — والحاق منطقة معان
والمقبة بالديار الأردنية .
- ٢٧٣ حكومة حسن خالد باشا الثانية - المجلس التنفيذي
- ٢٧٧ حكومة الشيخ عبدالله سراج
- ٢٧٨ حكومة ابراهيم باشا هاشم
- ٢٧٩ السفر الى لندن
- ٢٨٠ حكومة توفيق باشا أبو الهدى
- ٢٨١ مجلس وزراء بدل المجلس التنفيذي
توفيق باشا أبو الهدى يؤلف أول وزارة لهذا العهد
- ٢٨٣ رد الحكومة البريطانية البرقي على طلبات شرقي الأردن
- ٢٨٥ وزارة سمير باشا الرطاعي
- ٢٨٦ وزارة ابراهيم باشا الثانية
- ٢٨٧ وزارات ومعتمد
بين توفيق باشا أبي الهدى والسير هنري كوكس

٢٩٠

المعتدون البريطانيون

أبرامسون — فلي — كوكس — كركبرايد

٢٩٣

المندوبون السامون

صمويل — بلومر — شانسلور — واكوب —
مكمايكل — غورت

٢٩٦

الجيش العربي الاردني

تأسيسه — نهوه — برقيات تقدير من الجنرال
كلارك والمندوب السامي مكمايكل والجنرال ولسن
والجنرال باجيت

٣٠٣

فتنة العراق

بيان للشعب الأردني ، ملاحظات في رسالة الى
الجنرال ولسن — برقية من الوصي على عرش العراق
خطاب في الجيش — رسالة من نوري السعيد
والجواب عليها .

٣١٣

ونستون تشرشل وبريطانيا العظمى والعرب

٣١٧

حقيقة الوضع في البلاد العربية

استعراض واضح وصریح للموقف العربي العام —
التضافر السوري اللبناني النجدي وتشجيع السياسة
العلياء له — موقف مصر موقف الوسيط في تنفيذ
سياسة مجهولة — وجود نجد في الحجاز هو عقدة
العقد — هل هذا الوضع الحاضر ابن شرعي لجهاد
النهضة العربية — العراق والأردن الهاشميان
وموقفهما ازاء هذا الوضع .

٣٣١

الوحدة العربية و كيف مزقت

لماذا كان الجيش الشمالي العربي يلقي كل مساعدة
— حال غربية تمخضت عن جمهوريتي سوريا ولبنان
المستقلتين — فلسطين وأحزابها واليهود فيها وضياع
الحجاز من أجلها — الجامعة العربية اسم كبير
ودعاية — تعليمات لمندوبي الأردن في مشاورات
الوحدة بهيكل الجامعة — وحدة سوريا قبل أي
اتحاد عربي آخر .

٣٤٣

امتيازات البترول في الحجاز

هل للنازليين في البلد المقدس أن يخلوا بقديسته؟!

٣٤٧

مشروعان لحل المسألة السورية

سوريا الطبيعية بوجه خاص والمسألة العربية بوجه
عام — وحدة سورية واتحاد عربي — أو دولة
سورية اتحادية واتحاد عربي تعاهدي .

٣٥٧

الدولة السورية الكبرى والاتحاد العربي

٣٦١

معالجة المسألة السورية عملياً

الوحدة السورية على أساس الميثاق القومي السوري

٣٦٨

الوحدة السورية مطلب قومي أساسي

ومبدأً جوهرية من مبادئ الوحدة العربية

٣٧٣

سوريا... كيف تستعمل وتدوم وهي مجزأة؟!

...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...

...
 ...

...
 ...
 ...
 ...

...
 ...

...
 ...

...
 ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصحبه وأصلى على نبيه الكريم وأسأله التبشير والهدى

والرحمة والغفران

—*—

هذا دفتر حياتي ، أودعته وقائع أيامي والليالي ، وكفى
بالله حسيباً .

أنا عبدالله بن الحسين صاحب النهضة العربية الأخيرة
وموقف قومه من رقدتهم ومؤسس ملكهم ، بن علي بن محمد
أمير مكة بن عبد المعين بن عون ، وأمي عابدية بنت عبدالله بن
محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن الحسن بن عبدالله ،
وهو الذي تنتمي إليه العبادلة من شرفاء مكة .

ولدت بمكة المكرمة ، وشعرت بالوجود اول ما شعرت
بالطائف وانا أحبو . أذكر ذلك جيداً حينما أنت إحدى النساء
فرأتني وخشيت علي السقوط من الدرج ، فقالت : من أنت ؟
فقلت : انا عبدالله . فحملتني وأدخلتني الى مكان به ظئري .
هذا اول ما أذكر من الدنيا .

توفيت والدتي وانا في الرابعة ، وقد أقبلت على الخامسة

من سني عمري ، فكففتني جدة والدي لأبيه ، وهي الشيخة
صالحة بنت غرم الشهرية العسيلية أم علي بن محمد بن عبد المعين
بن عون ، فذشأتني تذيئة عربية محضة ، وكانت معها بنتها
هيا بنت محمد بن عون عمه والدي ، فروعت بينهما خير رعاية .
وكانت تألف النساء العربيات من قومها بني شهر ، ومن نساء
العشار من الحجاز ، فكنت بينهن أصفى دائماً الى ما يلقينسه
على مسامعي من وقائع وحوادث بين العشار ، ويذكرن ما
جرى من أحوال في عهد الوهابية الاولى ، وما وقع من حرب
حينما دخل والي مصر محمد علي باشا الحجاز لأخراج الوهابية ،
ويذكرن الأيام بين ذوي عون — وهو بيتنا — وذوي زيد
— وهو الفرع الثاني من امراء مكة — ذاكرات أشعاراً
حماسية لا أزال أذكرها .

ثم لما جاء سن طلب العلم ، قرانا على المرحوم الشيخ علي
منصوري — نسبة الى المنصورة بلدة بمصر — وهو شيخ
والدي الذي علمه للقرآن . وكان التدريس على الطريقة القديمة
طريقة إرهاب الطفل وإخافته ، فكانت « الفلاحة » وهي آلة
التهديد ، حيث تجمع اليها رجلا الطفل فيضرب ، ولذلك قررت
منه ومن القراءة والدرس ، فتركت رعاية لسني او لحماية نلتها
من الجدة الكبرى الشيخة صالحه بنت غرم المشار اليها .

فاستأنفت القراءة بعد ذلك بسنة ، في الطائف ، وكان فراري من المعلم بمكة . أما شيخي في الطائف فهو العالم الجليل الشيخ ياسين البسيوني إمام والذي ذلك الحين ، الذي يصلي به وبمعيته وإمامه وهو شريف مكة وأميرها ، ثم إمامه وهو ملك البلاد العربية ، وقد تطف بي وحملني على أن أقرأ بأن اشترط أن يملكني جملاً لفرط حبي للابل ، وبالفعل قد آتني لي بجملة ارتبط في ناحية من الحيز المخصص للقراءة . وكان يعلف وكنت أقوم عند رأسه إلى أن ينتهي علفه . ولهذا فلاشيخ ياسين المرحوم ولذلك الجملة الفضل في زوال نفوري من المعلمين ومن القراءة الابتدائية .

وكان أخي المرحوم الملك علي بن الحسين قد سبقني في الطلب للعلم والدراسة ، وكنت حينما قرأت (الفباء) كان هو قد اجتاز جزءه (تبارك) ، وهكذا ابتدأت . ولما وصلت إلى سورة (المرسلات) الشريفة وبها الآية الكريمة (كأنها جملة صفر) أذكرتني كلمة « جمالة » بالجملة فحفظتها عن ظهر غيب ، فأكرمت بذلك السبب بما يكرم به أمثالي فزاد شوقي إلى التعلم . ولما شرعوا يحفظوننا القرآن الكريم كان الأخ المرحوم الملك علي وصل في حفظه سورة (الاسراء) وكنت قد وصلت في حفظي سورة (الرعد) وكان أخي فيصل

يتحفظ سورة (الاعراف) . أما الشيخ علي منصورى فله
الفضل في تمييز الاصولين في القراءة القديمة والجديدة ، وأما
الشيخ ياسين فهو الذي فتح الله علي بسبب دمايته وحسن
احتياله ، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه .

أما الخط فأول من علمني الشيخ عثمان اليميني ثم الشيخ عبد
الحق الهندي ثم نوري افندي التركي . وكان الأول أشرسهم
أما الثاني فأتقنهم لخطي الثلث والنسخ وأما الآخر وهو نوري
افندي فكان أملكهم لخط الرقعة العثمانية . وكان الشيخ عثمان
يأمرنا ان يكتب كل واحد منا مئة سطر في اليوم للتمرين ،
وكانت لي معه قصة عجيبة فلقد كان رحمه الله دامي اللثى كره
القلم ، وكانت المحابر على الطراز القديم من تلك التي لها أنبوبة
لحفظ الأقلام ملتصقة بها الدواة ، وكان الورق يصقل بمصقلة
بعد ان يمحي ما كتب عليه بالأمس للاقتصاد ، وكانت له عادة
يألفها وهي بثست العادة بالنسبة لغمه الدامي ولثاته المريضة
فكان يلحق الأقلام فتدي هي أيضاً متلوة بدمه فيكتب بذلك ثم
يعيد القلم في المحبرة فيتبها منها هنالك خليط قدر . فعمدت يوماً
الى حوش كان للاغوات — أي الخصيان — فيه مراكن
من الفليفة الحمراء الشديدة الحرارة وأخذت منها قدرأ وضعته
— بعد ان أجدت دقه — في دواة أخي المرحوم فيصل . ولما

كان الغد وجاء بعدي الأخ المرحوم يقدم للشيخ ما كتب وقفت
لأنظر ماذا يحصل ولما ان لعق القلم وجد لذع الفلفل في اللثة
والشفيتين فتألم ثم اشتدت به الحالة فطلب الماء فازداد ألمه وورم
فيه فطلب ان ينظر في الدواة واذا بها الفليفة فأمر بأخي
— عقاباً لما وقع — ان توضع رجلاه في (الفلاكة) فأخذ
يبكي ويقسم انه لم يفعل وأنا قائم أضحك . فقال القيم على
الدرس : ما يضحكك ؟ فهربت لاجئاً الى الجدة الكبيرة
وقصصت عليها الواقع كما هو ورجوتها ان تنجد أخي ، واذا
بهم قد وقعوا على طبعه رجلي عند مركن الفليفة فعرفوا ان
ذلك من عملي ، وقد سمع أبي بما وقع فأرسل في طلبي فاخبتأت
عند جدته رحمها الله ، فحضر بذاته ليحملني الى الشيخ لأعاقب
على جرئتي فرفضت الجدة تسليمي اليه وقالت : إسمع سبب
ذلك . فقصصت عليه الخبر فسرى عنه وأخذ يضحك لما عرف
السبب ، وقر قرارهم على ان يمنحوا الشيخ كسوة جليلة وهبة
نقدية وان يصرف بعد الاعتذار اليه ، فصرف . وقد بلغ الخبر
بعد أيام المرحوم الشريف عون الرفيق بن محمد امير مكة وعم
والذي فطلبني اليه فلما جئته أخذ يضحك ويتعجب من عملي
ويقول : فطنة غريبة عجيبة ! وأمر باحضار الشيخ عثمان
واحضار طبيب الأسنان عبد الغفار ، ولما حضر قال : يا عثمان



صاحب المذكرات في طفولته

تريد ان تعلم أبناءنا الخط وهم علموك كيف تكون النظافة ا يا
عبد الغفار إخلع أسنانه . فأخذ الشيخ بصيح ويستغيث بي
وكان الشريف مزاحاً ، فكافأه بهبة قدرها ألف وخمسة ريال
وأوصاه بان يتداوى .

مجن ذوو عونه

إن عوناً هذا الذي تنتمي اليه الأسرة الهاشمية الملكية ، هو
عون بن محسن بن عبدالله المار ذكره ، تفرعت منه ثلاثة
فروع : فرع مجد وهم أهل الامارة ، وفرع هزاع ، وفرع
ناصر . فأما مجد وهزاع فهما ابنا عبد المعين بن عون بن محسن
ابن عبدالله ، وأما ناصر فهو بن فواز بن عون وهذا الفرع
فيه إمارة الطائف عندما تكون الشرافة في ذوي عون ،
والشرافة في عون هي لبني مجد بن عبد المعين .

مكة ومصيفها

مكة المكرمة عاصمة الاسلام وبلد الله الحرام الآمنة
المطمئنة ، والطائف مصيفها . وبمكة يجتمع المسلمون بسبب
الحج وهو موسم الاسلام . بلد الرفاة والرفاة والصفارة

والايلاف . مصيفها الطائف وما أبهج الرحلة اليه في تلك القوافل المزدانة هوادجها ومحاملها بالجوخ الأحمر والبسط الفارسية الجميلة وما أبهى مراحلها وخيامها والاجتماع بها .

تخرج القوافل عادة من مكة اذا قصدت الطائف بعد غروب الشمس الى الزيماء او سولة المرحلة الأولى كي تقطعها في براد الليل فتصل الى الزيماء او الى سولة بعيد الشروق فتجد خيامها وقد بنيت على العين وسط البساتين الخضراء فتقضي بها زهاء سبع ساعات ، ثم تسافر بعد الظهر بثلاث ساعات آمة المرحلة الثانية وهي ذات عرق تعرف اليوم بالسيل ، وهذه المرحلة في طرف السراة ، حكمها حكمه في لطافة هوائه وبرده وشجره ، فتصل الى السيل مع الشروق ، والسيل هذا نهر يجري دائماً ولا ينقطع ، وبعد ان تأخذ القسط من الراحة وتعلو الدواب وتتغدى يستأنف السفر بعيد الظهر فتصل الطائف قبل الصبح وهي أطول مرحلة . وفي القفول من الطائف الى مكة يكون السفر منه في ضحوة النهار ليدخل المسافرون مكة في منتصف الليل بعد مسير يومين . وفي هذه المرحلة المتعة الممتعة للصبيان فيكون أنواع وسائل السفر من جمال عرب عليها المحامل الظريفة الى بغال فارهة وخيل أصيلة وذلائل عمانيات ، او ركاب أحرار عليها رحال الميس ، وفوق هذه الفرصة التححرر

من الدرس .

أقمنا على هذه الحالة ، من طلب للدراسة الابتدائية ورحلات مسرة ، حتى عام ١٣٠٩ فطلب الوالد الى الاستانة لاختلاف حدث بينه وبين عمه أمير مكة المرحوم عون الرفيق بن محمد ، وهذا ختمت الدورة الأولى لي ولأخوتي في وطننا الحجاز الأقدس الذي لا شبيه له في الأوطان لنستأنف الدراسة في الاستانة عاصمة آل عثمان .

الى الاستانة

في اليوم السابع عشر من شباط سنة ١٣٠٩ مالية سافرنا من جدة في الباخرة « عز الدين » وهي باخرة جميلة منسقة ذات دواليب من الجنين وليست من البواخر ذات الرفاس . وكنا نحن الاخوة علي وعبدالله — صاحب هذه المذكرات — وفيصل في رعاية الجدة بزجهان والدة الوالد ، وحرم الشريف عبد الآله بن محمد أمير مكة المكرمة المشهور والمعروف ، وكانت العائلة مركبة من اثنتين وثلاثين سيدة وأتباعها ، فوصلت الباخرة الى السويس يوم عشرين من الشهر وهو أول سفر لي في البحر . وكانت حالة البحر ليست بالهادئة ولا بالهائجة ولقد أصاب الدوار جميع الهيئة المسافرة في اول يوم ثم أخذ

يتناقص . وأما الرحلة في ترعة السويس فكانت ممتعة صريحة ،
ولقد كرهت نفوسنا الزاد والخبز الأبيض ، ولولا الضرورة
لما تناوله أحد .

وقد أمضت السفينة ليلة في البحيرة قرب الاسماعيلية ثم
استأنفت السفر الى بورسعيد وبها تجلت لنا الحالة الجديدة ،
فكان من المستغرب ان نرى النساء المسيحيات سافرات . فرست
السفينة في الميناء فتزودت بالفحم اللازم وتزودنا نحن أهل الحجاز
بملايس شتوية ثقيلة ، ثم سافرت نصف الليل قاصدة أزميز
وكان البحر في غاية الهياج والجو ماطراً فكانت تجري في موج
كالجبال لا يستطيع الانسان معه ان يسير او يقف على قدميه ،
فاضطرت السفينة الى التعرّيج على ميناء ليماسول في قبرص
ووصلت الى هذه الميناء بعد اثنتين وسبعين ساعة ، فأقامت هناك
خمسة عشرة ساعة ، وانتهى العاصف فسافرت من ليماسول
والقصد أزميز ولكن عندما مررت بجزيرة رودس عصف البحر
وهاج فعرجت على ميناء مرمريس ، وكان أبهج محل رأيت في
تلك السياحة جمالا وروعة تحف بتلك الفرضة جبال شاهقة
وقرى لطيفة . وبعد ان رست السفينة حف بها زوارق صغيرة
من البلدة يبيع أهلها العسل الطيب ولبن الزبادي والتفاح وأبا
فروة والفندق ، ثم سافرت السفينة في اليوم التالي زلم تتف

بأزمير بل استمرت في سيرها ووقفت بميناء الدردنيل فانزلت
 منها بعض المنفيين من الحجاز الى أزمير ثم سافرت وكان
 وصولنا الى الاستانة في الليلة السابعة من ذلك الشهر ، فرست
 جوار كوم كبو باب الرمل .

ثم سافرت السفينة مع الفجر وربطت في مراسها أمام القصر
 السلطاني ، واذا برأس صغير هنيء لیتقلنا الى الدار الساحلية
 بقرية امير كان بالبوسفور ، وبها عبد العزيز افندي مدير دائرة
 المرحوم الشريف عبد الآله بن محمد عم الوالد الاصغر ، فانتقلنا
 اليها ثم الى المنزل فبلغناه بعد ساعة والتقىنا بالوالد المرحوم فكان
 لقاء مؤثراً ، ثم أمر بان نسرع الى زيارة عمه المشار اليه وصحبنا
 اليه السيد حسن عرنوس رئيس دائرة الوالد المرحوم ، ولما
 وصلنا رأينا وقد خرج من دائرة الحرم يسير الى دائرة الرجال
 وهو ربعة من القوم متواضع مائل الرقبة الى الأمام عريض
 الجبين كث اللحية أشبهها أشم الأنف ، له منظره مثبتة الى أنفه
 بقراص أنفي ، فأخذ يقبلنا واحداً واحداً ثم انهملت عيناه
 بالدمع يبكي ذاكراً الوطن ، ثم أضحكته بسؤال عجيب وهو
 قولي : يا سيدنا ما هذا الخشب المهذب المقطع الموضوع في هذا
 الصندوق ؟ إشارة الى حطب (الصوبة) فقال : هذا الحطب .
 فقلت : الحطب في الحجاز ليس كهذا بل هو ملتو معوج دقيق

العيدان ، إما من السلم او من السيل . فاحتضنتني وضحك وهو يبكي .

ومن أغرب ما استرعى أنظارنا نحن الصغار ، البوسفور ومبانيه الساحلية وتلاله المكسوة بالأشجار والسفن البحرية للشركة الخيرية التي تنقل الناس من البوسفور وقراه الى الاستانة والبحر ومنها الى آخر البوسفور مارة بكل قرية من قرى الساحل معرجة عليها او مجتازتها . أما مفتان الاستانة وجمالها فهو يجوز الحصر والتحديد ، في المواسم كلها : من ربيع وصيف وخريف وشتاء .

أما إقامتنا باسطنبول فكانت إقامة جبر وإكراه وإقامة تعلم وعبر ، وبالرغم عن ان السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله لما قبل والدي في حضرته يوم وصوله الاستانة قال له انه إنما استداه لينشئه ويرجو منه ان يخدم الدولة ويخدمه ، وبالرغم عن أنه عينه عضواً في شورى الدولة وأمر بان تهيأ له دار ساحلية في البوسفور وتفرش ، فقد كان في الحقيقة ورغم هذه الاعتبارات أخذ الى الاستانة نقياً وتفريباً بناء على معارضته سياسة الظلم والاعتساف بالحجاز وأخذ الأموال الطائلة من الحجاج بشتى الاسباب ، تلك السياسة التي اختطها ولاية الحجاز والامير عون الرقيق ، فقد نفي أثر أخذ الوالد الى الاستانة كل

من العلماء الاعلام : الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة المكرمة الأكبر ، والشيخ عابد مفتي المالكية بمكة المكرمة ، والسيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة ، بان أخرجوا من الحجاز وطلب الى صاحب مفتاح بيت الله الحرام الشيخ عبد الرحمن الشبلي ان يسكن بالهدى .

وبعد ذلك تقام الظلم بالبلاد المقدسة الاسلامية ، ووقع من الاستيلاء بشقى الصور الخزية على أموال الحجاج مع عدم الأمان مما أ كسب الظالمين الوزر وعدم التمتع ، فتشتتوا هم وذواربهم أيدي سبأ وحق بالسلطان وبدولته الدمار .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى عن البيت الحرام (ومن يرد فيه بالحد بظلم نذقه من عذاب أليم) . فليعتبر كل سلطان او ملك يمتحن بالخدمة هناك بهذا ، فان الحسنة هناك تضاعف والسبئة تضاعف .

أما الأخوة الثلاثة (علي وفيصل وأنا) فقد تعلمنا على أيدي معلمي خواص ، علم العربية والتركية والعلوم العسكرية وإن من جملة الانقلابات الكونية والحروب الطويلة التي مضت وقيدها التاريخ ونحن هناك ، حرب الصين واليابان حيث انتصرت الأخيرة ، وحرب الحبشة والطيالان وكانت الغلبة للنجاشي منكم ، وحرب الأسبان والامريكان وقد غلبت

الآخرة فأخذت جزر هوانة والفلبين ، وحرب الترك واليونان
وكانت الغلبة للسلطان ، وكانت الاضطهادات في اليمن ودفاع
الامام وقد تغلب مرة واستولى على صنعاء ، ثم حركة حزب
الاتحاد والترقي والاتقلاب الدستوري وعزل الشريف علي بن
عبدالله أمير مكة مع من عزل من خواص السلطان ووزرائه
وولاته وتعيين الشريف عبدالآله بن محمد أميراً على مكة وارتماله
الى الجنان قبل سفره ، ثم سعي حزب الاتحاد والترقي لتنصيب
الشريف علي حيدر بن جابر بن عبدالمطلب بن غالب ، وسعي
أنالدي والذي للمطالبة بحقه من الامارة من حيث أنه الأحق
الأكبر وإقناعي له بعد جهد وقبوله تسطير مذكرة بهذا الطلب
الى جلالة السلطان بواسطة الصدر الاعظم كامل باشا .

وكانت هذه المذكرة المثبتة ترجمتها الى العربية هنا وهي :

بناء على وفاة عمي الشريف عبد الآله بن محمد أمير
مكة بعد عزل ابن عمي الشريف علي بن عبدالله بن
محمد وخلو مقام الامارة ولكوني أسن العائلة الهاشمية
وأحقها بمقام الآباء فاسترحم جلالة السلطان أن
يتكرم بايصالني الى حيي الذي لا يخفى على جلالته مع
صداقتي واخلاصي .

وأخذت المذكرة بنفسني وذهبت بها الى الصدر الاعظم كامل
باشا ودفعتها اليه ، فلما قرأها سألتني : هل انت أكبر أنجال

الشريف حسين ؟ فقلت : كلا ، بل أنا الثاني والاكبر هو
 الشريف علي بن حسين . فقال : ولم لم يحمل هذه المذكرة هو ؟
 فقلت : إنه لا يزال يشتغل بمآتم العم الاكبر ووالد زوجته
 الامير عبد الآله رحمه الله ، فقال : أقبل أنامل والدك وأطلب
 اليك أن تبلغه بأن حقه لا يضيع ان شاء الله . فخرجت شاكرآ
 وأنا في شك مما قال ، فكعبت نسخة برقية الى مقام السلطنة
 وهي هذه :

نظراً لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة
 ولكوني صاحب الحق فأنني انتظر من الاعطاف
 السنية السلطانية عدم حرمانني حتي وتعييني في مقام
 آبائي .

وعنوانها بثلاثة عناوين للعرض على السلطان : (بواسطة
 الصدارة العظمى الى الأعتاب السنية) و (بواسطة مشيخة
 الاسلام العليا الى الأعتاب السنية) و (بواسطة رئيس كتاب
 القصر السلطاني الى الأعتاب السنية) .

وحضرت الى الدار وأنا أحمل ما كتبت فقلت لوالدي : إن
 الصدر الاعظم يقبل أناملك ويقول إن شاء الله لا يضيع لك
 حق ، وإنه لمن المناسب إبراق برقية الى جلالة السلطان بهذه
 العناوين . وفي تلك الليلة وبعد ان أبرقت البرقية وردت برقية

من رئيس كتاب القصر السلطاني يقول فيها : إن حضور
والذي يوم غد في الساعة الثالثة صباحاً مرغوب فيه لدى جلالة
السلطان (الساعة غروبية) .

ولقد توجه الوالد المرحوم الى القصر السلطاني حسب الوقت
فعين أميراً على مكة وعاد بعد الظهر وهو صاحب مقام أباه .
وكان من هذا التعيين ان أغضب حزب الاتحاد والترقي عليه
— أي على والذي — فكان مبدأ الخلاف بينه وبين كل حكومة
اتحادية حتى وصلت الحالة من ذلك الاختلاف الى حين ترؤسه
رحمه الله حركة النهضة العربية في الحرب العامة السابقة ، على
ما سيحي .

العبرة من التاريخ

نشير الى من يتصفح ملخص التاريخ الاسلامي ، ان للظهور
والاعتلاء أسباباً ، كما ان للتدني والتضعف والضياع أسباباً .
أما أسباب الظهور والاعتلاء فالإيمان والجماعة والتنفيذ والأمانة
في الرئاسة ، وأما أسباب التدني فهي في التفرقة واختلاف
العقيدة والحسد والتدابير . فداء العرب الاساسي هو الترف
والعصيان على الامراء ثم الخروج عليهم ، ودليل ذلك خروج
من خرج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فان

العرب بالخروج عليه قد فتحت عليها باب الفتن والانتكاس ،
 وللعرب عدو آخر وهم اخوانهم من المسلمين غير العرب ودوافعهم
 القومية ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة
 حتى يسلب أمتي حقهها قوم فطس الأنوف كأنما وجوههم المجان
 المطرقة »

وكذلك ملوك الطوائف والدول الاسلامية ، كدولة بني
 سلجوق ودولة آل عثمان ، أعداؤهم حسد الامراء والخروج
 على السلطان وفساد الجند . ولقد جاء في ذكر السلطان عبد
 العزيز بن محمود خان الثاني أنه خلع لأنه بذر أموال الخزينة ،
 وقد أفتى بخلعه شيخ الاسلام خير الله افندي بجوابه (يجوز)
 على السؤال الذي قدم اليه من مجلس الوزراء ونصه : (اذا كان
 زيد امير المؤمنين بذر ما في بيت المال من حقوق المسلمين وعمل
 فيها بالهوى فهل يجوز خله ؟) فأجاب يجوز كما قلنا . ولكن
 كان السبب الأصلي لخلعه والقضاء على البيت العثماني بأجمعه
 إعلان الحكم الجمهوري . ففي المدة التي كان فيها السلطان مراد
 الخامس في حالة الجنون دعت الحكومة أمراء البيت العثماني
 المذكور لضيافة أقامها الغرض منها الفتك بأل عثمان . وقد نسي
 الخبر على حقيقته الى السلطان عبد الحميد الثاني قبل جلوسه فاعتذر
 ولهذا لم يظفروا بمرادهم . وكان رأس هذه الفئة الصدر الأعظم

احمد مدحت باشا ، و كانوا على عزم ان يبايعوا الشريف عبد
المطلب بن غالب امير مكة الاسبق خليفة للمسلمين لو تم القضاء
على آل عثمان . وقد شهدنا جميعاً تنفيذ هذه الخطة وإقصاء آل
عثمان بعد إعلان الجمهورية في تركيا على يد مصطفى كمال باشا .

وما العرب الا بالاسلام وكان من الحق عليهم ان يسعوا الى
استعادة مجدهم وحقهم وخلافتهم . فالثورة العربية الاخيرة التي
قام بها المنتد الأعظم رضي الله عنه ومن معه من عطاء الحجاز
وبافتاء علمائهم وانضمام عطاء الشام والعراق اليهم ، ثورة حق
للدفاع عن الاسلام ثم لتبوء العرب المقام الذي خصهم الله به ،
حيث قال في كتابه العزيز (كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فعسى الله ان يقيض لهذه
الامة من يعرف موضع الداء فيها فيحسمه ، وكيفية الدواء
فيستعمله قبل ان يقال : واحرباه وواعرباه . . .

لقد كان الانقلاب الجمهوري مطمع أنظار الشباب الترك من
عهد مدحت باشا ، وخفي عليه ان السلطنة العثمانية لم تصل في
حدودها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً الا بعد ان انتحلت صفة
الخلافة ، وانه بانسلاخ هذه الصفة عنهم ينسلخ العرب بطبيعة
الحال . ألسنت ترى انهم اليوم أقوى منهم بالأمس واكثر منهم
نظاماً وتجديداً ؟ ولكن أين شهرتهم بالأمس وتأثيرهم يوم كان

سلطانهم أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين ؟ لقد تضاعفوا
اليوم وصغروا وقد تضخموا بالامس وكبروا ، لذلك أقول
ان الشيء اذا خرج عن أساسه فسد .

ونحن اليوم ، أي الأمة العربية ، كجسم بلا رأس ، أو
كجسم له رؤوس كثيرة ، فالجسم الذي لا رأس له فهو حيران
لا يهتدي سبيلا ، والجسم الذي له رؤوس كثيرة كذلك هو
ضال متحير لا يدري يتبع أي رأس من هذه الرؤوس . وقد
قال الله سبحانه وتعالى في رده على مزاعم أهل الشرك وفي معنى
السماء والارض (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولذهب كل
إله بما خلق سبحانه الله عما يصفون) فالعرب هذه صفتهم اليوم
ذاهب كل رأس من رؤوسهم الى حيث يريد ، وفي شتات
الناس ضياع .

الاستاتة .. اسطنبول

أما خاطراتي عن الاستانة يومئذ ، واسطنبول اليوم فخاطرات
تجاذب وتدافع بين العصبية الاسلامية والنخوة القومية . فان
قلنا نحن وانتم أهل الاسلام قالوا نعم ولكن نحن السادة وانتم
التبع . وان قلنا نحن وانتم قالوا خنتم وخرجتم . فالصلاة
صلواتنا ، والكتاب كتابنا ، والشهادتان أصل ديننا ، والزكاة

اشتراكتنا ، والصوم رياضتنا ، والحج الى بلادنا ، ولكن
 يؤمن رجال لا يدرون معنى ما يقرأون ولا يفقهون مرامي ما
 يتلون . ترى العالم العلامة من العرب يؤمه من لا يحسن اللفظ
 العربي ولا الأصل الفقهي ، كذلك كانت الحال : ذل في عز
 وعز في ذل ، ومسكنة في ظهور ، وظهور في مسكنة .
 وقالوا «لولا فصلت آياته أعجمي وعربي» كذلك كانت الحال .
 أما الاستانة فرائع جمالها ، مقبول صيفها وشتاؤها . ما
 اجمل ربيعها واكثر ثمارها وأسهل مناخها ! جميلة حوت الجمال
 وحسنا فتنت الرجال ، دار الخلافة جمعت فأوعت : تركي
 وعربي شركسي وكردي ألباني وبلغاري مصري وهندي ،
 فيها كل أجناس المسلمين على مختلف أزيائهم وألوانهم فلا غربة
 ولا غرابة ، يجد الانسان كل ما أراد من أي البلاد .

ولقد زعم الناس أن عبد الحميد كان ظالماً . لقد كذب الناس .
 والله لم يكن بالظالم ولكنه الحذر المتحوط . واتمد عرف بعدد
 أن ذهب انه لم يقتل أحداً ولم ينفذ حكم إعدام في محكوم أبداً
 إلا مرة واحدة ، والبقية يتركون في السجون حتى يدركهم
 الموت . وأما الذين ينفون من بلادهم الى اسطنبول او من
 اسطنبول الى الخارج ، فهم اولئك الذين عرض عليهم أنهم أهل
 خلاف عليه او على سلطانه فيخرجهم الى مكان لا يعرفون فيه

فيقي دولته بذلك التدبير الفتن كما ظن وزعم. ولئن أحصى الناس ما وقع بعده من صلب وتشريد وإدارات عرفية ، وصولات في شام ويمن من الحكومات الاتحادية ، لعلم ان ظلم عبد الحميد بالنسبة الى أفعالهم كان عدلا محضاً .

بعد وصولنا الى اسطنبول بخمسة عشر يوماً عين لتعليمنا بإرادة سلطانية الملازم الثاني صفوت افندي العوا ، معاون معلم فن العمارة والهندسة بالمدرسة الحربية ، وكان بين الخامسة والعشرين والثلاثين من سنه . فابتدأنا دروسنا الجديدة على الطراز الجديد ، وحظر علينا الكلام باللغة العربية ! أما الدروس فهي هذه : اللسان التركي ، الجغرافيا ، الحساب ، مختصر التاريخ العثماني والاسلامي ، الصرف العثماني ، القراءة بالتركية ، وظيفة تقرأ بصوت جهير . وكنا نتمم القرآن الكريم على يد الوالد ، وكان يعلمانا العربية الشيخ محمد قضيب الباز وهو رجل أزهرى وأصله حلبي ، ثم جي بشيخ آخر اسمه محمد توفيق افندي يعلمانا حسن الخط . وبعد عامين وظف لتعليمنا الاديب العالمي التركي محمد عارف باشا .

وكان أشدهم علينا صفوت افندي العوا ، وقد ترقى في خدمة التعليم هذه حتى أحرز رتبة قائد (بكباشي) فصار صفوت بك ثم رقي الى رتبة لواء في العهد الهاشمي ، جزاه الله وجزاهم عنا

جميعاً خير الجزاء ، فنعم المؤدبون هم . وأما محمد توفيق أفندي فقد توفي ، وأما الشيخ محمد قضيب البان فقد أتهم تهمة سياسية وطلب اليه ان يغادر الاستانة فغادرها وكان ذلك العهد آخر عهد لنا به . وأما عارف باشا فوالدته رضية الوالد المرحوم ، فهي عممتنا رضاعاً ، وقد توظف في دار الآثار التركية ورفي حتى حاز الكتابة الأولى هناك ، ثم بدت حاجة الخديوي عباس حلمي باشا رحمه الله الى شخصية معتمدة في الديوان التركي الخديوي ، فأوصيته به فعينه بديوانه وكان لا يزال معه حسب ما أعلم الى ان توفي الخديوي المرحوم ، وما كان بيني وبينه من صدق موروث ومحبة مؤكدة أمر لا يخفى على أحد .

هذا وان كل سني إقامتنا باسطنبول كانت سني عبيرة واستفادة وكنا نجتمع بمن بها من الأشراف أهل الحجاز ، ولنا أصحاب من أعيان الترك وأشرافهم . وكانت لنا باسطنبول رحلتان صيفية وشتوية ، ولا يعمل الانسان من ذكر المواسم وخصوصاً مواسم الصيد المائي والبري ، يعلم ذلك من عاش هناك . أما السلطان فهو محتجب إلا عن خاصته لا يخرج من قصره في غير أيام الجمع والاعياد ، مهاب محترم ، عليه تعلق الآمال ، وقد جعل الله تصريف الامور على يده . وأما الباب العالمي والوزارة العثمانية فيبدها ممارسة أمور الدولة بالشكل العادي ،

وما ارتفع عن ذلك فآلبت فيه للسلطان حيث لا يكون أي تبديل
 او عزل في ولاية او متصرفية او مشيرية او قيادة فرقة او
 قيادة لواء الا بعد عرض ذلك مع تبين الأسباب والموجبات .
 وانه يمكن القول بان السلطان عبد الحميد كان آخر سلاطين
 المسلمين علواً ورفعة . وأشبه ما حصل بعد خلعه للمسلمين بما
 حصل للمسلمين عندما وثب أهل الكوفة وأهل مصر على أمير
 المؤمنين عثمان بن عفان ، فان كان عثمان هو الباب الذي كسر
 بين الفتنة والناس ، فان عبد الحميد كان الباب الثاني الذي كسر
 في العصر الاخير بين الفتنة والناس أيضاً . والله تصريف الامور
 وله الدوام والعزة .

كان في عهدنا بالأستانة من عظماء العرب ، الشريف عبد الاله
 ابن مجد ، والشريف الحسين بن علي بن محمد صاحب النهضة ،
 والشريف حيدر بن جابر بن عبد المطلب بن غالب ، وعمه الشريف
 أحمد عدنان بن عبد المطلب بن غالب ، والشريف جعفر بن جابر
 ابن عبد المطلب بن غالب ، والسيد فضل أمير ظفار وأبنائه ،
 والسيد محمد ابوالهدى الصيادي نقيب حلب ، والسيد أحمد أسعد
 المدني وكيل الفراشة السلطانية بالمدينة المنورة ، والشيخ محمد
 ظافر الطرابلسي المغربي النقشبندي مرشد الحضرة السلطانية
 وبنوه ، وكان السلطان يقبل عليهم جميعاً ويرعى جانبهم ،

وغير هؤلاء آخرون لهم مصالح يحضرون من أجلها ثم يعودون
 الى بلادهم . الا أنه لا يمكن لأحد ممن ذكرت أسماءهم الرجوع
 الى اوطانهم او الى بلد آخر البتة ، فكانت اسطنبول السجن
 المحترم او منفي العزازة والاكرام هؤلاء الاشخاص الكرام .
 ومن طريف ما نذكر فرار أهل الخلف على جلالة السلطان
 والمرجعين بادارته . فكان الفرار الى اوربا وسيلة لجر المغانم .
 فاذا فر أحد كراد بك المؤرخ المعروف الى باريس ، او كأحمد
 رضا بك الانكليزي رئيس مجلس المبعوثات أخيراً اليها ، او
 نزوح الداماد محمود باشا ، كانت اسطنبول تقوم وتقعده في
 همس وتحافت : هل سمعت فر فلان .. هل علمت ان جيران
 فلان الذي فر أخذوا للتحقيق ... وكان ذلك السلطان العظيم
 المرأة يقلق جداً لفرار الشخصيات ، لا لهيبتهم في ذواتهم ،
 ولكن لتساؤل الناس ما السبب ما السبب . وفي الحقيقة أنه
 كان يعمل بحسن نية و إخلاص فهو إن كان من المخطئين فلم
 يكن خطؤه الا في اجتهاده .

عبد

من اسطنبول الى الحجاز

للتفت الى السفر من اسطنبول الى الحجاز حيث تجهز الوالد
 المرحوم بعد ان وصل الى مقام الامارة باسبوعين على الباخرة
 المسماة (طنطا) وهي إحدى بواخر الشركة الخديوية حين ذلك
 وقد قابل السلطان عبد الحميد يوم سفره مودعاً واختلى به اكثر
 من ساعة ونصف . وكان حزب الاتحاد والترقي يحاول
 الاستحواذ على الحكم بعد ان ظفر بما أراد من انقلاب دستوري
 بتولية المناصب كل من ينتمي الى هذا الحزب . وبالطبع فان
 فريقاً من الناس الذين يتمسكون بما ألقوه لم يكونوا راضين بما
 هو حاصل وكانوا يقولون : هل المستقبل بأيدي من لا خبرة لهم
 في الأمور أضمن من الماضين الذين في أيديهم الألف السابق ؟ .
 وقال لي والدي ان السلطان عبد الحميد قال له : أسأل الله
 أن يجازي من حال ببني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية ،
 وانني لست بالأمين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة . قال
 فاجبته : إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية الفئة التي اذا تحيزتم
 اليها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك ، ومتى شعرتم
 جلالتم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض
 هو الحجاز ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (المدينة خير لهم

لو كانوا يعملون) ولو فعلتم جلالتم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم
 لجيت اليكم الاموال ولاخضعت لكم رقاب العصاة لأنكم تكونون
 حين ذلك فوق متناول أيديهم . قال فاغرو زقت عيناه وأجاب :
 أشكرك أشكرك ، بارك الله فيك ، ولكن الوقت لم يحن ..
 ثم وضع وسام الافتخار المرصع بيده على صدره وودعه . وكان
 حضور الامير الى الباخرة تأخر كثيراً ، وعند وصوله حضر الى
 الباخرة الصدر الأعظم كامل باشا مودعاً ومقدماتاً اليه مذكرة
 يقول فيها :

ان الخطة المباركة الحجازية مربوطة رأساً بمقام
 الخلافة العظمى . وانه لا يسري اليها ما يخالف
 الحقوق المقدسة - بمناسبة الدستور الجديد - القائمة
 بين الامارة الشريفة والسدة السنية السلطانية .
 فقوموا بواجباتكم السامية على أساس التعامل القديم
 وفقكم الله للخير . وإن اعتماد الحضرة الملوكية
 والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لا يحتاج الى
 تأكيد . وهذا اول نضال بين السلطان ومتغلبة
 الاتحاد والترقي ، وأول علم أعطي لأمير شريف
 ليكون السبب في اشتغال هؤلاء بمدعيات قديمة
 تركز مقام الخلافة والسلطنة وتدغمها . فانهم .

ولما خرج الصدر الأعظم أقلعت الباخرة ليلا في شهر
 تشرين الثاني ، شهر أوائل العواصف الشتوية . وكانت ليلة

لا بأس بها فالبحر لم يكن بالهادي الساجي ولا بالهائج المائج .
وكان في المعية الفريق عمر شاعر باشا المرافق السلطاني يحمل
الفرمان ، وكذت أنا في المعية والشريف دخيل الله العواجي
والشريف محمد الشنبري ومدير الحرم الشريف المكي حافظ أمين
افتدي ومعاملنا صفوت باشا العوا ومحمد شاعر افتدي إمام الامارة
ورجال الحاشية . فاجتازت السفينة الدردنيل بعد ظهر الغد وبعد
أن خرجت الى بحر ايجاج البحر هياجاً لعارض هب كثير
الرعد والبرق والمطر وهي تجري في موج كالجبال . ولم يتمكن
الكثير من المعية من الصلاة إلا وهم جلوس . وكانت الحالة على
ما وصفت الى ان وصلت السفينة مضائق أزمير حيث تضاءل
الموج وأما العاصف فاستمر كما هو فرست السفينة عند الرصيف
وزار الوالي الأمير والقائد أيضاً ثم سافرت السفينة في اليوم التالي
في بحر هادي وجو حسن استمر الى أن أقبلت السفينة على
طرابلس الشام فهاجت الريح وعصف البحر . وكانت بقية
ليل موحش انتهى بالوصول مع السلامة الى طرابلس حيث
طرقت ممعى النداءات العربية الحبيبة ورأيت النخيل وشاهدت
المباني العربية ، فأحسست بشعور غريب يقول : هؤلاء قومك
ومعشرك .. وأحسست بشعور بين البكاء والضحك . ثم
سافرت الباخرة بعد سبع ساعات الى بيروت وقد زار رئيس

البلدية والمتصرف سيدنا المرحوم في الباخرة . أما بيروت فوصلنا إليها عند آخر الليل وأقامت بها السفينة الى ما بعد الظهر، وكانت بيروت ليست كما هي الآن ظلت وعليها مساحتها الشرقية في اكثر محالها . فخرجت باخرتنا منها في الساعة الثالثة بعد الظهر متوجهة الى بورسعيد ، بعد أن أبرق المرحوم برقيتين الى المدينة المنورة : واحدة الى الشيخ يوسف خشيرم « وصلنا بيروت وجهنا اليك وكالة أشغالنا الخاصة » والأخرى الى الشريف شجاد « وصلنا بيروت متوجهين الى جدة وجهنا اليك إمارة المدينة توجه بأشراف طرفكم ومشايخ حرب وجهينة الى مكة المكرمة »

أما البحر فكان في هياج . وقد حصل ساعة خروجنا حادث غريب وهو انني صعدت الى برج السفينة في مؤخرتها ومعني أخي زيد وعابدين بن الشريف دخيل الله العواجي وهما بعد صغيران في الثامنة من عمريهما ، وبينما نحن ننظر الى البحر وجبال لبنان واذا بأحمد افندي بن محمد افندي مدير الحرم يقف خلفي وقد مد كلتا يديه وأخذ الغلامين من محزميهما رافعهما الى السماء وهو يقول : يا سيدي عبدالله ماذا تصنع لو قذفت بهما الى البحر ؟ فبهت . واذا به ينظر الى صاري السفينة ثم يترك الولدين ويتجه الى السلم الحبل يأخذه صعداً الى الصاري ويقول :

ياسيدي عبدالله أنا صاعد الى سيدي عيسى بن مريم أنظره في
 منتهى السلم يدعوني .. فأشرت لأخي وزميله بان يفرا . ففرا .
 وأمسكت برجليه وهو يقول « اتركني » وينظر الى فوق
 ويقول « ياسيدنا عيسى مره يتركني » ثم ينظر الي ويقول
 « والله ان لم تتركني لأهشمن أسنانك بما في رجلي » واذا
 بأحمد افندي الياور وثلاثة بحارة يصلون الى حيث نحن فأمسكنا
 به وتجازبناه كلنا ووالله لم نأخذه حتى كاد يعيننا ، ثم أخذوه
 وأنزلوه الى أحد عنابر السفينة لثلاثا يؤذي أحداً او يتأذى هو
 وقد رآه الطبيب فقال ان مسأ في عقله . فاستمرت سفينتنا بعد
 هذا الحادث في بحر شديد الرياح والأمواج فلم نصل ببورسعيد
 الا في الليلة الثانية بعد الصبح بثلاث ساعات ، فرست ببورسعيد
 وقدم الى السفينة الشيخ عبدالله باناجه باشا ومعه أخوه أحمد
 افندي باناجه ولكن لم يتمكن من الصعود الى السفينة لمناسبة
 الحجر الصحي . ثم تبادل المرحوم البرقيات مع المرحوم الخديوي
 عباس فتحررت السفينة من بورسعيد ليلا الى السويس ومنه
 رأساً الى جده .

وكان الوصول في اول اسبوع ذي القعدة سنة ١٣٢٨ فرست
 السفينة وبعد رسوها وإتمام المعاملات أقبلت السنايك الشراعية
 نحو السفينة وفيها مئات الرجال من شركاء وعظاء ومشايخ

عربان فكانوا يدخلون على المرحوم وكلهم دامع العين شوقاً
وسروراً . أما الشرفاء فمن آل محمد بن عون : محسن بن عبدالله
ابن محمد بن عبدالله بن عون وأخوه عبدالله ، وجميل بن ناصر
ابن علي بن محمد واخوته عبد المعين وزامل . ثم كان يتقدم
أشراف الطائف الشريف زيد بن فواز بن ناصر وابنه عبدالله
وابن أخيه شرف وبنوه حمود وشاكر وعلي . ثم كان هناك
من الفعور الأشراف : حمزه بن عبدالله ومستور . وكان
الشريف فتن بن محسن . وكان من أشراف تهامة : الشريف
أحمد بن منصور ، والشريف شرف بن عبد المحسن ومحمد بن عبد
المحسن وناصر بن شكر وسائر ذوي حسين . ثم شرفاء
المضيق الحرث ومشايخ حرب وهذيل . ومن العلماء مفتي مكة
المكرمة الشيخ عبدالله سراج يتقدم العلماء كلهم . ثم من لا
أعرف من الناس . وإن أنس لا أنس ما كان يردح به مقدم
بيشه ، حيث قد نبأ بردحته عما حصل بعد « أطرد الخوان
وأسلم وباعد من شرد يا ملك مكة ويا سلطان جميع العرب »

كانت الإقامة في جدة ثلاثة أيام وكنا في الاحرام حيث
أهلنا من محاذاة الجحفة في البحر ، فصحرك الركاب الأميري
بعد صلاة العصر قاصداً (بحره) وكان الركب يمثل جلال
القومية في روعة وهيبة ، فلا تقع عينك إلا على عربي فالركاب

والخيل والأزياء والأدب عربي هاشمي . ولما اتسع المجال في
النجبت خبت جده أخذ الفرسان يظهرن أنواع التمارين على
خيولهم مثنى وجماعات فسار الركب العظيم على تلك الحالة الى ان
وصل الى الرغامة وهو اول حد الجبال من خبت تهامة ، فنزل
الوالد وصلى المغرب وكان على جواد أشقر (كحيلان النواق)
فطلب حين أراد الركوب إحدى الركائب العمانيات — نسبة
الى عمان — فقدمت اليه ناقة كريمة من خيار عمانيات الحجاز
تسمى (غروة) ولما وضع ركبه على الرحال قال « تعود لجداها
ولو قرحت » . ثم ركبت أنا أيضاً ذلولاً عمانية اسمها (الشرفاء)
فسار الموكب على بركة الله ، وكانت الشريف حمزة الفعر
المعروف بالثرثرة الى جنبي ، فقال « امسك العصا من هنا وضع
الرسن ها هنا ، تقدم الى الأمام والو يمني رجلك الغزال ثم اسدل
يسراك عليها واحث الذلول بعرقوبك » الى غير هذا مما يرى
انه واجب عليه قوله ... ولما أكثر أحفظني وأغاطني ، وبالطبع
كنت لا أحسن ركوب المطايا لسفري من الحجاز وأنا طفل
وغيبتي الطويلة ، فقلت له « ليتلطف الشريف فيعلمني الركوب
متى تفرغنا لذلك والا فالسير على الاقدام أحب الي من ان تباريني
بهذا الشكل » فلامه الناس وندمت على ما قلت لانه ربما كان
حين ذاك فوق الخامسة والسبعين من عمره .

ما أحيل تلك الليلة . . . كان يتقدم جلالته رتل من
 المشاة السودان الذين يسمون (البواردية) تتقدمهم جنائب
 الخيل وهي ست تقاد ليطلب أيها شاه ، يتقدمها خمس من
 نجائب الركاب تقاد أيضاً وقوادها راكبون على مثلها ، وعلى
 يمينه ويساره المشاعل يحملها الرجال توقد بالحطب ويقذف فيها
 اللبان ، وأهازيج الحرس الراكب وحدائه ... فكان موكباً
 شريفاً تحفه الأشاوس من هاشم والتجباء من المنتمين لربيعة او
 مضر . فبلغ الركب الميمون بحره في الساعة الخامسة من
 الليل (الساعة الغروبية) ، فعدل الى حيث المناخ المخصص وبه
 المضارب الهاشمية في بطحاء كاللؤلؤ من وادي ص الظهران ،
 فنزل وأمر بالعشاء وكان مهياً لكافة من حوى الموكب ولمن
 جاء لاستقباله من مكة ثم نادى المنادي بالركوب بعد العشاء فوراً
 وكان ذلك أشد شي علي حيث أخذ مني التعب كل ما أخذ ،
 فقدمت لجلالته بغلة فارهة شهباء وركب الى جانبه الشريف زيد
 ابن فواز أسن آل عون يومئذ وركبت أنا ذلولي وخشيت
 تدخلات حمزة ولكن سلمني الله منه . وقد أدر كنا الصبح في
 البازان بعد ان اجتزنا الحديدية ، ولعل هذا الاسم يعرفه كل
 عربي مسلم . فصلى الصبح هناك ثم تريت حتى أسفر فطلب
 إحدى ركائب الخيل فبقي له بجواد أشقر أسحم يقال له (عبد

الرحمن) نسبة الى مهديه عبد الرحمن باشا اليوسف امير الحج الشامي ، وكان من أحسن جياد الشام فأخذ يتهادى تحته ويصول كأنه قد عرف من عليه . ولقد ذكرتني حالته قول الحادي الذي حدا بالامام علي زين العابدين بعد ان حدا هشام ابن عبد الملك حيث قال :

يا أيها البكر الذي أراك هلا عرفت اليوم من علاكا
إن علياً قد علا ذراكا

وهكذا يمسك الآخر بالاول ، ذرية بعضها من بعض .
سرفنا واذا بجبال مكة : ثور وخدمة وحرأ ثم أبي قبيس
وقعيتعان ، ثم بلغ الموكب الهجلة وهناك ضربت خيام الاستقبال
وكان فيها كل من بمكة وكل من بالطائف ومن لحق من أهل
المدينة يتقدمهم الشريف ناصر بن علي شقيق جلالته ، ووكيل
أمير مكة والي الحجاز وقائدها المشير كاظم باشا وهيئة الولاية
وقاضي مكة ، ومن العلماء الشيخ بابصيل والسيد عبد القادر
الشيبي وابناؤه الشيخ حسن والشيخ عبدالله وآخر نسبت اسمه
وكبراه عشائر عتيبة يتقدمهم جابر بن هليل النؤيبي السعدي نسبة
الى حليلة بنت أبي ذؤيب ظئر النبي صلى الله عليه وسلم وهو
رئيس عشيرة الثبته ، ورؤساء عشائر حرب يتقدمهم ابن عسم ،
وعشائر هذيل ... كل عشيرة عليها رئيسها ومقدمها .

وبعد السلام أم المسجد الحرام فنزل وطاف ثم سعى ثم أم دار الامارة وجلس مجلساً عاماً قبل ان يضع أحرامه ، فسلم عليه الخاصة والعامّة حتى انتهوا بعد صلاة الظهر . أما أنا فقد انهمزمت الى الجناح الذي خصص لي فخلت الأحرام ودخلت الحمام ثم اضطجعت وقد غلبني النوم بالرغم من حر مكة شرفها الله ولم يوقظني أحد ، حتى الغداء تركته يومئذ ، وكنت بجوار العم المرحوم الشريف ناصر و كان يهديني الى ما أجهله ويهلمني كل ما يجب ان أعرف . ولقد كانت تلك الليلة — أي أول ليلة أمضيها بمكة بعد الغيبة الطويلة — أسعد وأشرف ليالي على الاطلاق ، حيث العودة الى الوطن برضا الباري وبالغز وبالرفعة شاهدت فيها الأهل والأحبة . ولقد تحسست باحاسيس غريبة وخصوصاً لما تشرفت بتقبيل أنامل الشريفة فاطمة الكبرى بنت محمد بن عون وعمّة والدي وهي آخر ذرية محمد بن عون لصلبه ، حيث قبلتني في جبيني وقربتني وأدنتني ، وكانت سيّدة طويلة بيضاء سبطلة اليدين طويلة الأنف عريضة الجبين مهابة ، ثم تشرفت بالعمّة الكريمة زين الشرف بنت علي بن محمد .

وتتالت الايام وكل يوم يفد فيه من شتى البلاد رجالات لهم مكانتهم في محالهم وعشائرهم . هذا ولا ينبغي ان أغفل ذكر وفد حزب الاتحاد والترقي التركي عندما سلم على الامير بحدة

متقدماً باسم الاتحاد والترقي يرأسه عبد الله قاسم ، وقال :

جئنا نرحب بالأمر الدستوري الذي يؤمل من سيادته ان يضرب صفحاً عن الأصول الادارية القديمة وعن الظلم الذي كان يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي تبعاً للإدارة المستبدة السابقة وإرضاء للسلطان . وإن البلاد إذ تحيي سيادة الأمير فإنها تحيي فيه الأمير الذي عرف روح العصر والتجدد المطلوب للعمل تحت الدستور الذي هو نبراس السلامة .

فأجابهم بقوله :

لقد حظيت بمقام أسلافي وآبائي على الشريعة التي بايع بها الشريف أبو نعي السلطان سليم الاول ، وان هذه بلاد الله لا تقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي حريصة على الاحتفاظ بحقها ، فليذهب كل منكم ليشتغل بما يخصه : المأمور في وظيفته والتاجر في تجارته والصانع في حرفته ، وإياكم من قال وقيل وما يقولون فهذه بلاد الله ليست بملك لأحد . وان السلطان الأمر بالدستور الذي تذكره والذي أمر بأن يعمل في بلاده يفتخر هو وأسلافه بأنهم خدام الحرمين الشريفين وليس الخادم بالملك . دستور بلاد الله شريعة الله وسنة نبيه .

فخرجوا يتعشرون وكتبوا الى الاستانة والى مراكرهم
 يقولون : بعث عبد الحميد رجل جلس على مقام أسلافه لا يهبا
 بأحد ولا يقر بدستور ولا بتجدد . وقد بدأت الحرب بينه وبين
 الاتحاد والترقي من تلك اللحظة .

وفي مكة ، وبعد إقامة ثلاثة أيام فيها أمرت بالسفر الى
 الطائف لاستصحاب الامير السابق الشريف علي بن عبد الله بن
 محمد بن عون وهو خالي شقيق والدتي وابن عم والدي والتقدم
 به الى مكة المكرمة . فتوجهت من مكة أول ذي الحجة عن
 طريق عقبة كرى ومعني الشريف جميل بن ناصر ابن عمي وإبنا
 خالي الاصغر محسن بن محمد وعبد الله بن محمد ، فررنا في طريقنا
 على منى ثم عرفات ثم وادي المحرم فالخراجل فالكر وقضينا الليل
 به ، والكر هذا موقف بأسفل عقبة كرى ، وكرى جبل من
 السراة ارتفاعه عن سطح البحر ألف وسبعمائة متر . ولما أصبحنا
 استأنفنا الطريق صعداً على البغال وكان الطريق يتلوى يمينا
 ويساراً بانحرافات ضيقة وبيعض محلاته درج وعتب وهي خفيفة
 لعلو جبلها ووعورته وميله الشديد ، يمتد ثلاث ساعات ونصفاً
 وينتهي الى المعسل — والمعسل ماء ينبع من الجبل خفيف عذب
 شديد البرودة — ثم يصل الراكب الى الهدى ، والهدى قرارة
 في رأس الجبل بها أنواع الاشجار المثمرة والمياه العذبة والقرى

الجميلة يكون به أحسن العسل وهو اقمرش والنمور — وقريش
هؤلاء بقية من قريش الظواهر — وإذا قام الرجل برأس العقبة
بعد الظهر يرى جدة والبحر .

فقابلنا هناك أهل الهدى أحسن استقبال ونزلنا في دار شيخ
القرية وبعد ان سلم علينا أهلها قدموا إلينا (اللطف) وهو على
لغتهم فكوك الريق ، ولظفهم خبز سميك يرفع بالكلايب في
طست عظيم يوضع في وسط السباط وعلى يمينه ويساره مثله ،
يأتي أحدهم يطعنه بجنبيته أو رحمة فترى البخار يخرج من خلاله
ويأتي آخر وييده عكة من سمن الشفا المخدوم فيريته عليه ،
والآخر وييده عكة من العسل المصفي فيتبع السمن العسل ، ثم
يؤتى بالجنن الابيض في أوان متوسطة ولحم سليق مبرد وشي
من الملح الصخري والفاكهة الموجودة إما العنب او ما يكون
من فاكهة الموسم وان كان الوقت شتاء جاؤا بالزبيب الازقي
الذي لا بذوره ... هذا هو اللطف الذي قدم لنا . وبعد أن
انتهينا من فطورنا جاؤا بالقهوة الخفيفة ثم دعينا الى الصعود على
رأس الحبلية — والحبلية جبل أسود فوق الهدى — فلما صعدناه
رأينا في ناحية الغرب البحر تتلأأ فيه الشمس ، ورأينا من
ناحية الشرق (حضن) جبل البقوم الذي جاء الحديث عنه وهو
قوله صلى الله عليه وسلم (من رأى حضناً فقد أنجد)

ثم عدنا ومررنا في طريقنا على الشريف الحسين بن زيد بن فواز وكان في مرض موته ، ولقد أحزنني منظره ، وقال : خرجت من الطائف للقاء سيدنا بجدة ولكن أعجزني السفر وقعد بي المرض وقد كافأني الله بأن رأيتك . وكانت وفاته بعد ذلك بيوم ومرضه السل . فعدنا الى دارنا التي نزلنا بها وجاءوا بالعداء واذا هو مركب من ست ذبائح : ثلاث ندى ، وهو يصنع بطريقة خاصة في حفرة جمرية يحتم عليه حتى ينضج فاذا أخرج بعد نضوجه توضع حوله أقراص من الفطير وأوان بها العسل وأوان بها الطحينة ، وثلاث ذبائح سليق تحمها الأرز المطبوخ بالمرق . وكانت الغاكة العنب . فتعدنا ثم استأقنا الطريق بين البساتين النضرة المثمرة تحف بها عرش الاعتاب والجبل هذا أشجار السرو والعرعر والعم والبشام والقيقب . ثم انحدرت بنا الطريق من النقب الاحمر ومرت بنا على الدار البيضاء ، قرية لقريش بها العنب واللوز والخوخ وسائر أشجار الحجاز المثمرة كالعنب والكمثرى والبخارة ، فاجتازناها ومررنا بقري أخرى بواد المحرم الشرقي ثم ارتفعت بنا الطريق تاركة جبل الغمير الى اليمين ، وانتهت بنا الجبال واذا بالطائف المأنوس في قرارته الفسيحة وواديه الخصب ، وهو وج وهضابه الحمر ومساكنه البيضاء الضاحكة وقراه : كالمثناة والسلامة وقرواء والعكرمية

وشهار وحواية ثم شبرا وبها القصر الملكي ، وقابلنا هناك الشريف جعفر بن ناصر موفداً من الشريف علي بن عبدالله .

فوصلنا والمؤذن يؤذن لصلاة المغرب فصلينا جماعة مع حاشية الامير السابق ، وبعد الاستراحة وتبديل ثياب السفر دعينا الى حضرته جميعاً فدخلنا عليه وهو بدار النساء فسلمنا ثم قبلنا يده فقال الى اليمين بحركة خفيفة وأمرنا بالجلوس فجلسنا فرحب بنا ثم قال : كيف حال سيدنا ؟ فقلت : بخير يقرؤك السلام ويتشوق الى رؤية سموك وقد بعثني لأكون في الصحبة الى مكة فقال : السفر غداً ان شاء الله . ثم أشار الى جميل ومحسن وعبدالله بان يخرجوا فخرجوا واستبقاني وقال لي : ما الذي ستفعلونه بي ؟ فقلت : الخير كله ان شاء الله . فقال : هل ترضى يا عبدالله بسفري الى اسطنبول فيفعل بي سفهاء الاتحاد والترقي ما فعلوه بوزرائهم ؟ فقلت : لا يكون ذلك ان شاء الله . فقال : كيف ؟ فقلت : الذي تحب ، إن رأيت البقاء فأنت في بلادك بعد ان تتفاهم مع ابن عمك ، وان أردت الخروج فأبق بمصر ولا تسافر الى اسطنبول من هنا إلا بعد ان تطمئن . فقال : أضمن لي هذا ؟ قلت : أسمى ان شاء الله . قال : أأست خالك قلت : بلى والله . قال : أترضى لي الاهانة ؟ قلت : حاشا لله ولكن علي عهد الله لك في اني إن عجزت عن تنفيذ مرغوبك

أن لا أفارقك حيث تسير . فقال : رضيت الان . ودمعت
عيناه تم قبلي .

كان السفر كما أمر الخال المرحوم من الطائف الى مكة ،
فتوجه ركابه ومعه عائلته الكريمة الى مكة عن طريق ذات عرق
والزيماء ، فمكة ، ودخل مكة المكرمة ليلا ، وكنت عرضت
لسيدنا الوالد في رسالة خاصة كل ما قاله لي . وأول ما وصل
قصد الوالد فقابله من باب البهو فتسالما ثم قدما الى المجلس
فاجلسه معه على سريريه وخرجنا نحن . وبعد ساعة استأذن
فخرج الى داره بالسبعة الأبيار ، فاستدعاني جلالة الوالد وقال :
لا أرى على خالك أثرأ من مرض . فقلت له : انه مريض
روحياً .

وفي الصباح استدعاني واذا في المجلس العم المرحوم الشريف
ناصر والشريف زيد بن فواز بن ناصر أمير الطائف ، فقال :
ما رأيكم في علي باشا هل يتيم هنا أم يسافر الى اسطنبول ؟
فقال الشريف زيد بن فواز : نحن في خدمة من يتولى الحكم
منكم مقام أجداده ولم تجر العادة بان نبدي رأيا في ما يخص
سادتنا فارجو إعفائي وما يقر عليه رأيكم فلا خلاف عليكم منا
فيه . فالتفت الى العم المرحوم وقال : كيف ترى ؟ أجابه : أرى
لزوم نفيه الى اسطنبول لأن في بقاءه هنا ما لا تحمد عقباه ،

وهو غني مثر والترك لا تؤمن غوائلهم تعمل فيهم الرشوة ما لا يتصور . فالتفت الي وقال : ما رأيك ؟ فقلت : انه يطلب إما البقاء هنا أو السفر الى مصر . فان أحب المقام بمكة فلا ضرر ، وقد بقي الشريف عبد المطلب بن غالب وهو معزول في بيته وعون الرفيق بن مجد أمين فما الذي حصل ؟ وإن هو أحب السفر الى مصر والاقامة بها فذلك أحسن له إذ يسلم من أذى الاتراك له ونكون قد عملنا على أن يتعد عن الحجاز بالنسبة للملاحظة العم المحترم ، وانني قد تعهدت له بأنه إن سيق الى اسطنبول فأنني أسافر معه بصيبي ما يصيبه . فقال العم : متى جرت العادة في أخذ رأي من كان في هذه السن ؟ فقال الوالد : إنه ميمون الرأي .

انتهى المجلس وتقرر سفر الخال الى مصر بعد الحج والحمد لله ، ولقد شاهدت في وجه العم المرحوم أثر الاغترار . ولو أنه سافر الى اسطنبول لكان أهين او ابتزت أمواله ، ولو فرض وسلم لكان محل تهديد للوالد وفي الوقت نفسه يكون الحائل للعم في ما يصبو اليه من مقام الامارة بعد أخيه .

بسم الله

الحج

كانت مكة تغوص بحجاج العالم الاسلامي : القرم ، وبخارى
 والداغستان ، والروم ايلي ، والجر كس ، والقازان ، والكرخ
 والاتراك ، والمغرب الأقصى ، والجزائر ، وتونس ، ومصر
 وجاوه ، والهند ، وجنوب أفريقيا ، والسودان ، وحجاج
 بلاد العرب من الشام واليمن والعراق ، وحجاج ايران .. الكل
 في زيه ومعهم الكثير من تحف بلاده وبضائعها ، وكما قال الله
 تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات
 على ما رزقهم من بهيمة الانعام) والكل مهلل : « لبيك اللهم لبيك لا
 شريك لك لبيك ، إن الحمد لك والمملك لا شريك لك » ..

خشي ابن عبد الوهاب ومن على مذهبه ! أين الشرك من
 هذا التوحيد والاخلاص ؟ ولكن لا حول ولا قوة الا بالله .
 والحج هو موسم الاسلام : فريضة تؤدي وتعارف يحصل
 واخوة تؤكد . وكان في ذلك العام الوارد من البحر مائة
 وسبعة وثلاثين الف حاج . وكان أمير الحج الشامي عامئذ عبد
 الرحمن باشا اليوسف المعروف ، وكان بعد عبوديته وجده سعيد
 باشا لسلطين آل عثمان ، انتقل الى انه علم من اعلام حزب
 الاتحاد والترقي التركي فقلب الى سادته ظهر المجن وأبي الرجوع

بالحج الشامي من طريق البر مدعياً عدم الأمان ، قاصداً بهذا إثبات عدم كفاءة الامير الجديد . وأصر الشريف بلزوم رجوع الحج الشامي ومجمله على عادته من طريق البر ، فترك هو — أي عبد الرحمن باشا — الحج وسافر من البحر الى مصر فالشام .

وتوجه ركب الحجاج وعليه العم الشريف ناصر بن علي ، ليوصله الى الشام وكنت معه ، وكان السفر يعتبر كل يوم من أيامه عيد ، بمراحله ورحيله ونزوله . فزرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ما أعظم ذلك الموقف والمرء مستقبل المواجهة الشريفة يقول « السلام عليك يا رسول الله .. السلام عليك يا حبيب الله .. السلام عليك يا خير خلق الله .. جزاك الله عنا خير الجزاء .. لقد بلغت عن ربك الحق وأديت الرسالة وجاهدت في الله حق جهاده وكنت بالمؤمنين رحياً » ...

وليخساً ابن عبد الوهاب ومن تابعه !.. أين الشرك في من يقر برسالة صلى الله عليه وسلم ويشهد بأنه عبد الله ورسوله ويقول بأنه بلغ عن الله ما أمر به صلى الله عليه وسلم؟! ..

وبعد إقامة ثلاثة أيام سافر المحمل وأميره ناصر بن علي بالسكة الحديدية الى الشام . ولقد كنت معه أيضاً . وفي صباح الغد من سفرنا بلغنا تبوك ونزلنا جميعاً الى الحجر الصحي

الاحتياطي لمدة سبعين ساعة. أما تبوك فهي في حماد من الارض أي مكسوة بقطع الصوان وأحجار متكسرة ، بها عين ونخيل والجبال غريبها ، فأقمنا مدة الحجر في الارض المخصصة للحجر وهي مربعة محددة بقضبان من حديد مجهزة بأسلاك شائكة ولها أبواب وبها قساطل للماء الجاري لها حنفيات يجري منها الماء ، ينحصر كل مربع لعدد معين من الخيام ويمنع الاختلاط حتى تتم المدة . وهناك ثلاثة أجهزة للتعميم في مبان مخصصة تعقم بها أمتعة الحجاج وملابسهم . وكانت ليسالي تبوك باردة والموسم أواخر كانون الاول والنهار بارد أيضاً .

وبينما كنا به ورددت برقية من ناظم باشا والي الشام الى المرحوم العم يقول فيها انه متعجب وانه سيبحث بمدير أوراق الولاية او سكرتيرها — على لغة اليوم — لاستلام المحمل والركب . فاجابه بأنه هو بذاته الذي سيوصل الحج الى الشام . ووردت برقية من المرحوم عطا باشا البكري يدعوننا بها الى النزول في داره . ولم يبق عين من أعيان الشام إلا ودعانا الى النزول عنده وكان البكري هو السابق فأجيب بالقبول .

ولما وصل القطار الى محطة القدم كان الشام كله هناك فخرجنا من القطار واستلم الوالي المحمل ، وهيئت لنا من الخيل أصلها وأفرها . فسرنا ثم وصلنا الى مكان به جماعة عظيمة

من المستقبلين وقد هياوا خيمة كبيرة فترجلنا وخطب الخطباء
مرحين ، وكانت قصائد ترحيبية يتقدم بها شعراء بلغاء فشكرهم
العم المرحوم بما يقتضي . ثم امتطينا ركائبنا فزرنا الوالي بدار
الحكومة ومن هناك الى دار البكري ، وأكرم به من مضيف
كريم قام بالواجب وزيادة . وكانت إقامتنا بالشام سبعة أيام
فدعى فيها من بيت كريم الى بيت كريم إما لغداء او لعشاء .

ومن الغريب تلك الذشرات التي وزعها عبد الرحمن باشا
اليوسف وأثبت بها نفسه وما في قرارة ذاته . ففي نشرة موجهة
لوالد المرحوم يقول فيها ألياناً أحدها :

إن كنت تبغي ملك مكة فاعلمن أن المليك بها هو الدستور
وفي أخرى موجهة الى العم المرحوم يقول فيها :

أنت يا هذا ثقيل وثقيل وثقيل
أنت في المنظر انسان وفي الميزان فيل

وفي نشرة موجهة الي يقول فيها : « الى سعادة الشريف
عبدالله بك : إنك لا تستحق المجو ولا المدح » !

بهذا لامه الناس ونشرت قصائد عديدة في هجوه ، ونصح له
بان لا يخرج لئلا يضر به أهل الشام لأنه أساء الى ضيوف الشام
ولكنه قتل أخيراً بدرعا مع الوزراء بعد خروج المرحوم الملك
فيصل من سوريا .

ولقد ابتعت بواسطة المرحوم البسام رمكة من أصل الخميل وهي (الكحيلية الجعيثنية) وهي حمراء سمراء لها غرة عريضة الحوافر قصيرة مربوط اليدين . وأهدى هولوا باشا الى المرحوم الوالد رمكة سوداء جليلة تنسب (كحيلية عجوز) كما ان خيولا أخرى أهديت له أيضاً

ثم توجهنا الى المدينة المنورة بالسكة الحديدية ، وكان الوصول بعد الحركة بثلاثة أيام ، فاقمنا بها عشرة أيام أصلحنا فيها بعض ما يجب إصلاحه من أمور تتعلق بعشيرة حرب . وعند رجوعنا الى مكة وجدت الأخوين علياً وفيصلاً ومن بقي من الاهل باسطنبول وجدتهم بالحجاز ، ووجدت سيادة الخال قد سافر الى مصر عن طريق البحر ومعه ابن أخيه محسن بن محمد . وكان الحجاج ينصرفون كل الى بلده . أما والي الحجاز يوم ذاك فهو المشير كاظم باشا وقد بنى خط السكة من معان الى المدينة يوم بناها السلطان عبد الحميد وترأس أعمالها في اسطنبول المرحوم أحمد عزت باشا العابد ، وقد استقال هذا الوالي وسافر . وكان الامير يرى أمور الولاية أيضاً . وفي تلك الاثناء فوجئنا بحركات محمود شوكت باشا وبخلع السلطان عبد الحميد وجلوس ولي العهد رشاد بن عبد الحميد خان باسم السلطان محمد خان الخامس . وكانت هذه الحوادث من الاعيب الصبية من الاتحاديين ،

فانغضبوا الملك وتحكموا في السلطان وفي الرعية .
 ولقد علمت وأنا بالشام نفور الناس وخصوصاً الشباب فانهم
 كانوا على وثبة لفصم العري . ولم يقتصر الأمر على هذه الفئة
 من الناس بل عم التشويش الاكثريه ممن كان يحب السلطنة
 العثمانية ، لهبت شباب الاتحاد وتحكمهم وسقوط هيبة الحكومة .
 هذا ما شاهدته في غير الحجاز من بلاد العرب .

وإن أعمال المنتدى العربي باسطنبول وشعباته في سائر بلاد
 العرب ، وما كتبه جريدة (إقدام) التركية عن هذا المنتدى
 وعن العرب ، ويوم شباب العرب على مطبعة الجريدة المذكورة
 وتحطيمها .. كل ذلك من الاشارات البارزة على ما وقع أخيراً
 من انقطاع الصلة بين العرب والترك لضعف آرائهم في قلب
 الادارة السلطانية الخليفية الى حاكمة ملية دستورية في زعمهم ،
 وإبدال الهيمنة العربية الاسلامية بالسيطرة الروحية القانونية
 الغربية . والله في خلقه شؤون ..

وبعد ان تركز الامر في اسطنبول جاء الوالي فؤاد باشا
 وسيدنا الوالد بالطائف وهو عسكري برتبة فريق كان مستشاراً
 للسر عسكر باسطنبول ، وكان غيباً لا يدري من أين تؤكل
 الكتف . وكان قبل الطلوع الى المصيف بالطائف صدر أمر
 الامير بغزو بني الحارث — بطن من بقايا الحارث الاول وهي

عشار بين بلاد البقوم بوادي تربة وبين بلاد النفعة من عتبية شرقي وديان الطائف — لتمطهم الطريق وعدوانهم على من جاورهم .

فغزونا على ترتيب الغزو المعروف : قوة درك راكبة هجانة وفرسان من خاصة الامير ، مع قوات من العشار الطيبة . فغوزوا بما كانوا يفعلون وخضعوا بعد ذلك وأطاعوا . ثم تبع هذا الغزو غزوة هذان — جبل بالجرة على الطريق الشرقية من مكة الى المدينة — وكانوا يخيفون الحجاج ولا يؤدون الزكاة ، فغزوناهم بامر الامير وهو لا يزال بمكة المكرمة أيضاً على الترتيب السالف . وكانوا بمحل صعب وكان ذلك اليوم يوماً عجزت فيه القوة عن تأديب تلك العشيرة التأديب الكافي ، وقد أصابتنا إصابات بليغة ولكن تراجعنا بعد ان قتل عدد من الشرفاء وصوب عدد وقتل من القوة البدوية مشايخ وفرسان . وقد أصبت أنا برمية اخترقت نخذي ولكن الله سلم وعادت القوة الى الطائف . وقد برئت بعناية الله في خمسة وعشرين يوماً على يد طبيب عربي من ثقيف .

ولما وصل الوالد الى مصيف الطائف ، ولم تستأمن عشيرة مطير وتخضع أمر بغزوهم مرة أخرى فغزوناهم وكانوا قد تسهلوا وتركوا الوعر ، فصبحناهم على برئ تسمى (الروبلية) .

شرقي مران مسيرة يوم ونصف يوم ، وكان التأديب وفق ما طلب حيث خضعت العشيرة بعد ذلك وأصبح طريق الحاج في ديار عتبية ومطير في غاية الأمان حتى بلاد حرب .

من هو أدب الإدارة العثمانية المنفرة

وبعد رجوعنا من هذا الغزو وبعد وصول الوالي الجديد بأسبوع، وأنا بعد الظهر في حضرة الامير رحمه الله واذا بمذكرة ترد من الوالي ، ففرض ختامها وقرأها وقال : هذا مجنون .. ثم رمى بالمذكرة الي فلما تأملتها وجدته يقول أنه تلقى برقية من مدير الجندرية بمكة ووكيل الوالي يقول فيها (إنه تأكد من عزم فئة في مكة برأسها الشريف زيد بن فواز قائمقام الامارة بالطائف على حركة ثوروية يوم الجمعة بهجوم يقوون به ضد سلطات الحكومة ، ولذلك فانه يطلب إلقاء القبض على الشريف زيد ومن معه وسوقهم الى التحقيق والمحاكمة) فاجابه الامير على الفور (انه متوجه الى مكة المكرمة للتحقيق في هذا الامر الذي هو عبارة عن فرية شائنة دليلها نسبتها الى الشريف زيد بن فواز وهو المخلص الأمين ، وانه أقامه بالطائف وكيلا للامارة علاوة على وظيفته) .

وتحرك ركابه السامي — رحمه الله — بعد الظهر وأصبح

بمكة بهيد الشروق مع الطريق الطويلة ، وأم الحميدية دار الحكومة ونزل واستدعي وكيل الوالي مدير الجندرية وقال له : حضرت لتحقيق ما قلت أنه ثابت لديك من حركة مدبرة في مكة يوم الجمعة ، واني أمر بايجاد لجنة تحقيق ترأسها أنت وقومندان العسكرية وقاضي مكة المكرمة ، ويكون بها باسم الامارة نجلي عبدالله . فامثل وجمع اللجنة المذكورة .

وبالطبع وحيث أن الخبر نشأ منه ، سألته عن المصدر فعجز عن إسناد ذلك الى شخص مسؤول وقال : أنا لا أستطيع بيان أسماء رجالي الذين يعملون ساهرين على الأمن العام . فقلت : أليست هذه لجنة تحقيق رسمية ؟ وان اتهاماتك موجهة لشخصية كبيرة في البلاد واسكان حرم الله ، فان لم تفعل فلا يسع اللجنة الا ان تعتبر هذه الاخيارية كاذبة تسلب عنك الاعتماد . عند ذلك قال : إن زوجتي سمعت هذا الخبر من امرأة كانت تصلي معها في المسجد الحرام في قفص النساء . فقلنا : حسن ، هذا طرف حبل ولكن من هي المرأة ؟ قال : لا تعرفها ولا يمكن العثور عليها .

فهي المحضر جلسة على هذا النمط ووقعه أعضاء اللجنة وهو منهم ، وقال : هذه وظيفتي سمعت وكتبت . ورفعت اللجنة التقرير للامير وبرقية بمضمون ذلك للوالي بالطائف

واعتبرت المسألة مسألة افتراء ونذالة .

وكتب الامير برقية بالواقع الى الصدر الأعظم بالاستئانة
وكان يومئذ الصدر سعيد باشا ووزير الداخلية رؤوف باشا ، ولما
وصلنا الطائف بعد ثلاث كان أمر عزل الوالي ومدير الجندرية
قد وصل وكانوا على أهية السفر .

هذه نبذة من نبذ الادارة العثمانية التي جرت الى نفرة العرب
تلك النفرة الهادمة لهذا الشرق الاسلامي وكانوا هم السبب .

توجه والدى الى نجد

وما حدث في غيابه

توجه المرحوم الى نجد وفي معيته كل الأمراء والأشراف ،
للنظر في مسائل عشائر الحجاز الذين كانت تتخاطفهم رغبات
أميري نجد ابن سعود وابن رشيد ، وبقيت أنا وكيلا عنه في
مهام أمور الامارة . فكان هناك حادث القبض على الامير سعيد
ابن عبد الرحمن بن سعود — شقيق الملك عبد العزيز — وهو
يزكي عشائر عتيبة ، ثم إطلاقه بعد تفاهم تحريري حصل بينه
وبين ابن سعود ، فعاد .

وفي أثناء غيابه فصلت الحكومة العثمانية المدينة المنورة عن

ولاية الحجاز ، وكان المحافظ يومئذ علي رضا باشا الركابي وكان الوالي كامل بك ، فوردت برقيات من وكيل الامير بالمدينة تنبي بان المحافظ أقام حفلة كبرى وأنبأ وكيل الامير بان لا صفة له بعد الآن . ووردت برقيات من الشرفاء ورؤساء العشائر مهترضة على هذا الفصل . فكتبت الى الباب العالي - وكان الصدر الاعظم يومئذ ابراهيم حقي باشا - أسأله عن مسؤوليات الامارة فيما بعد ، عن قوافل الحجاج والزوار ، هل هي كما كانت الى مدائن صالح أم الى محل معين بين الحرمين ؟ .. ثم طلبت الوالي فحضر فسألته : هل فصلت محافظة المدينة عن الولاية وهل ان مسؤوليات الامارة هناك قد ألغيت ؟ فقال : هل بلغك ذلك ؟ قلت نعم . وأطلعته على البرقيات وعلى نسخة برقيتي للصدر الأعظم ، فقال : نعم أعلنت ذلك رسمياً وكان جوابي الاستقالة ، لأن ذلك عمل وأنا والي الحجاز وبدون أخذ رأيي . فأكبرت عمله وودع راجعاً الى دائرته .

وبعد خروجه بساعتين ، ورد جواب الصدر الأعظم يقول فيه :

إن ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط
تلفرافية وبالسكة الحديدية تضمن السرعة في
المخبرات ، لذلك أعتبرت محافظة المدينة المنورة

محافظة مستقلة مبروطة بوزارة الداخلية رأساً لا بالولاية . وأما تبعات الامارة الجليلة وحقوقها فهي كما كانت من مكة المكرمة الى مدائن صالح .

وقد بلغ ذلك الى ولاية الحجاز ومحافظة المدينة وانتهت بهذا عملية الركابي باشا غير المشكورة . وكان رحمه الله حين ذلك لا يتكلم الا باللغة التركية ، وكنت — وهو محافظ المدينة — أوصلت الحج الى طيبه — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — فزارني أمير حج ابن رشيد وقال ان المحافظ منعه من دخول المدينة المنورة ومعه علم ابن رشيد ، وهو علم أخضر مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فاذا لم يسمح له بذلك فسيعود بالحج وانه كلم المحافظ بعزمه فلم يأبه له .

فزرت الركابي باشا وقصصت عليه ما بلغني فقال : لا يدخل هذه البلد ولا يرفع بها الا العلم العثماني . قلت : يا حضرة الباشا جرت العادة بهذا وقد دخل مكة ومعه علمه ، فاذا أصرت على رأيك عاد مع من معه قبل ان يزوروا المصطفى صلى الله عليه وسلم فماذا عساه يكون إذا دخل كالعادة السابقة ؟ قال : لا يكون هذا أبداً . فقلت : الامر خطير وأنا أسألك كمحافظ ، وسأسال وزير الداخلية ببرقية بصفتي النائب الحجازي في مجلس المبعوثان عن حقيقة ابن رشيد : هل هو صاحب إمارة مستقلة

لا ينبغي رفع علمها إلا باذن ومراسيم خاصة ، أم هو أمير تابع للدولة يحمل علم الحجاج الأخضر ، لأن محافظ المدينة رفض دخول الحاج على الطريقة المعتادة قائلاً ان لا علم هنا غير العلم العثماني اي أن ما بيد أمير الحج علم غير عثماني ؟ .. فقال لي : أرجوك لا تفعل ، وأنا قد اخطأت .. ثم استدعى امير الحج وسمح له .

وهذا هو الركابي باشا الذي كان عندنا في عمان في رئاسة الوزراء مرتين رحمه الله .

في ذلك الحج الذي جرى ذكر الركابي باشا فيه ، كان قد حج الخديوي المرحوم عباس حلمي باشا وقوبل في الحجاز بما هو أهل له من الاكرام والاحترام بسبب شخصيته ثم للعلائق الودية بين البيتين منذ محمد علي باشا والشريف محمد بن عون. وكنت أصبت في تلك الزيارة وانا بالمدينة بحمي التفوييد وسافرت وانا مصاب بها ولقد أتعبتني ولكن الله سلم . ولما وصلت الى بئر الماشي — وهي على مرحلة من وادي الليمون وعلى مرحلتين من مكة — بشرت بابني طلال وأخبرت بانني قد انتخبت مبعوثاً عن مكة المكرمة في مجلس المبعوثان العثماني . ولقد ساءني خبر انتخابي هذا لأنني سئمت الحياة الطويلة بتلك العاصمة — اسطنبول — فدخلت مكة وانا في شدة مرضي .

المبعوثية

وعندما شفيت بعناية الله سافرت الى مصر ومنها الى اسطنبول لأقوم بوظيفة المبعوث . ولما وصلت الباخرة السويس واذا بمحافظ السويس والشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وعلي بك شاهين صاحب تشريفات الخديوي علي الرصيف في انتظاري ، وقد أوفدهم الخديوي المرحوم للتحية والدعوة للنزول ضيفاً عليه بقصر رأس التين بالاسكندرية ، فشكرتهم ورجوتهم ان يبلغوا سموه امتناني وقبول الدعوة الكريمة مع الشكر العميق ، ثم أبرقت لسموه بهذا المعنى .

واتقد كان الوالد المرحوم جعلني في رفقة سموه مدة الحج ، فعرفني حق المعرفة ومال الي بكليته .

فسافرنا من السويس في قطار خاص الى الاسكندرية وكان الغداء والعشاء في القطار . أما هؤلاء الذوات فبعد ان أدوا واجبهم تخلفوا في القاهرة ما عدا علي بك شاهين والشيخ حازم بن مليحم مقوم الحج المصري فانهما سافرا معي الى رأس التين . وتفضل سموه فقابلني في اليوم الثاني بذلك القصر الفخم الذي كان يزداد بهاء بطلعة سموه المشرقة ، أسكنه الله فسيح الجنان وأبدله داراً خيراً من داره فانه الغريب الشهيد . ولما رأني قال مظهرآ

الدهشة ، « مالك ؟ دانت خسيت ؟ جري ايه ؟ » فاجبته :
 ما من شي يا أفندينا ! وانما حمى أصابتنى بعد سفر سموك من
 المدينة ، واستمرت بي أكثر من خمسة وعشرين يوماً ثم زالت
 فقال : متى تسافر ؟ قلت : إن أذنتم سموكم فالسفر غداً إن شاء
 الله . فاجاب : « ما يصحش قبل ما يفحصك الدكتور كاوسكي
 بك ونشوف المرض ده هو ايه » وبعد المعاينة بأخذ الدم من
 إصبعي قال الطبيب كاوسكي ان مرضي كانت الحمى التيفوئيدية
 ورتب لي علاجاً أستعمله .

فسافرت بعد أسبوع بالباخرة الرومانية (داجيتا) وكانت
 مثل العروس ذات مدختين وعلى أحدث طراز تسير في الساعة
 ثلاثة وعشرين ميلاً . فأمر سموه أن يحجز لي في الباخرة الجناح
 الممتاز ، وكان معي المرحوم الشريف شاكر بن زيد والشيخ محمد
 بن غاصب فسافرنا والشهر اول مايو والبحر ليس بالساجي ولا
 بالهائج ، فمضت تلك الليلة ومن لم يألف البحر من الركاب كان
 في حجرتة . ولكن لما أصبحنا كان البحر و كأنه المرأة
 الصقيلة والركاب على ظهر السفينة جلوس هنا وهناك .

ولفت أنظار الأجانب لباسنا العربي المشلح والعقال . ولقد
 تجمرات شابة رومانية ورجت مني ان ألبسها صمادتي وعقالتي
 ففعلت ، فأخذت تنظر الي نفسها في المرآة وتصفق بيديها ،

وكانت جميلة رشيقة فائنة . وأظنها أغاظت المرحوم شاكر فقال بلمغته العتيبية : « نعم ابو ذا الوجه وراك ما طلبتي عقالي أنا وصمادتي » ! فضحكت وأمرت خادمي أحمد وصفي فجاءني بصادة أخرى وعقال فلبستها . وتحيرت المسكينة ماذا عساها تفعل ، فقلت : أتركها لك تذكاراً — وكانت تحسن العربية قليلاً — ثم قلت لها : أنا فلان النائب في مجلس المبعوثان ، فشكرتني وأخبرتني انها كريمة قنصل رومانيا بالاسكندرية . ووصلت بنا الباخرة صباح الغد الى بيريه ومن بيريه الى اسطنبول .

ولا ينبغي لي ان أنسى زميلي الشيخ حسن الشبي رحمه الله العضو الثاني عن مكة في ذلك المجلس ، والشيخ محمد علي طالب — المطوف في مكة الذي كان مسافراً الى القرم لعلاقته مع الحجاج هناك — ذلك الرجل البشوش الضحوك الذي كان سبب أنسنا طول الطريق .

ووصلنا رصيف الاستانة فاذا في استقبالنا هناك الشريف جميل بن ناصر موفداً من طرف العم المرحوم الذي كان في اسطنبول عضواً في مجلس الاعيان ، ووجدنا هيئة الاستقبال الموفدة من رئيس المجلس والمؤلفة من ثلاثة أعضاء : عبد الرحمن باشا اليوسف نائب دمشق وسعيد بك نائب أزمير وحسين جاهد بك نائب اسطنبول ، فشكرناهم جميعاً وتوجهنا الى استيفيا في

القصر الذي أعرفه والذي تزوجت فيه والذي لم يلحقنا فيه أي كدر ، وبه نال الوالد المرحوم الامارة ، وبه ولد أخي زيد وشقائي الثلاث . وبعد إقامة ثلاثة أيام وتقديم الشكر للعم المرحوم انتقلت الى قصر المصيف للوالد المرحوم ببيوك — دار بأعلى البوسفور .

ولقد توجهنا أنا والشيخ حسن الشبي في معية المرحوم يوم كنا في ضيافته الى دار رئيس مجلس النواب أحمد رضا بك ، فقابلنا بالبشر والغبطة واللطف الكثير وقال انه ينتظرنا في دار المجلس بديوان الرئاسة في الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم . فلما جئناه في الساعة المعينة وجدنا عنده مجدي أفندي مبعوث بروسا ، ورئيس كتاب ديوان الرئاسة وهو شيخ معمم ضخيم طلق الحميا جمهوري الصوت ، ووجدنا عنده أحد مستقبلينا سعيد بك مبعوث أزميز ، ووجدنا ألكسندر كوندوري باشا عضو الأعيان . فحيناه وصاحفنا وأجلسنا ، ولكن لم أجده كما رأيت في داره ، بل رأيت ممتطب الوجه ، فقال لي مبادراً : وجدت هنا في ديوان الرئاسة بعد أن حضرت برقيات من مكة تحتج على انتخابكما قائلة عنك أنت يا عبدالله بك انك لم تصل الى السن القانونية ، وعن زميلك الشيخ حسن افندي الشبي انه لا يقرأ ولا يكتب لا التركية ولا العربية . فقلت له : انني لم أشهد



الشریف عبدالله « مبعوث مكة »

تاريخ ولادتي ، ولكن أعتقد ان الهيئة التي فحست صناديق الانتخاب ورئيسها الوالي وأعضاءها القاضي ورجال مجلس الادارة ذكروا ان الانتخاب جرى وفق القانون ، فان كان هناك ما يخالف الحقيقة فالتبعة عليه ولست بالكاذب ، وأقرر انني لم أشهد يوم ولادتي . وأما زميلي فله ان يدافع عن نفسه فهو من أكرم بيوت مكة وهو يجيد اللغة العربية كتابة وقراءة وأما اللغة التركية فلم يعن بها هناك . والأوراق في المجلس إن قبلها فذلك ، وان رفضها فلست بالذي يخسر أي شيء الا زمالتم واسطنبول بلد أحبها ، وحضرت في موسم الربيع ، وفي امكاني الرجوع الى وطني متى سئمت ... وقت وأنا أقول : « الله اصهار لادق » أي في أمان الله ...

وذهبتنا الى دائرة الأعيان ، حيث أجلسنا العم المرحوم في الشرفة المخصصة للأعيان بدائرة المبعوثين . ولما عرفنا أهل المجلس اننا مندوبو مكة ، قالوا : لم لا يجلسون في كراسيهم ؟ فقال الرئيس : هنا برقيات اعتراضية وردت من الحجاز ستقرأ عليكم الان فان رفضتموها وقبلتموها نائبين فعند ذلك يجلسان . فقال أحد النواب : ومن تريدون ؟ أتبعث اليكم مكة أفضل من ابن الشريف وابن فاتح بيت الله ؟ فصاح المجلس كله : لا اعتراض لا اعتراض . ثم أخذنا باليد وأجلسنا وانتهى الأمر

ومن غريب ما أذكره ، اني انتخبت ثلاث مرات دون ان
أكلف حلف اليمين ، وكذلك يوم انتخابي وكيلاً ثانياً لرئاسة
هذا المجلس .

وبمناسبة المبعوثية أحب ان أتعرض للحكم النيابي . فالحكم
النيابي هو حكم من الأمة للامة . فان كان رئيس الدولة موصوفاً
بالملك او موصوفاً برئاسة الجمهورية ، فهو لا يحكم حكماً مباشراً
او حكماً استبدادياً او دكتاتورياً ، بل يحكم حكماً دستورياً
نيابياً ، وعليه ان يختار رئيس الاكثرية الحزبية فيكلفه بان
يشكل هيئة الوزارة . فتي تم ذلك تحك هذه الحكومة بالتوائين
التي أقرها نواب الدولة من قبل والتي تحدثها بعد ذلك . فالنواب
في المجلس العثماني كانوا ينتخبون من كل الملل العثمانية ، وكان
حزب الاتحاد والترقي يشير الى من يريد فينتخب بتدخلات
حكومية يقوم الولاة والمتصرفون بها ، اللهم الا من كان من
الحجاز فانهم لم يستطيعوا ان يؤثروا في انتخابه أي تأثير . وأما
اليمين وعسير فالولاة يعينون الى هذه النيابة أشخاصاً شريطة ان
يكونوا اتحاديين . وإذا قلنا يعينون فانما نعني أن الظاهر
انتخاب والباطن تعيين .

ولقد رأيت ان القوانين التي تسن مجدداً إنما هي في مصلحة
العنصر الحاكم وهو العنصر التركي ليهيمن على سائر العناصر فيسلبها

ما كان لها من امتيازات نالتها يوم ان كانت الدولة على شكلها القديم . فالأموال التي تجبي والمدارس التي تشيد وتبنى والطرق التي تفتح ، كل هذه من الاموال العمومية التي تجري عليها القوانين العثمانية فيما قرب من العاصمة وبعد من الولايات — نقول انه كان يصرف منها ثمانون في المئة على البلاد التي هي تركية محضة ، وما في هذا من الحيف مشاهد معروف . ثم إن اكثرية الوزارة تختار من العنصر الحاكم ، وللعرب وزير واحد هو وزير الاوقاف ، ومن الأقليات الاخرى يختار الصدر من أراد بالمنابذة وفي هذا ما فيه من حكم الناس حكماً استبدادياً تقوم به وزارة عنصرية . وهكذا فأصول الادارة النيابية في دولة مركبة من ملل كثيرة تدفع بتلك الدولة الى التفرقة والشتات والبغضاء ثم السقوط كما وقع للدولة العثمانية .

ولقد عدت الى الحجاز في شهر تموز وكانت تلك المدة لطيفة شيقة . وإنني أذكر ان رجلا من علماء الفلك قال عن نجم هلمي المذنب انه سيصطدم بالارض فيحرقها ومن عليها في اليوم الثامن عشر من شهر مايو من تلك السنة . فارتج الناس . وقبل الموعد بيوم والمجلس منتظم ونحن فيه ، واذا بصوت فظيع ولمعة فقر كل من بالمجلس . وعلمت انه رعد وبرق فأمسكت بحسن الشبيبي وأجلسته . وخرج الناس يركب بعضهم بعضاً ثم عادوا وقد

غاضبهم جلوسنا فقالوا : رعد وبرق ... ما من شيء ... ثم قال لي احدهم : كيف بقيت انت وزميلك ؟ قلت : انا لا اؤمن بما تقولون ، ولو فرضنا صحة ذلك فما يجدي الخروج والارض ومن عليها في خطر الانذار؟! فسكت .

عدنا الى الحجاز بعد ان علق الاجتماع الى تشرين الثاني . فوصلنا الوطن وكانت وجهتنا الطائف . ومررنا بمكة المكرمة فطفنا وسعينا وتحللنا من أحرامنا . وبعد استراحة يوم توجهنا الى الطائف عن طريق كمر العقبة فوجدنا الاهل بذلك المصيف اللطيف على خير حال .

وكان الوالد المرحوم غير راض عن تصرف وكيل الوالي امين بك الشاعر الذي نقل بعد مدة وجيزة وتوجهت الوكالة بالولاية الى المشير عبدالله باشا الجرهمي قومندان القوة العثمانية بالحجاز .

الادارة العثمانية

قبل منشور الكليخانة كانت الدولة العثمانية من عهد عثمان الأول واورخان لا تشبه دول ملوك الطوائف . وكانت نشيطة فنية إدارية حيث قدرها الله ذلك وان تسود الشرق الأوسط والعالم الاسلامي ضامة الخلافة النبوية العربية اليها . فكانت في

طراز إدارتها بالنسبة لعصرها حين ذاك خيراً من سواها .
 وكان اول مقام عرف هو مقام قاضي العسكر وهو القاضي
 الاكبر للبلد الذي يسير مع الجند في الحروب والغزوات ، فاذا
 سار ترك من يخلفه باسم وكيل قاضي العسكر . وكانت للقضاة
 الكرامة التي للقواد . ثم أسست الادارة الملكية وعين لها
 أشخاص يسمون (بيلربه) او (ميرمران) . وفي معينات كل
 واحد من هؤلاء أمراء ديوان على المتصرفيات بعد الولايات منوط
 بهم أمر الجند (الباش بوزق) . واما القضاة فكان يدهم الادارة
 ايضاً فاذا احتاجت الدولة الى حرب وطلبت جنداً قام الميرمران
 مع أمراء الديوان فجمعوا الجموع وتوجهوا الى حيث يطلب
 اليهم .

كانت الحال على تلك الوتيرة او ما قاربها ، برئاسة الصدر
 الأعظم في الديوان الملكي (ديوان هومايون) أما بعد مذكور
 الكليخانة فتأسست الولايات على الطراز الجديد وتأسس الجند
 كذلك تأسيساً جديداً . وبعد اعلان القانون الأساسي سنة ١٢٩٣
 جاء الحكم الدستوري الذي سارت عليه الدولة الى ان انفصل
 عنها العرب .

غزوة عسير طانت نقطة تحول

إن أهم ما حدث إبان إمارة المرحوم من انقلاب فكري جعله يترك التمسك بمحض عثمانيته التركية هو غزوة عسير ، عندما أمره السلطان بان يتوجه الى تلك المتصرفية فينقذ حائيتها من حصار السيد الادريسي . وكان حصار أبي — مركز متصرفية عسير — وقت حركة الامام يحيى وحصاره صنعاء اليمن قبل ان يتفاهم مع الدولة العثمانية بواسطة عزت باشا الصدر الأعظم أخيراً . فتوجه بالتموة العثمانية الموجودة بالحجاز مستصحباً معه الجندرمة الراكبة وقوة هجانة المدينة وألف قوة أسماها (القوة المعاونة) على ان يأتيه المدد العسكري بالتفقدة .

و كنت يومئذ في المجلس النيابي فطلبني ، وأجازني المجلس فالتحقت بالحجاز . وقال لي الصدر الأعظم ابراهيم حقي باشا : الأمير يطلبك ولا بد انه سيكلفك بمأمورية معه . وقال لي رئيس مجلس النواب أحمد رضا بك : لماذا تستعين الدولة بنفوذ والدك ألم يأت الوقت الذي ينبغي أن تتخلص فيه الدولة من النفوذ الشخصي ؟ فقلت له : إنك نائب ويمكنك ان تترك الرئاسة لو كمالك وتنزل الى كرسي النيابة كعضو فتوجه سؤالاً الى الحكومة او استيضاحاً فان ذلك يكون أليق للصنعة التي انت

فيها ، والدولة ستكون في حاجة ملحة الى نفوذ المخلصين من بلاد العرب أجيالا أخرى ان بقيت وبقوا ..

ولما وصلت الى مكة مررت بسمو المرحوم الخديوي ، وكان يعميل - رحمه الله - الى السيد محمد بن ادريس ولعله كان يعضده .
 ولقد بلغني ان الدولة العثمانية طلبت اليه ان ينصح ابن ادريس فنصحته ، وبقيت هذه النصيحة عند ذلك الحد . فلما رأي قال :
 السفر لتأديب الادريسي ؟ قلت : نعم . فقال : الوقت صيف وتهامة حارة فلو أخرت الحركات الى ان يعتدل الموسم ا قلت : لا أدري ولكن ربما توجه الجيش من طريق الشرق والتأخير فيه إمكان سقوط أبيه ، لذلك فالحركة واجبة . فقال : بلغني ان الافكار العربية ممتعضة من هذا العزم . فاجبته بان الافكار هذه لا تصل الى بعض الاخطار الممكنة ، وانه اذا حصل تفكك في القسم الجنوبي من البلاد العربية يجعلها تحت أيد جاهلة تمكن الاجانب من وضع أيديهم عليها . فقال : وفقكم الله ولكن مهما أمكن التمسوا الاسباب الواقية للصحة من الأوبئة والشمس . وفي الحقيقة فانه لما وقعت الكوليرا في العساكر ذكرت تنبيهه هذا .

واقعة فوز أبا العير

وتحرك الركب الهاشمي من الحجاز في حمارة القيظ فوصلنا القنفذة والانسان لا يستطيع ان يطأ الارض المتهبة كالنار . ولم يكن بالتمفدة من عربان البلاد المجاورة أحد سوى أهلها . وكان في الصحبة ثلاثة طواير نظامية يبلغ عددها ثلاثة آلاف جندي . وبعد أخذ الاهبة كانت الحركة نحو (فوز أبا العير) وكان فيه قائد للسيد الادريسي اسمه ابن خرشان ومعه عشائر تهامه . فأمرت ان يصحبني مائتا خيال وألف هجان مع تلك الطواير والمدفعية ، فتوجهنا وكان معي المرحوم فيصل وحيث ان التدريب العسكري للحركات الليلية كان غير كامل الترتيب فلم تتمكن القوى التركية من قطع المسافة في الوقت المناسب إلا بعد تأخر تسع ساعات . فوصلنا الى نقطة بساحل البحر جنوبي القنفذة بها ماء يستطيع الانسان شربه واسمها (أم الدبه) وبعد استراحة ثلاث ساعات تحركنا فادر كنا الزوال ونحن على طرف سهل صلب من رمل دمت ، والبحر بالناحية الغربية وأمامنا وادي (يبا) الكثير الحراج الملتف الاشجار ، والجيش يسير ويتقدمه الطابور الاول ثم الثاني ثم الاثقال ثم الطابور الثالث وعلى الجناح الأيسر القوى الهاشمية والخيال وعليها المرحوم

الشقيق فيصل .

وكانت القوتان تحت إمرتي ، وقائد الطوابير الثلاثة هو القائد زكي بك الجركسي . ولدى وصولنا ذلك المحل عاد الينا ضيف الله العبود أحد الشيوخ ، وقد أرسل ومعه كوكبة من الخيل ليكشف ما وراء الحرجة وما بها ، فقال انها محشوة بالرجال . وفي تلك الأثناء واذا البقية من العميون — أي القوة الكشافة — تعود مسرعة ، واذا المقدمة من الهجاة تعود منهزمة نحو الغرب الى ناحية البحر واذا بجحيم من النار تطلق فجأة من تلك الحراج . فأمرت زكي بك بالتوقف وأشرت عليه بان يسوق الطابور في شكل الصيادة ويكون الطابور الثاني احتياطيه ، وان تقف الأتقال وان تقف أيضاً القوى الهاشمية فاذا دفعناهم وجاء الوقت المناسب أمرت القوى الهاشمية بالهجوم والتعقب من ناحيتها . فحرر هذا الأمر ووقعته ووقعه وأرسلت الى الامير فيصل والى قواد الطوابير فسرنا والتحمنا مع القوى الكامنة في الحراج فدفعناهم وتوغلنا .

وقبل ان يأتي الوقت ويصدر الأمر بهجوم القوة المعاونة وإذا بهم يهجمون مسرعين كأن ليس أمامهم الا زرع يحصد ، فقلت لزكي بك : مر الطابور الاحتياطي يتقدم الى اليسرة — حيث كانت فيه القوة المعاونة — فاني لست آمن عليهم

الهزيمة الآن . فقال انه لا يستطيع ترك القوة الآن ورجاني ان ابلغ هذا الأمر بذاتي . وقبل ان أتم المحاوره واذا بالمرافق يقول لي : أنظر يا سيدي الى يسارنا ! فاذا بالقوة المعاونة ترد لا تلوي على شي . وقد بلغت الى حيث الطابور الثاني وكان يقوده اسماعيل بك ، فقلت : سر بالطابور وخذ موقعاً الى يسار الطابور الاول ، أما القافلة فمرها ترجع الى أم الدبة وليكن الطابور الثالث هو الاحتياطي . واذا بالرجل يمسك بعرف جواده يتقياً ، ولم يكن في حالة ترضيني ، ورأيت فيه من الجبن ما أزعجني ، فكررت الامر فلم يصنع ، وإذا بنا نضرب من الميسرة ضرباً مروعاً .

وبعد ثلاثة ارباع الساعة كان الموقف في غاية الحرجة ، وإذا بفريق من الهجانه فأنخته بين السبخاء والموقع الرملي وشرعت أدافع ما استطعت ، واذا بأناس من المنهزمين يلتحقون بي ، وهم فرسان عرفوا بالنجدة كفاجر بن شليوبح وحيلبيص الشيباني وفهد العرافة بن سهود وبعض الاشراف ، ثم لحق بي الشريف شاكر بن زيد . ولم يكن لنا منهم الا الثبات لتخليص القوة العثمانية من موقعها الحرج . وبالنتيجة لم يسلم من الطوابير الثلاثة الا سبعون تقرأ . ولما أعيدت الحملة والمدافع الى أم الدبة كفت آخر من ترك الموقف بعد ان قتل ابن خيرة امير الجناح

الايمن للقوة الادريسية . ووصلنا القنفذة في اليوم الثاني بخسارة عظيمة . ولو فكر الادارسة ليلتها او الليلة الثانية لقضوا على الجميع . ولكن خسائرهم كانت أفدح .

كانت هذه الواقعة — واقعة قوز أبا العير — والتراجع الذي وقع من القوة المعاونة العربية ، السبب الاول في سوء الظن الموجه الينا من باقي قوات الحملة التركية ، وأولهم الميرالاي نظيف بك ، وكأنهم نسوا ما كان يحق بهم من حركات كهذه في اليمن وعسير وفي جبل الدروز والكرك وغيرها .

وبعد خمسة عشر يوماً تكررت الحملة بقوات جديدة بامرة الشريف زيد بن فواز ، وقد صدر الأمر لي بان أكون أحد أمراء الحملة ، فتوجهنا من القنفذة صباحاً ووصلنا ظهراً الى أم الدبة . وكانت القوة التركية ثلاثة طوابير نظامية كل طابور ثمانمائة وخمسون جندياً بقيادة القائد زكي بك ، وثلاثة طوابير رديف بقيادة القائم مقام اسماعيل بك وكان عدد هذه الطوابير ألفاً ومائتي جندي ، وطابور آخر اسمه طابور اليمن لأنه جلب من اليمن يقوده قائد اسمه ضياء الدين بك ، وعلى المجموعة هذه كلها الامير آلاي نظيف بك . أما القوة المعاونة فكانت هي هي بخيلها وهجانتها .

فتحررنا وقت الظهر ولما وصلنا محل المعركة الاولى وكانت

الساعة الحادية عشرة غروبية ، وجدنا الادارة فقابلونا بنار
حامية كسالف عادتهم . فقال نظيف بك للشريف زيد : ماذا
تأمر ؟ قال : لا أمر لي إلا بعد ان تعرض علي ما تراه انت فاذا
رأيت ما يجب تنبيهكم اليه فعلت . فالتفت الي وقال : ما رأيك
فقلت : الأمر بالميت واستئناف الحركة صباحا لأنني أخشى ان
لا تكون الحركات العسكرية ناجحة ليلا ونحن في ارض دغل
لا نعرف مخارجها ومدخلها . فقال : تقول هذا ليرى الناس
ان سبعة طوابير عثمانية أوقفتمها شرذمة بدوية ؟!.. فجلي بذلك
عما كان يكتبكم . فقلت له : هذا رأي أكتبه كتابة . ثم التفت
الى اليوزباشي أركان الحرب بهاء الدين بك فقال له : ماذا تقول
فقال : أقول ان كل شبر تتقدمه الآن في وقت الغروب والليل
مقبل يسوقك الى الاضمحلال وإني أضمر رأيي الى رأي عبد الله
بك . فقال : أكتب الامر بالميت : آلاي زكي بك الجبهة ،
آلاي سعيد بك الميسرة ، الانتقال في الوسط ، طابور اليمين في
الساقة . القوة الهاشمية المعاونة الميمنة . فلما كتبه عرضه على
الشريف زيد فوافق عليه ، ثم أمرت بان اكون مع زكي بك في
الجبهة وان يكون فيصل على القوى الهاشمية في اليمين . وبقي
الشريف زيد بن فواز ونظيف بك في مقر القيادة .
فتقدمنا تحت وابل من الرصاص وقومنا الجبهة من طابورين

ومن كل طاور فئدة احتياطية له ، والطاير الثالث احتياطي للكل . ونظمت الجبهة في شكل مربع : فنحن جبهتنا الجنوب والآبي سعيد بك جبهته الشرق ، وطاير اليمن جبهته الشمال ، والقوى الهاشمية جبهتها الغرب . وعند إتمام هذا الترتيب حمل أهل اليمن علينا من الجبهة حملة صادقة استمرت ثلث ساعة وقوبلت بحجيم من النار فراجعوا . وبعد ربع ساعة كروا على الجبهة الشرقية فقبولوا كذلك بنيران حامية . على اننا كنا في خطر من نار أتت من جبهة مكشوفة فاضطر كل واحد منا ان يعمل له مجتماً جندياً ، ولما كف هجومهم علا الصياح في اليمين حيث كانت النوبة على القوى المعاونة فترجرت ثم كرت وبعد لأي أوقف الهجوم . ثم كانت الحملة على طاير اليمن فأمد من الاحتياطي العام ولم تدم هذه الحملة كثيراً فراجعوا . وكانت الليلة لبلاء حتى الصبح ، فكانت الطلقة من ناحية أهل اليمن تقابل بألوف الطلقات من هذا الجانب ، وكان يسمع الابهاز حالا من الجبهات بالبوق (اقطع النار اقطع النار) .

وبعد الساعة الرابعة طلبت الى مركز القيادة فحضرت ، واذا بالمرحوم الشريف زيد ونظيف بك يقولان : كانت نجاة القوة هذه نتيجة لرأيك الميمون ، فلو سرنا انكنا في خسران عظيم . فقلت : التجربة السالفة هي التي هدت الى ما وقع . فقالا : كيف

الجبهة ؟ قلت : على ما يرام فكل جندي نال قسطه من العشاء وزود بمطارتين من الماء ، فلا خوف ان شاء الله .

ولم نذق تلك الليلة النوم الا غراراً او نعسه . فلما أصبح الصبح ونادى منادى الصلاة بالبوق اولاً وبالاذان ثانياً ، كبر أهل اليمن من كل ناحية ، وصلت كل فئة في محلها . ثم جلب الحرس الى مصافه وقرأ مفتي الجيش سورة الصف ، وابتدأت المدفعية تصلي الحرجة ناراً حامية فتمسح الارض مسحاً . واذا بميسرة اليمن يقودها الشيخ يطري تتقدم بأعلامها فما ان خرجت من الادغال وتبينت في أرض صحصح حتى باغتها القوي الهاشمية بهجوم بالخييل من ناحية البحر ثم أصلتها المدفعية ناراً حامية ، فاهتزت يمنة ويسرة كشجرة في مهب الريح ثم ولت الادبار فتعقبها القوة الهاشمية الراكبة .

وتقدم آلاي زكي بك وأنا معه ، فلما وصلنا الحرجة لم يرعنا الا وأهل اليمن بما زرعهم وليس على ظهورهم من الغياب شي غير المحازم والخناجر في أوساطهم ، فقابلوا الجيش بطلقة او طلقتين من كل واحد منهم ثم استلوا الخناجر وحلوا تلك العربية فأصلتهم القوة التركية ناراً حامية فوقع أكثرهم وهزم من بقي منهم . وكنا حين ذاك نسمع لعلعة البنادق والمدافع من ناحية آلاي سعيد بك ، ثم أخذت الاصوات تتعد كلما تقدمنا ،

فقال زكي بك : نحن في خطر اذ قد تمكن هؤلاء من إحداث
فجوات بين الميمنة والقلب والميسرة .

وكان مع المقر فئتان ومدفعان ، وبه الشريف زيد بن فواز
والامير آلاي نظيف بك ، فتمال زكي بك : سأمر بالتوقف
وهذه الشجرة الدوحاء علامة لك فاذهب الى المقر وليكن بيننا
وبين قوة سعيد بك التي ينبغي أن تسرع السير حتى توازينا من
يسارنا ، أما القوة الهاشمية فلا سبيل الى اللحاق بها . فلما وصلت
وجدت الشريف زيد بن فواز ومعه مائة وخمسون مجاناً وأرباب
الأسنان من المشايخ والشرفاء ، فسألته عن نظيف بك فقال :
تقدم بالفئتين والمدفعين الى الكعدية — بئر بأعلى يبعي — واذا
بالملك فيصل معه ، فلما سألته عن قواته قال : العهد بها يوم ان
أغارت . فبعثت بمرافي الى زكي بك ومعه من يرشده الى الكعدية
حيث قائد المفرزة والمقر النظامي ، وسرت مع ربيعي فما ان قطعنا
نحو خمس دقائق حتى خرجنا الى أرض جرداء تبينت لنا منها
الكعدية وبها نظيف بك والبلكان الفئتان تضرب مدافعه بالقذائف
الخاصة للرمي من قرب والتي تدعى (شبرا)

ولما برزنا وعلم القيادة معنا ، ورأوا الهجانة ، ترك أهل
اليمين نظيف بك وحملوا علينا فأنحنا ونزلنا فكانت ملحمة من
أفزع ما رأيت . وكان الشريف زيد يصاب أحيانا بالرعاف ولا

يطيق الشمس وهو واقف وعلى رأسه المظلة البيضاء ، فأقول له :
يا عم اندرق هنا فيقول : لو أحببت الاندراق لكنت بالطائف ،
اصبروا سينكشفون الآن .

وهرع الملك فيصل الى الامير آلاي نظيف بك ونحن في تلك
الساعة الكربية ، واذا بحملة الأثقال ومعها طابور اليمن يتصلون
بنا ففقدم ذلك الطابور الشجاع وانتشر حتى كانت أقسامه اليمنى
متصلة بنظيف بك على الكهدية ، وأمر الشريف زيد — ومعه
الشيخ جابر بن هليل عظيم الثبته من عشائر عتيبة — الحملة بالتقدم
وصاحوا : يا حاملوه يا حاملوه ! فحملنا نحن من مرابضنا والعلم
الهاشمي بيد ابن جنح — وكان رجلا طويلا أسمر — وكانت
الهزيمة على أهل اليمن ، ثم أخذنا نسمع أصوات الطلقات من
ناحية المشرق فتبين أنها قوات سعيد بك وقد أقبلت .

وعند وقت العصر كنا بقوز أبا العير وليس من قوات اليمن
أحد ، فقد اضمحلوا وتراجع ابن خرشان الى القحبة . وقبيل
الغروب جاء التقرير الطبي الى مقر القيادة بأن الوفيات في ذلك
اليوم في الجيش بلغت مائتين وثمانين وان الوباء وباء الكوليرا .
وفي اليوم الثالث نزلت القوة الى ثلثها وقدم المرحوم الى القوز .
ولقد رأيت الفقير القائم على خيمتي يقع ميتاً كأنه رمي برصاصة
وأصبحت القوى المسلحة التركية ألفاً وسبعمئة نفر من سبعة

آلاف ، فأمر بالحركة نحو أبيه وكان كلما تقدمنا تناقص المرض . وكانت وقائع في بارق وفي الثنية ، ثم صعدنا الجبل من عقبة ساقين المشهورة ، ولما اجتازناها بعد ثالث أيقنا بالسلامة من شر تهامة وأوبأها .

ثم كانت واقعة سدوان ، ثم واقعة اثني خريم . وكان قائد الأدارة السيد مصطفي الادريسي والسيد الفصالح . وكانت الهزائم تتالي على أهل اليمن . وكانت الفظاعة من الجند التركي في إحراق القرى وتقتيل الأبرياء السبب الاول في الانقلاب الاخير ، حيث قال الامير : ليس من هؤلاء خير للعرب ... ولقد عرضت عليه أربع مرات جئت شويت على النار شيئاً ، بان تدخل أعمدة الخيام من أدبارهم حتى تخرج من أفواههم . وعرض عليه في اثني خريم ست رؤوس مقطوعة وقد وضع ذكر كل رجل منهم في فمه . فقال الأمير لتنظيف بك : وهل هذا يليق ؟ فأجاب تنظيف بك : ألم يحرقوا قلوبنا ؟!

عجيب

الرجبة السلطانية والكرامة

(حادث الشريف ناصر بن محسن)

كانت أوبة المرحوم الوالد من عسير بسبب الخلاف الذي قام بينه وبين القائد والمتصرف سليمان باشا . فان الباشا المذكور قال انه لا يستطيع الاثمار بما يشير اليه الامير به لأنه لم يتلق من الباب العالي أي أمر بهذا ، وأنه يرى ان العساكر النظامية التي وصلت مع الشريف واللواء مصطفى نشأت باشا يجب ان تكون تحت أمره الى ان تأتي الاشارة من الباب العالي موضحة الحقيقة . لهذا ولما رأى بعينه من مثلة في قتلى العرب ومن أفعال جبارة وقعت من الجيش العثماني وقواده ، ترك أبهى وعاد الى الحجاز بالقوات الهاشمية عن طريق الشرق حيث مر بوادي شهران ووادي بيشه تاركاً رنية الى الشرق وسار من أعلى حرة تربة ونزل وادي كرى ، وبناحية الشرق من هذا الوادي تكون قرية تربة وقصر رمادان الذي أيدت فيه القوى المصرية في حركة الوهايبية الاولى ، وبتربة هذه وقعت الهزيمة على الجيش الشرقي الهاشمي الذي كنت أقوده بذاتي يوم تربة .

ثم توجه الى وادي كرى وقد ترك ديار غامد البدو الى يساره

ثم أصحح عندما بلغ جنوب ركة في الخمره — وهو ماء على حد سهل من جبل حيث تلتقي حدود ابن الحارث وغامد وعتيبة — وبذلك المحل جاء المستقبليون من الطائف ومعهم الشريفان عبد الله ابن زيد بن فواز وشرف بن راجح بن فواز . وجاء من الخمره خالد بن لؤي — الخارج على قومه أخيراً — وغالب بن لؤي ورؤساء العشائر بأجمعهم .

ثم توجه مغرباً الى الطائف فر بوادي النفعة — وهو واد به النخل الكثير الفاخر — ومضى في طريقه ماراً بوادي لية حيث قدم كاتب الولاية موفداً من الوالي والمير آلاي أحمد بك موفداً من الكومندان منير باشا . وكان الكاتب أسر الى الامير بان الشريف ناصر بن محسن — أحد ذوي غالب — أشاع الهزيمة عن الجيش العثماني والشريف وان الشريف قد قتل ، الى غير هذا من الارجيف .

ولما وصل الى الطائف في اليوم الثاني ، واذا في مضارب المستقبلين هيئة الحكومة وفيها ناصر بن محسن هذا ، فلما رآه أمر باخراجه إخراجاً عنيفاً ، فقال الوالي : عفواً يا سيدي فانه قد جاء معي .. فقال : وإن كان جاء معك ؟ فقال الوالي : أنا ممثل السلطان وهذه المعاملة تحقير للسلطان نفسه .. فأجاب رحمه الله على الفور : هل تركتم ناحية من السلطان لم تحرقوها ؟ أنا

عمثل السلطان هنا لا أنتم.. ثم التفت الى قاضي مكة والى القومندان منير باشا فسأل عنهما ، ثم فتش الجند وركب الى دار الامارة . وقد التفت الينا وهو يصعد الدرج وقال : ربما ان ما فعلته لم يروقكم . فلم يجب أحد بكلمة . فقال : أنا عالم بما لا تحبون ، ولا ضمير فعمى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم .

وبعد ثلاثة ايام وردت برقية من الصدر الأعظم يقول فيها : لقد بلغت المسامح السنية المعاملة الشديدة التي وقعت من ذاتكم الهاشمية على الشريف ناصر بن محسن الذي هرع لاستقبالكم مع عطوفة حازم بك والى الحجاز ، فالرغبة السلطانية منصرفه الى استدعاء الشريف الموما اليه الى مقامكم السامي وتلطيفه وارضائه .

فأجاب :

بما ان الأسباب الموجبة لما نال الشريف ناصر بن محسن من زجر وإخراج لا تتعلق بي شخصياً ، فانا لا أرى أن علي إظهار الندم على ما فعلت. إن ما أشاعه الموما اليه من أخبار اضمحلال القوى التي كانت معي وإبادتنا لم يقصد منه الا ايجاد حركة ثورية هنا أيضاً ، فهو يستحق ما وقع عليه . وقد بلغني الخبر من كاتب الولاية ، ثم جاء به الوالي وهو يعرف ذلك . وما في هذا من المداهنة والفساد ليس من خلقي .

فجاء الرد على الفور من الصدر الاعظم يقول :

إن الباب العالي لا يستطيع غض النظر عما في كسر
الرغبة السنية التي تبلغتموها بالبرقية السابقة التي
نؤيدها بهذه مردفين انتظار جلالة السلطان النتيجة .

فأجاب للحال :

إنني مع كرامتي لنفسي الرجل الذي يعتبر حسب
القاعدة الثاني بعد ولي العهد في المكانة ، ولا أظن
ان الرغبة السنية تقصد الحط من هذا المركز القديم .
والباب العالي الذي لا يستطيع غض النظر عن نفوذ
الذات السنية كيف يوجه هذه التهمة الشائنة الى
رجل لم ينفذ بعد غبار السفر عن رجله في مجد
السلطان ؟! وعلى أي حال فالباب العالي حر في ما
يجب ان يفعل .

فسكت الباب العالي .

وهل شهر رمضان وكانت القطيعة بين هيئة الدولة والامارة
طول الشهر . وفي ليلة العيد جاء قائد الجندرمة عثمان بك الى
دائرة الأنجال وقال للمرحوم الملك علي : لقد وردت برقية الى
الوالي بأن يزور الذات الهاشمية معترداً ، فهل يقبله سيدنا ؟ فقلنا
لا شك ، ولكن تفضل اعرض عليه ذلك . وبعد الاستئذان ،
ولما مثل بين يديه قال له عثمان بك : كيف حالك ؟ وما سبب

انقطاعك ؟ فقال له : أما أنا فكما تعلم الدولة ، ان انا عجزت عن المحافظة على حقوقي ، فاني عاجز عن المحافظة على حقوقها . فتقدم عثمان بك وقبل يده وعرض عليه ما جاء به . فقال : مرحباً به ، وهو زميلي السابق اذ كنا جميعاً في دائرة الداخلية لشورى الدولة ، وليكن الاجتماع غداً في مصلى العيد ثم يأتي بميعتي الى دار الامارة ثم نزور الولاية والقيادة كالمعتاد ، فان هذا أليق وأجمل . فوقع ذلك كما أراد .

ثم أعقبت هذا وثبة ايطاليا على طرابلس الغرب ، فأبدل الصدر الأعظم ابراهيم حقي باشا بالصدر الأعظم سعيد باشا المعروف بشابور سعيد ، فأبرق اليه الامير يقول :

أرجو ان تلاحظوا البرقيات المتبادلة بين الصدارة والامارة من تاريخ كذا الى تاريخ كذا وبها تفاصيل الحادث .

فكان أن نقل الوالي حازم بك الى ولاية بيروت بعدثمان وعشرين ساعة . وعندها قال لنا رحمه الله : لو طأطأت رأسي لما أرادوا لما رفعت ذلك الرأس أبداً ..

وكان الصدر السابق ابراهيم حقي باشا يلتزم الوالي حازم بك ويوم وداعي حقي باشا — وانا قاصد الى الحجاز عندما طلبني المرحوم الوالد لأكون بالخدمة في ذلك المغزى — قال لي : ان

سفير بريطانيا العظمى يشتكى من سعود بن عبد العزيز بن سعود (المشهور بالعرفافة) بأنه بسبب المساعدات المتوالية له من سيادة الشريف ينحرب على امير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، وان هذا الامير له صلة عهد بحكومة الهند وانه يطلب كف يد المذكور عن هكذا حركات . ثم قال : أقبل أيـاي الامير وأرجوه ان لا يفتح علينا باب إشكال مع بريطانيا فأنا على غير استعداد لمجاراته ، ومسألة الكويت لا تزال نصب العين .

لقد كان بعد أوبة الوالد من عسير الى الحجاز أن أخذ رحمه الله يضع أسس النهضة .

مع اللورد كيتشنر

كانت الدورتان الاولى والثانية اللتين حضرتها في مجلس المبعوثان دورتي تعرف واطلاع . أما الدورة الثالثة فقد حدث فيها عزل والي الحجاز وقائده الفريق منير باشا وتعيين الميرآلای وهيب بك والياً وقائداً في حكومة سعيد حلیم باشا الصدر الأعظم بعد مقتل سلفه محمود شوكت باشا .

و كنت حين ذلك في طريقي الى اسطنبول لحضور المجلس ، فلما وصلت مصر علمت ان الوالي الجديد عبر ترعة السويس الى

جدة وان معه جنوداً كثيرة . لقد جاء الحجاز متممراً .

وقبل ذلك بسنة وانا في مصر بحضرة الخديوي المرحوم في الساعة الثالثة بعد الظهر ، جاء رئيس التشريفات وأخبر الخديوي بان اللورد كيتشنر قد حضر . فقمتم مستئذناً فقال الخديوي : لقد علم انك هنا وليس من اللياقة ان تخرج فاصبر لأعرفك به . فدخل اللورد بقامته الطويلة وسلم على الخديوي فقال له الخديوي هذا الامير عبدالله بن أمير مكة الحسين بن علي ، ثم قال لي : هذا اللورد كيتشنر قنصل عام بريطانيا بمصر ، فتصافحنا . ثم قال له : هذا يد والده الفعالة وقد أصيب بجراح في إحدى غزواته فأشار كيتشنر الى عنقه وقال : وهذه إصابة أصابني في حرب السودان . فقلت مازحاً : انك يا نخامة اللورد هدف لا يخطأ ولكنني أقصر منك قامة فكيف أصابني ذلك البدوي !؟ ثم استأذنت وخرجت ، وكانت هذه المقابلة بسراري القبة وانا نزيل قصر عابدين .

وبعد وصولي الى عابدين بساعة ونصف جاءني التشريفاتي علي بك شاهين وقال : اللورد كيتشنر هنا وقد جاء لزيارتك . وكانت مباغمة خفت عاقبتها على سياسة والدي مع الأتراك . وبالطبع لم أستطع رفض زيارة تكريمية ، فدخل ومعه مستر ستورس (سير لورانس ستورس) الكاتب الشرقي بالقنصلية

البريطانية . ولما استقر بهما المكان قال الترجمان بيننا ستورس :
 اني مغتبط بالتعرف اليك وأستطيع بمناسبة هذه
 الفرصة السانحة أن أبلغك رضى حكومة جلالتك
 البريطانية عن الحالة الراهنة في الحجاز حيث الأمن
 وراحة الحجاج بالحج وزيارة النبي ، وانني أطلب
 تبليغ هذا لصاحب السيادة العظمى الشريف ، وان
 حكومة جلالتك لا ترضى بأي تغيير هناك .

وبعد تناول القهوة قام وانصرف .

ثم جاءني رسول الخديوي يقول : إن لورد كيتشنر قد زارك
 ومن اللائق المقتضى ان ترد له الزيارة . فأربتكني هذا التكليف
 وقلت : أفعل ان شاء الله . وعلى الفور قصدت دار المنسذوب
 السامي التركي الوزير محمد شريف رؤوف باشا فأخبرته بالزيارة
 وقلت له : هل تأذن في ان أرد له واجب زيارته ؟ فقال لا بد
 من ذلك ولا بأس . ورجوت علي بك شاهين ان يرى الوقت الذي
 لا يكون اللورد كيتشنر فيه بدار التصلية العامة كي اصحل فجأة
 وأترك بطاقة زيارة ثم أخرج ، فقال : لا يكون اليوم بعد
 الظهر هناك .

وبعد الظهر أخذني علي بك اليها فلما وصلنا الى الباب الخارجي
 الكبير وإذا باللورد يستقبلني من الباب فدخلت وجلسنا ثم أشار
 لعلي بك بالخروج فخرج وانثنى الي يقول : اذا حدث أي حادث

تحتاج فيه الى أي خدمة أقدمها فاني مستعد . وبعد ان تناولنا الشاي قال :

لقد وصل علمنا ان في نية تركيا القيام بتغييرات أساسية في بلاد العرب ، فاذا كان من جملة هذه الاجراءات أي تغيير في شخصية الأمير فهل سيرضى سموه بذلك ؟ قلت : إن الشريف في العرف موظف من حق السلطان تغييره ، فهو لا يعارض ان وقع ذلك ولكن اذا رأى ان الدفاع من منفعة الوطن المقدس فهل تساعدون الامير في دفاعه أنتم ؟

فأجاب :

إن بيننا وبين تركيا صداقة تقليدية لا تبيح لنا التدخل في شؤونها الداخلية .

فقلت :

كم لكم قدرة عجيبة على تكوين الأمور حسب مشيئتكم ! فهل يسمح لي اللورد ان أسأله عن الكويت عندما تدخل في شأنها حاكم الهند الب قائم مقام الكويت مبارك الصباح ، أم تكن الكويت جزءاً متما من البلاد العثمانية ؟

فقال :

أنت صريح خطر وسأبلغ حكومتي ما سمعت .

فقلت :

إن هذا لا يستحق التبليغ فالحديث مجرد ملاحظات

قال :

وإن كان ...

رجل من رجال ذلك العصر

(الصدر الأعظم سعيد حليم باشا)

سافرت الى اسطنبول ووصلتها فألقيت جرائدها أتحدث عن زيارة اللورد كيتشنر إياي وردي الزيارة له باهتمام كبير ، وكتبت احداها تحت عنوان « ماذا يجري في مصر ؟ » تقول :

إن الشريف عبدالله بك نجل أمير مكة الشريف حسين باشا ينزل ضيفاً على الخديوي . وفي هذه المرة أقيمت له حفلة غداء رسمية حضرها وزير الخارجية المصرية وكانت الموسيقى الخديوية تلحن ألحاناً معينة أثناء الغداء . وقد زار اللورد كيتشنر الشريف عبدالله بك ورد هذا الزيارة له . وقد حج الخديوي كما هو معروف . فيا هل ترى ماذا يجري بين سمع الحكومة وبصرها ..!

فذهبت الى الصدر الأعظم سعيد باشا وحدثته بشأن تقولات الجرائد وقلت : لم أرد الزيارة الا بعد ان استأذنت المندوب السامي العثماني بمصر محمد رؤوف شريف باشا . فقال : لا تحفل بتقولات الجرائد .

وهذا الرجل له من المقدرة ما يوجب الحيرة . زرته أثناء

حرب ايطاليا والدولة العثمانية بطرابلس الغرب ، فلما سمع بوجودي في داره طلبني فدخلت عليه وهو مصاب بالعنكز (جدري الماء) وهو في سن الشيخوخة . فلما أقبلت عليه استوقفني فوقفت ولا أدري ما يريد ، واذا به يضع يديه على ذراعي الكرسي وينهض يرتعد حتى قام واقفاً ، وحين ذلك أشار الي أن أتقدم فدنوت منه فقال : لولا ما بي لقبلت يدك .

وجلس وأمرني بالجلوس ، وكان يلبس ثوباً وعليه فرو من الأملح وعلى رأسه طاقية ، أشعث اللحية والشارب داخل بعضهما في بعض ، وقد أخرج أسنانه الصناعية من فمه ، وكان اذا تكلم تخرج الكلمات منه أشبه بطبطقة الماء يسقط في الماء . قال : الحال كما ترى ولا معين لي من رفقائي ، وهذه إحدى خطيئات الاصول النيابية في جعل الوزراء من الأعضاء المنتخبين الذين لا خبرة لهم في شيء . ثم وضع يده على زر الجرس ، ولما حضر القائم على الخدمة ، طلب رئيس الكتاب ومعه كاتبان آخران ، فحضر الجميع وأمرهم ان يكتبوا ما سيمليه عليهم من برقيات ، وابتدأ يملي على الثلاثة ، فأملئ على الاول :

ولاية بيروت العلية :

علمت من وزارة الحربية الجليلة بهجوم الأسطول الطلياني على المدفعية العثمانية « عوز الله » الراسية في

ميناء بيروت وضربها بالمدافع قبل ان تتم مدة الانذار المعطاة لها وهي نصف ساعة وتحطيم المدفعية المشار اليها وإغراقها وإغراق المدمرة «برق سطوت» معها وان المدينة ودار البلدية أصيبتا بنحسارة وان هناك قتلى وجرحى من الأهلين وان الغوغاء هاجمت المخازن العسكرية فنهبت الأسلحة والعتاد وان المدينة في فوضى . فعليه ينبغي الاجتماع حالا من طرفكم بقناصل الدول المعجبة والمخارة مع قائد المركز ليخار المشيرية بالشام جلب خمسة طوابير من الرديف لاعادة الأمن حالا واسترجاع الأسلحة والعتاد من الأهلين . وإن مسؤولية ما وقع عائدة عليكم حتى تتبين حقيقة الحال . ولقد علمت ان لا علم لدى وزارة الداخلية بكل ما جرى وفي هذا مزيد الأسف .

وأمل على الثاني :

وزارة الخارجية الجليلة :

لقد هاجم الاسطول الايطالي المدفعية العثمانية الملكية «عون الله» والمدمرة «برق سطوت» داخل ميناء بيروت وأغرقهما قبل ان تتم مدة الانذار المعطاة لها وهي نصف ساعة ، وتضررت مدينة بيروت غير المحصنة بالقصف الواقع . فالحكومة السنية تحتاج لدى الحكومات المعجبة على هذه المعاملة غير القانونية

مستندة على مقررات مؤتمر لاهاي . بلغوا هذا
الاحتجاج الى السفراء العثمانيين لدى الدول العظمى
كما يجب ان تبلغوه سفراء الدول العظمى هنا .

ثم أملى على الثالث :

وزارة الحربية الجليلة :

أشكركم على سرعة إخباركم بحادث بيروت . بلغوا
المشيرية بالشام تهيئة خمسة طوابير من الرديف
وسوقها الى بيروت لتعيد الأمن وتسترد الأسلحة
والعتاد المأخوذ من مخازن الجيش .

كان يملئ هذه البرقيات الثلاث على الكتبة الثلاثة في آن واحد
بحيث أنه حينما ينتهي أحدهم من الجملة ألحقه بتالية وهكذا
بالتناوب ، وهو في حالة المرض . ثم أخذ هذه الأوامر الثلاثة
ووقعها وقال : خذوا صورها منها .

ثم قيل له : ان عاصم بك وزير الخارجية هنا : فقال ليدخل
فدخل وجلس وقال : لدي معروضات يا سيدي — ونظر الى
ناحيتي يشير الى لزوم سرية المحادثة — فقال : أقدم اليك يا
حضرة الوزير الشريف عبدالله بك مبعوث مكة المكرمة ونجل
الشريف الامير فانه يحرس أسرار الدولة مثلي ومثلك فقل ما
تشاء . فشكرت الصدر وتظاهرت بانني أحب النظر الى الشارع
فقممت الى الشباك ثم تسلفت خارجاً الى الصفة وتركتهما وشأنهما

فلما خرج وزير الخارجية ورآني بالصفة احمر وجهه ثم قبل يدي
وقال : ان شاء الله أزورك ببيوك دره بقصر كم الجميل وخرج
ودخلت وبعد ان أتممت مهمتي مع الصدر خرجت .

أهدأت في الحجاز وأهديت في مصر

عندما وصل الوالي والكومندان وهيب بك الى الحجاز ،
كنت انا قد خرجت من الحجاز في طريقي الى مصر فالأستانة .
وقد تصادفنا في البحر الاحمر ، وهو في بواخره وانا في الباخرة
التي انا فيها . ولقد جاء معه قوى جديدة . وكان في عزل
الوالي والقائد السابق منيف باشا الانذار بتغير السياسة العثمانية في
الحجاز ، حيث لم يكن من داع لعزل ذلك الرجل المستقيم إلا
أنه لا ينتمي الى حزب الاتحاد والترقي .

ويوم ان تركت مكة كان الشريف زيد بن فواز في مرض
موته ، وقد سافر معي ابنه شاكر كعادته ، وما كنت أريد
سفره معي لعلته والده ، لكنه قال له : سافر فيقاؤك لا ينفعني
وسفرك فيه الرفقة لعبدالله . ولما وصلنا السويس وسألنا عنه
بالتلغراف جاء الجواب السامي بهذا النص « البركة فيكم » فعلمنا
بما حدث . وكان الركن الأهم في الحجاز ، فوته ومجي وهيب

في وقت واحد فيه ما فيه مما يربك الرجل الممتاز الثقيل . ولقد كان في محي^ة وهيب على هذا الشكل السبب المعجل لمرضه فوته .
ولقد قال لي قبل مرضه : بلغني ان الوالي الجديد لا ينوي الخير بنا ، أما انا فرجل له خطته وأما سيدنا فلو أخذ من هنا لما عشت دقيقة واحدة ، فماذا تقول ؟ فقلت : لا تتوهم فالترك يتظاهرون ولا يفعلون ، والوقت وقت تفاهم وثبات ، وانا مسافر وفي سفري أستطلع الأمر . فقال : وهل في سفرك نفع ؟ لو بقيت هنا فخدمت سيدنا برأيك واذا اقتضى الحال ففي الدفاع بحسن قيادتك لكان ذلك الأولى ، أما انا فلا أعتمد على نفسي في أنه بقيت في بقية تتحمل أي صدمة . فقلت : الامر دون ذلك ان شاء الله . ثم استحلقتني وقال : أقلت ما قلت لتطمئنني ؟ فأجبت : لأطمئنك بالحق وهو الذي أعتقده . وقد خرجت من عنده وعلى وجهه أثر البشر .

ولما وصلت مصر لبثت أياماً بضيافة الخديوي . وقد زارني اسماعيل حفي بك — الكاتب الاول للمندوب السامي العثماني بمصر محمد شريف رؤوف باشا — وقال لي : تلقت دار المندوب السامي من وزير الخارجية الصدر الأعظم سعيد حليم باشا يطلب سرعة قدومك الى اسطنبول . فقلت : لا يزال بيننا وبين افتتاح المجلس شهر ونصف ، ولي أشغال هنا أريد إتمامها ، وسأسافر بعد

ذلك فوراً ان شاء الله . نخرج من عندي بهذا الجواب .
 وفي اليوم الثاني وبينما انا عند الخديوي حضر الصدر الأعظم
 الأسبق فرود باشا ، فلما رأياني قال لي : ماذا تصنع هنا ؟ قلت :
 أنا في طريقي الى الاستانة . فقال : كيف تذهب الى الاستانة
 وترك والدك في الحجاز وقد حضر وهيب بقوات عظيمة بقصد
 عزله ؟ قلت : كما تعلم أبهتكم فان الامير من جملة رجال الدولة
 واذا أرادت الدولة تبديله فما من حاجة الى ايجاد عساكر او قوة
 فقال : ما الفائدة من هذه الرشوة الكلامية ؟ أتظنني أستطلع
 خفاياك ؟ أنسيت اني ألباني وان ما فعله هؤلاء من رجال الدولة
 قد قضى على آمال بلادي وعثمانيتها وأنتم كذلك ؟ قلت له :
 إنني في طريقي الى اسطنبول ، وأنا أعتقد ان لا خلاف يصدر
 من والدي ضد ما تريده الدولة مهما كانت صبغتها . فقال الخديوي
 للصدر الاعظم : هو لا يسافر قبل حلول وقت المجلس .

وخرجت من عندها الى محلي وأنا في غاية القلق ، وفي ذلك
 المساء وردتني برقية بامضاء الملك علي يقول فيها « سافر الى
 اسطنبول حالا » . ولما كنت شديد الحذر ولما كانت إدارة
 البرق والبريد تركية شككت في ان تكون تلك البرقية صدرت
 من أخي علي حقيقة ، فأجبت « سأسافر عند انقضاء أشغالي »
 وقد أشار الي الكاتب الاول للكوميسير العثماني العالي اسماعيل

حقي بك فأجبتته بذلك »

وقد علمت أنه قد حصلت في الحجاز أزمة شديدة بسبب ضغط الوالي على العموم وعزمه على تطبيق قانون إدارة الولايات في الحجاز ، فاعترض الرأي العام الحجازي على هذا وتجمهرت الامة وانقطعت السابلة بين الساحل والداخل وبين المدينتين وتبدت أشباح المجاعة . وزار والدي الوالي وقال له :

هذا انت ترى رغبة الشعب الحجازي في التمسك بحقوقه القديمة وبالشروط التي بويج بها السلطان سليم الاول بالخلافة. فان أحببت عدم اعتبار هذا وكانت في يدك أوامر من الدولة بتطبيق قانون الولايات على هذه البلاد وسلخ امتيازاتها فأرنا هذه الاوامر التي لم تأتي عنها من الباب العالي أي إشارة . واذا كان المقصود إجراء تبديل في الامارة فما أنا ذا باق هنا الي ان تأتي الباخرة التي سأسافر بها من جدة ، لئلا يقع ما تسند تبعاته الي .

و كانت دار الحكومة من غرفة الوالي الي الشارع الي دار الامارة الي قشلاق جرول وقلعة جيار وسائر الجواد ، ملائي بالرجال يصيحون بسقوط تغيير امتيازات الحجاز ويطالبون بعدم مد السكة الحديدية من المدينة الي مكة ويهتفون بالأمير «دم دائما» فتزلزل الرجل وارتيك وأخذ يقول : ليس من هذا شي ...

وكتب برقية مستعجلة بالواقع . وخرج الامير بين الهتاف العالي
« دم دائماً » وبقي وهيب وهو يعلم أنه قد خذل .
وفي مساء ذلك اليوم ، أخذ الدفتردار و كومنندان الجندرمه
الامير آلاي سعيد بك بالقوات التي كانت معها في طريقها الى
جدة بالحديبية ، فأسر بيد العشائر وحصرت كل النقاط العسكرية
بين جدة ومكة ، وامتنع أهل الاودية من جلب الخضار
والفواكه والسمن والاغنام الى مكة . ولم تنفرج الازمة الا
بورود البرقية الجوابية من الصدر الأعظم للامير بان لا إخلال
بحقوق الامارة وبامتيازات الحجاز وان الدولة في الوقت الحاضر
لا تلج في مد الخط الحديدي . وتليت هذه البرقية في المسجد
الحرام فعادت المياه الى مجاريها .

ثم تلقت برقية ثانية بامضاء الملك علي يقول لي فيها : سافر
حالا الى اسطنبول . فأجبت : لا باخرة قبل يوم السبت .
وورد البريد من الحجاز بتفصيل ما ذكرت الان ، فجاءني
السير رونالد ستورس وقد أرسله اللورد كيتشنر ويده كتاب
بعنوان السفير البريطاني باسطنبول يقول فيه « متى احتاج الامير
عبدالله الباخرة الحربية المخصصة للسفير البريطاني فاجعلوها تحت
أمره » . وقال لي : يرجوك اللورد ان تقبل هذه الخدمة ،
وتدفع هذا الكتاب للمستر فيتس موريس كاتب السفارة الذي

سيقابلك في الباخرة بأزمير ليتناول هذا الامر . وقال لي : لا بد لك من ان تعلم أنه إذا دافع سمو الشريف عن حقوقه بالحجاز فالحكومة البريطانية التي ليس لها أي حق في التدخل في شئون داخلية لدولة صديقة ، لا ترضى أبداً بدوام أي حركات تسببها تركيا ضد السلام الحاضر في بلاد الحج .

فعلمت انه يريد أن أكتب بذلك الى مكة ، فقلت له : وكما حملتني هذا الكتاب سأرجوك ان تبعث بكتابي هذا الى القنصل البريطاني بجدة كي يتوسط بارساله الى مكة عن يد مأمور العربان وكتبت الكتاب وختمته بالشمع الأحمر ، وهو لا يدري ما فيه وسافرت وسافر معي رفقائي .

في الاستانة

(مع الصدر الأعظم في داره)

ولما وصلت الاستانة رأيت ابن عمي الشريف ينتظر على الرصيف . أما الكتاب فقد أخذه (فيتس موريس) بأزمير . وكان مع الامير جميل رجل اسمه طاهر افندي وكيل أشغال والده الامير زيد أخي ، فقال : هيا بنا الى الصدر الأعظم — وكان الوقت ليلاً — فقلت : ولماذا الآن ؟ قال : هو يريد

ذلك .

فركبنا السيارة الى الباب العالي ، فقالوا إنه خرج الى داره فيممتنا داره ولحقناه في طريقه بعد ان اجتاز الجسر ، ووصلنا منزله قبله فأخذنا الى بهو الاستقبال ولم يكن هناك أحد ، فقال لي طاهر افندي : أرجوك ان تبلغ سيادة الامير أن لا يتأخر في مصر إن هو عزل ، كما فعل الشريف علي باشا . فقلت : دون عزل الامير خرط القتاد . فقال لي : أسكت .. إن للجدار أسماء . فقلت : لا أخفي ما أقول .

وإذا بالصدر قد وصل ، فلما دخل هس متصاحكا وقال : مرحباً مرحباً ، أبطأت علينا بمصر ونحن في حاجة اليك . فقلت لها أنا ذا حضرت وما كنت أحسب ان لكم في حضوري أي رغبة شديدة . فجلس وقال لي : كيف ، وقد بعثت اليك ببرقية مع اسماعيل حقي بك بعد الخبر الاول قلت فيها انني أنتظر قدوم الامير عبدالله وأرغب تبليغكم إياه ، وان الاشاعات التي راجت عن شخص سمو الامير بمكة لا أصل لها من الحقيقة ، وان رضا الخليفة الأعظم عن سموه لا يتزلزل ؟ ... فقلت : هذه البرقية هي التي أخرجتني . قال : ولم ؟ قلت : لأنها ذكرتني ببرقية محمود شوكت باشا لو الذي قبل خلع السلطان عبد الحميد بيومين ، التي يقول فيها ان جيش الحركة قد توجه الى اسطنبول ونيته

الاصلاح وان الحوادث عن الذات الملكية لا أصل لها من الحقيقة . فضحك بصوت عال وقال : لا ، لا ، لا ... هذا التفكير غير موافق للحقيقة واني آسف لأنه أقلقك . فقلت : انني مازح وها أنا ذا الآن جئت ، وان أبي يقرئك السلام ويقول انه لا ينتظر أن يدافع عن حقوق الشرافة وعن مقام آبائه وأجداده في عهد صدارة سعيد حلیم باشا حفيد محمد علي باشا الكبير صديق البيت . قال : ولم ؟ إن كل الأمور سويت وقد رضي الامير عما عرضناه عليه وأنا أرجو ان تراني غداً في الباب العالي في الساعة الرابعة بعد الظهر بعد ان تتقابل وزير الداخلية طلعت باشا ووزير الحربية أنور باشا قبل الظهر . فقلت : أنا لا أذهب اليهما وانا مبعوث مكة ولا علاقة لي بهما ولست بالموظف وان كانت هنالك أي رغبة سامية منكم فأنا أنتظر الدعوة منهما بعد تعيين الوقت ، وقد عرفتهما في أنهما لا يقابلان من يزورهما بدافع من نفسه . فقال : ستأتيك الدعوة . فخرجت .

مع طلعت باشا

فلما أصبحت ، أبلغت ان طلعت باشا وزير الداخلية ينتظرني في الساعة التاسعة بالباب العالي ، وان أنور باشا ينتظرني في

الساعة العاشرة والنصف .

فذهبت في الوقت المحدد . وبينما انا أصعد الدرج الى دائرة الداخلية واذا برجل يضع يده على كتفي ويقول : نحن نبحث عنك بمصر واذا بك هنا ... فاذا هو طلعت باشا ، فاخذ بيدي وصعد الدرج اثنتين اثنتين ودخل غرفته ثم جلس وأجلسني أمامه ، وبعد المجاملات قال لي : انحلت الأزمة بالحجاز فأعلمني ماذا جرى ؟ قلت : لا أعلم لي بما جرى لانني كنت بمصر ، والتفصيلات هي عندكم ، ولكن الذي أعلمه إجمالا هو ان ما حدث ليس إلا نتيجة طبيعية لسياستكم أنتم الاتحاد والترقي ، وسياسة الشريف . قال : كيف ؟ قلت :

أنتم تريدون إخراج الحجاز من صيغته الخاصة الى ولاية عثمانية بحري فيها ما بحري في سراها . وسياسة الشريف سياسة محافظة تريد إبقاء كل شيء على ما كان عليه ، وهو يظن ان غاية ما ترجوه الدولة هو استتباب الأمن وسلامة المواصلات وأمن الحجاج . وأنتم مع رغبتكم في هذا تريدون كما قلت اتقا جعل الحجاز خاضعا لثمانون الولايات . ولوجعلتم الشرافة تخدم الدولة في الحجاز وعلى تأسيس روابط الاخوة الاسلامية الحقيقية بين العالم الاسلامي وبين دولة الخلافة لعلمتم ان مكة هي القلب النابض لهذه

السياسة وان الشريف هو المنظم لهذا القلب وشرابينه
وان فائدة الدولة من تعضيد الحجاز لها أكثر بكثير
مما ترجونه من تطبيق قانون الولايات عليه .

فقال : ولم يمانع والدك في بناء الخط الحديدي ؟

قلت : لم يمانع والدي في ذلك . ولكن نسيت ان الاسباب
الموجبة التي دعت السلطان عبد الحميد الى بناء هذا
الخط كانت ترمي الى غير ما تبنون انتم عليه سياستكم
هو كان يظن ان في تجربة كهذه دعابة عظيمة
لشخصه ، وكان يود كما تعلمون ان يومي ايماءة
خفيفة الى روسيا بان الخطوط الحديدية العسكرية
هي الاشارة الى نواحي الخطر العدائي وان في بناء
هذا الخط الى الجنوب مع خط بغداد — الذي أعطي
امتيازاه الى الالمان — الاشارة الى ان الخطر متوجه
الى الدولة العثمانية من الناحية الانكليزية لا من ناحية
روسيا ، وان إغفال مد السكك الحديدية الى شرقي
الاناضول هو الاستخذاء للروس وعدم الرغبة في
تهييج عواطفهم . والذي يهم الشريف اليوم يجب
أن يهتمكم أنتم ايضاً ألا وهو بناء سياسة إسلامية
مركزها الحجاز والأمن عليها الشريف . وإتمام
هذا الخط يعني إيجاد أشغال تدعو اليها الذين يحمون
اليوم بممارسة صناعة النقل على الجمال في الحجاز
وتعليم الحجاج الطواف وكيفية زيارة المصطفى صلى

الله عليه وسلم ، وليست هذه الوسائل معدومة
هناك . هذا ما عجز الشريف عن إفهامكم إياه
وعجزتم أنتم عن فهمه .

فرأيت التأمل يبدو على وجهه ، وقال لي : نجتمع غداً في
حضرة الصدر في بيته في الساعة الحادية عشرة ، واني أشكرك
على ايضاحاتك .

عبد العزيز شاويس

وذهبت في الوقت المحدد الى أنور باشا . ولما وصلت الى
الباب في مركز السر عسكر واذا بالجنود يطلبون وثيقة او بطاقة
زيارة فقلت : لا أملك هذه ولا تلك ولكن وثيقتي عمامي وقد
جئت بطلب . ففتحوا وتقدمت ، وفي الباب الداخلي أيضاً
أخذت الى غرفة بها اكثر من عشرة أشخاص يكتبون ، فلما
رأوني على الباب ظهر لي أنهم استئقلوا الجبة والعمامة ، فقالوا :
لعلك غلطت ليس هذا بالمكان الذي تريده . فقلت : نعم ليس
هذا بالمكان الذي أريده ولم أغلط ولكني هديت الى هذه الغرفة
وانا فلان بن فلان جئت على وعد من وزير الحربية في هذا
الوقت فكيف الوصول اليه ؟ فقاموا بأجمعهم معتذرين ، ثم كلم
الضابط المدير مرافق الوزير بالهاتف فجاء الرد وأخذني اليه ،

فصعدت وأدخلت بهو الانتظار .

ورأيت في أقصى البهو اربعة من الذوات عليهم الشكل المغربي
 فجلست الى الباب وهم بأعلى مكان من البهو ، فتهامسوا وتذاكروا
 فجاءني أحدهم وبعد ان سلم قال لي : إن هذا هو عبد العزيز
 شاويش يبلغك التحية ويدعوك الى حيث هو . فقلت : اقرئه
 السلام وقل له ليتفضل هو إن كانت له بي حاجة ، أما انا فليست
 لي به حاجة . فذهب اليه وبلغه فجاء ومن معه وبالطبع قمت لهم
 وبعد ان تصافحنا جلس وقال :

ما هذه الحالة بالحجاز ؟ كلما أرادت الدولة ان تقوم
 بمشروع إصلاح أوجد لها سيادة الامير أنواع
 المعارض ؟ مثال ذلك الخط الحديدي وعدم الامان
 في الطرق ! والآن ستنشأ بالمدينة المنورة كلية
 اسلامية عهد الي برأسها ، وقد علمت ان الشريف
 يعارض أيضاً في هذا المشروع وان هذه المعارضات
 مستوجبة كدر الخليفة الأعظم ، فان كان هناك
 أي سبب معقول فانا على استعداد لازالة أي خلاف
 بين والدك والدولة . وما وقع أخيراً في الحجاز من
 صد الوالي النبيه والقائد المحنك وهيب بك عن القيام
 باصلاحاته المرسومة ، أمر استوجب استياء أهل
 الاخلاص .

وسكت ، فقلت له : أتممت ما تريد ان تقوله ؟ فقال : نعم

وفي تلك اللحظة جاء مرافق الوزير وقال : عذراً ، انتظروا
عشر دقائق فإن المشير فون ساندرس باشا لا يزال عند أنور باشا.
فقلت : لا بأس . ثم توجهت الى الشيخ عبد العزيز شاويش ،
وقلت له :

أشكرك على عزمك في الوساطة ان كان هنالك ما
يوجبها. أما قولك ان سيادة الشريف يعتذر عند كل
إصلاح يراد فهو قول بني علي الظن ، وأما عدم
الأمان فهل لي ان أسألك عن سبب قيام الادارة
العرفية بدار الخلافة ؟ ! وما قلت من عدم أمان
السابلة — وهو مجرد أخبار لا حقيقة لها — فهل
يستطيع الاستاذ ان يذكر وقائع معدودة وحوادث
حاصلة بعينها ؟ وأما الكلية التي ذكر الشيخ انها على
وشك الایجاد وكيف يتسنى لأمر مكة ان يعارض
فيها ، فالبلاد بلاد السلطان ولا علم لي انا بما ذكرت
أنت وليس لي أن أطلع على كل ما يكتب الى
الشريف من الدولة فربما وقع ذلك وربما كانت قد
أنت ببعض النصائح مبينة التحيين للكلية وموضحة
الكيفية والأسس التي ينبغي بناء هذه الكلية عليها .
أما أنت أيها الاستاذ فليس لك على ما سمعت صفة
علم بل الشائع عنك انك كاتب صحفي ، وفي الحجاز
من العلماء الاعلام من لهم منتهى درجات الاحترام .
فبهدت . وإذا بالياور يدعوني ، فقلت السلام عليكم .

مع أنور باشا

وقمت فدخلت على أنور باشا فأقبل يحيني، فلما جلست قال :

ما هذا ؟! نحن نريد لو استطعنا ان نخلق من الشجر رجالا لنضيفهم على اعدادنا والحجاز يقتل فيه رجال الأمن كما وقع على مدير الجندرية والدفتردار؟! ولكن والحمد لله لقد انتهت الأزمّة كما علمت . فترجو منك السعي لدفع كل أثر سيء في قلب والدك من حيث الاعتماد عليه من قبل الدولة فإنه في منتهى درجات الاعتماد والحرمة .

فقلت له :

ما هذا القول وأنا لم أستطع الدخول عليك — وأنت تلقب بقهرمان الأمة — إلا بعد ان أخذت الى أكثر من مكان واحد وطلبت مني بطاقات وأوراق هوية ؟! إن هذا ليس بالدليل على رضا الرأي العام عنك وانت المحبوب بالأمس . ثم وجدت هنا في غرفة الانتظار الشيخ عبد العزيز شاويش فأخذ يهاجمني بما يقارب أقوال الوزير الآن ويعرض وساطته في تسوية الامر بين الدولة والشريف ، وهو عبد العزيز شاويش ، والشريف يرث الصداقة بينه وبين السلاطين العظام من عهد أبي نبي

والسلطان سليم الى اليوم .. فاذا كانت الامور
انعكست الى هذا الحد فلا سبيل الى ما تريد . وأما
ما وقع في الحجاز ، فما الذي تظنه ان يقع من رجل
كوهيب بك يرسل الى بلاد مقدسة لها قدمها وحقها
فيريدها الاعتداء على ذلك القديم وذلك الحق ؟ لقد
أرسلتم هذا الرجل ليقع ما حدث . وأنا على علم من
أنه رفض ولاية البصرة خوفاً من النقيب السيد
طالب ، فهو كما قال الشاعر :

أسد علي وفي الحروب نعامة

ربداء تجفل من صفيير الصافر

فبهت هو أيضاً وقال :

حسبي الله ونعم الوكيل . ما لهذا الانسان الذي لا
يعرف حده ؟ أرجوك ان لا تؤاخذه في نفسك .
وأما ما رأيت من احتياط هنا فليس بأمري ، ولكن
ما حدث على الصدر الأعظم محمود شوكت باشا
أوجب على المسؤولين عن الأمن العام ان يتذرعوا
بما وقع ، فعذراً . ونحن دائماً نحب ان نعمل
بنصائح سيادة الشريف وإشارته . أما وهيب
فأنا لم أطلب ان يكون والياً على الحجاز ولكن لما
أنهينا عنه انا نريد تعيينه قائداً ، قال وزير الداخلية
ووالياً ايضاً للاقتصاد . هذه حقيقة الامر . وإني

ارجو الاجتماع بك في كل فرصة .

فقلت : قد يكون الاجتماع مفيداً جداً . ثم قمت مستأذناً
وخرجت .

ثم مع سعيد هليم باننا وطلعت باننا معاً

وفي اليوم التالي كنت بدار الصدر في الساعة الحادية عشرة
وإذا بطلعت باشا هناك — وهو وزير الداخلية وقد ولي الصدارة
بعد ذلك أثناء الحرب العمامة — واذا بهما على غير ما رأيتهما
بالأمس .

رأيت عليهما أثر الغضب والنظر الشرزر.. فتكلم طلعت وقال:

إسمع ، انه لا يهمننا تغيير الولاية في كل شهر ولكن
الذي يهمننا هو إنشاء الخط الحديدي من المدينة الى
مكة ومن جدة الى مكة ومن ينبع الى المدينة . فان
قام والدك بمسؤولياته في هذا الباب ، عملنا له كل
ما يريد ، وان رفض فلا وداد ولا بقاء . واليك
شروطاً للشريف : ثلث دخل الخط بصرفه كما يشاء
وله الامارة مدى الحياة ومن بعده لأولاده ،
وستوضع تحت أمره القوة الكافية لتأمين التنفيذ ،
وستصفي الدولة الى مشاريعه في هذا الباب ، وستضع

تحت يده ربع مليون من الجنيهات فنفتقها على العربان.
فسافر في اول باخرة بهذه الاقتراحات ونحن ننتظر
الجواب ، فان رضي وبلغنا الرضا تسافر عندئذ الى
المدينة المنورة لتجد هناك شيخ الاسلام خيري
افندي ينتظرك لتباشرا وضع أساس الخط ، وان
رفض فلا عتب .

فقلت : هل لي ان أجيب ؟

فقال : هذا قرار الدولة .

فقلت : سأبلغ ، وسيرفض ويعتبر هذه الأقوال رشوة
وحقارة ، وهو لا تهمة الامارة ولا تهمة الدراهم
ولا عليه ان يتولى أبنائه الأمر من بعده او غيرهم
ولكن بلغوه — بواسطتي او بواسطة غيري — ان
يكتب اليكم برأيه في إقامة الخط وما ينبغي لذلك ،
فسترون انه سيدلي لكم بخير النصائح .

فقال انه سيطلب لجنة للتحقيق. ثم ذكر لي اسم أحد الافرنج
وأظنه نابليون وقال : إذا أردت إعاقة أمر فأحله الى اللجان .

وقاما ، فقال لي الصدر : متى تسافر ؟ فقلت : في أول باخرة

وكان السفر بعد ذلك بيوم ، على الباخرة الرومانية « رجل

كارول » .

بين الطائف والاسناتة

قلنا اننا سافرنا حسب طلب وزير الداخلية حاملين الشروط المغربية . ثم لما وصلت الى جدة علمت ان جلالة الوالد بالطائف ، فسافرت على التو ومررت بمكة المكرمة فطفت وسعبت وحملت الاحرام . وفي النهار الثاني سافرت الى الطائف انا ورفقائي عن طريق كرى فوصلنا بنجر الى الطائف .

وبالطبع عرضت على جلالتة الامر بالتفصيل ، فقال : هل يرشونني ؟ صدق من قال ان المرء ينظر الى غيره بعين نفسه . وأبرق هذه البرقية :

وصل ابني عبدالله ونقل الي التنسيبات والمقررات العلية من الصدر الاعظم بخصوص تمديد الخط الحديدي الحجازي الى مكة المكرمة . ليس في ما يخصني ما يستحق التفكير وأنا متنعم بنعم الخلافة . وسأبعث بابني عبدالله في اول فرصة حاملا ما يلوح لي عن إمكان إتمام هذا الغرض السامي دون ان يحس ذلك مدار معيشة العشائر وسكان البلاد المقدسة الإسلامية .

ثم خرج الى مران للزهة والترويح عن النفس ، ومران هذه الى ناحية المشرق من الطريق الشرقي بين مكة والمدينة في

نصف المسافة وبها حرة مران المعروفة وبها نخلتا مران اللتان
جاء ذكرهما في الشعر العربي ، وهي على حد سهل من جبل جميلة
المناخ عذبة الماء . ومن ثم أمر بغزو الدواسر ووجهني على رأس
الغزية . ولما عدت الى مكة المكرمة واذا بجبالته فيها والبرقيات
من الصدارة في طلي تتالي .

هي الحرب !

فسافرت ومررت بمصر ومنها الى الاستانة وكان فيها
أخي فيصل الذي كان حين ذلك مبعوث جدة ، فقابلني على
الرصيف ولم يكن بالمرتاح من الوضعية بين الوالد والباب العالي
وقال : ان تأخر ك أعضبه . فقلت : لا عليك .

وكان البوليس اقتحم الباخرة وفتشها وألقى القبض على عدة
رجال من الارمن كانوا يعملون كبحارة من الوقادين في
مراجل السفينة ، وكان هؤلاء فدائيين أرسلوا من حزب الحرية
والائتلاف من مصر للفتك بانور باشا وطلعت باشا وجمال باشا ،
وكانت لي اليد مع هذا الحزب في هذه المسألة .. وبالطبع
امعضت وقلقت ولكن هذا كان الواقع .

وفي اليوم التالي ذهبت الى الصدر الاعظم وقلت : يقرئكم

والدي السلام ويقول :

أنا خادم الخليفة ولست بمعارض فيما يرى جلالته عمله وإني مستعد للتنفيذ حالا. ولكن إذا كان إتمام بناء الخط وتأمين ولأه العشار ومعاشرهم هو ما يريد جلالته وتريده الحكومة ، فذلك وسائل لا تقتضي ربع المصرف الذي بينه لي عبدالله ، وهي — أي الوسائل — اللازمة لايجاد المشاريع التي تأتي بعد التفكير مع لجنة أترأسها أنا — أي الشريف نفسه — ومن المناسب ان يكون فيها صاحب الدولة والسباحة شيخ الاسلام او أي وزير من الوزراء . وان كانت الرغبة منصرفه الى إقامة الانشاء تحت أي شرط يكون فينبغي توظيف فرقة عسكرية بكاملها على طريق السكة وإشغال المياه والقرى بين المدينتين ثم بعد ذلك تكون المباشرة في العمل .

هذا ما أمرني ان أنقله اليكم .

فأجاب الصدر سعيد حلیم باشا بقوله :

ليس بعد هذا ما يقال ، وسأستدعيك لتجتمع مع طلعت باشا في هذين اليومين .

وكان قبل وصولي بيوم ، قتل ولي عهد النمسا وزوجه بسر اجينفو ، وتوترت الحالة السياسية بين روسيا والنمسا وجرت الى التعبئة العامة بين الدولتين ، واضطر الامبراطور غليوم الثاني

ان يعود الى برلين من سياحته البحرية في البلطيق . ففي تلك
الثناء زرت الصدر لأتلقى الجواب فقال انه مسافر الى لاهاي
ليجتمع هناك بالمسيو فنزيلوس رئيس وزراء اليونان لحل بعض
المسائل المتعلقة بين الدولتين ، وأمرني بان انتظر أوبته فقلت :
يسر الله لفخامتك كل عسير ولكني لا أظنك قادراً على السفر
واوروباً في هذه الحالة . فقال : أظن ان الشعوب الاوروبية
تشهر الحرب من أجل رجل وامرأة فتسفك الدماء وتخرب
الديار ؟! هذا ما لا يفعلونه . فاستأذنت وانصرفت . وفي اليوم
التالي تبودلت الانذارات النهائية بين روسيا والنمسا واشتعلت
نار الحرب العظمى السابقة .

وزرته في الباب العالي فقال لي : صدق ظنك ، تأخرت
لسبب الحرب . فقلت له : أريد النتيجة عما جئت من أجله من
الحجاز . فكلم وزير الداخلية بالهاتف فأجابه انه ينتظرنني . فلما
حضرت وسألته عن المقتضى قال : وهل هذا وقت التفكير في
إنشاء خطوط حديدية ؟ ومن أين القضبان والساحبات ومواد
البناء والحرب قد أشهرت ؟ ولكن نريدك ان تسافر حالا الى
الحجاز لجلب المتطوعة فانه من الممكن دخول الدولة الحرب
مضطرة . وهذه سيارتي اذهب بها الى أنور باشا لتذاكر معه
في هذا الشأن .

فذهبت الى انور باشا وقلت له : يظهر ان الحرب قد تشمل الدولة العلية وان مشروع الخط الحديدي قد يؤخر الى ما بعد انتهاء الحرب هذه . قال : بالطبع ولكن نريد متطوعة من العرب ليستركوا في الجهاد . قلت : أين والعدو من الجهتين ؟ قال : ألا تريد ان نسترد ما أضعناه في القفقاز ثم ألا تريد ان نسترد مصر ؟ قلت : أريد دفع الاعداء الى ما وراء أدرنة ، والتفكاس شاقة حربها بعيدة عن حاجة الامداد لمن يقاتل فيها ، ومصر كيف تستردها وهي لها صفة خاصة ؟ قال : باخراج الانكليز منها . قلت : هذا هو التعبير الصحيح . فقال : كم يمكن ان يكون عدد المتطوعة من أهل الحجاز ؟ قلت : والله لا أدري . فقال : قل بالقدر الذي يمكنكم ان تكسوه وتطعموه . فقلت : وهو كذلك ولكن في الجبهات ؟ قال : سنجعل القوة المنظمة في جبهة الروم ايلي وجبهة مصر وأما جبهة قفقاسيا فنخصص لها علاوة على الجيش الذي بأرضروم كافة المعطوعين . قلت : متطوعة العرب يجب ان يقاتلوا في جبهة مصر وأما المنطقة الباردة فهلكم لهم ، ولا أدري من عدو للدولة في الروم ايلي مادامت بلغاريا والنمسا وألمانيا حلفاء الدولة ؟ قال : الصرب ورومانيا . قلت : انا أفهم من هذا أنكم تريدون إمداد حلفائكم بالقوات المنظمة . فاحمر وجهه جداً وقال : يجب ان تسافر في اول واسطة من

أجل التطوع والسعي لايجاد من يقوم بهذه الخدمة المقدسة .
 فخرجت من عنده والطبول تدق والمناادي ينادي بالتعبئة العامة
 وانه يجب على كل انسان ان يذهب الى مركز التجنيد فيعيد
 نفسه وسنة ولادته وصنفة .

ولما رجعت الى الباب العالي ودخلت على الصدر وأخبرته بما
 سمعت اندمش وقال : هل قالوا سبتأخر أمر الشمنديف ؟ فقلت :
 نعم ويطلبون سفري من أجل المتطوعة . فقال : « جوق شي »
 يعني أمر غريب .. قلت : انا مسافر . فقال : على بركة الله
 وقبل أيادي الشريف وقل له قد تأخر ما كان فيه تعبه .

الاعتداء على الخديوي عباس

وخرجت طأداً وإذا بنياً الاعتداء على الخديوي عباس وهو
 خارج من الباب العالي فذهبت الى قصره بجيقتي فرأيت بهد أن
 أسعف . وفي اليوم الثالث زرته فكتب على لوح من الحجر بقلم
 حجر — كالذي يتعلم فيه الصبيان — كتب يقول : ماذا تظن
 في هذا الاعتداء ومن يكون ! اشوق ؟ فقلت : صاحب السمو
 أعلم بأهل مصر والمعتدي مصري . فكتب : ألا تظن انه شوق
 من هنا ؟ فقلت : أتظن ان هذا من ابن عمك الصدر الاعظم ؟

فكتب : أنا أسألك . فقلت : لا أنفي ولا أثبت اذا ما فأئدته
 من هذا وولي عهد مصر موجود ؟ فسكت فقلت له : متى تسافر
 سموك الى مصر ؟ فقال : بعد يومين او ثلاثة . فقلت : بل
 سافر اليوم . فقال لماذا ؟ قلت : سيظهر هؤلاء الحرب على
 انكلترا وروسيا وفي بقائك هنا ما يشوش الانكليز من ناحيتك
 ووجودك في بلدك الآن من مصلحتك ومصلحة مصر . فقال :
 الطيب لا يرضى . فقلت : باخرتك فيها كل أسباب الراحة ،
 أنا لا أنصح الا بلزوم مغادرتك اسطنبول في هذه الليلة .
 فامتلات عيناه بالدموع وقال : كل شي سيسير الى ما قدر الله
 قلت نعم .

وكانت أجوبته بالكتابة وكانت الاصابة في فمه ولسانه
 وكان قد منع عن الكلام ، فودعته وخرجت وسافرت في اليوم
 التالي على الباخرة الخديوية (اسماعيلية) ومعها المرحوم الأخ
 فيصل والشيخ حسن الشبي ورافقنا الآخرون .

فلما وصلنا الى الدردنيل أشارت المدمرات التركية الى باخرتنا
 بالوقوف ثم أشارت اليها ان تدير مقدمة السفينة الى ناحية اسطنبول
 منتظرة الامر . وبعد حوالي ربع ساعة أشارت بالحركة وبلزوم
 ائباعها ، فكانت سفينتنا تتبعها من بين حقول الالغام حتى
 اخرجتنا الى عرض البحر من وراء الدردنيل فوصلنا أزمير في

الصباح الثاني وجاء القنصل البريطاني فبلغ القبطان بان يبقى بأزمير حتى يصدر اليه الامر بالحركة . ثم جاء بعد مضي اكثر النهار وقال توجهوا ، فالتجمت السفينة الى ميناء بيريه — وكانت مملوءة بكثير من أهل مصر منهم من حضر للمصيف و منهم من حضر بسبب جرح الحديوي — فوصلنا بيريه قبل ظهر اليوم الثاني ، وحجزت الباخرة هناك بسبب وجود الباخرة الالمانية الحربية (غوبان) بالبحر الابيض ومعهما الطراد (بريسلو) . وأنذرتنا الشركة الخديوية بانه يجب علينا ترك الباخرة لأن الوقت الذي كان مأمولا فيه الوصول الى الاسكندرية قد مضى . وبعد المذاكرة مع الركاب المصريين استأجرنا جميعاً سفينة يونانية انتقلنا اليها وعندما تحركت بنا واذا بالباخرة (اسماعيلية) تسافر وقد سبقتنا الى الاسكندرية .

فلما وصلنا الاسكندرية وسافرنا الى مصر — وكان موعد الباخرة من السويس الى جدة بعد مضي اربعة ايام — نزلنا كالعادة بقصر عابدين فزارني قبل كل أحد حسين رشدي باشا رئيس الوزراء وسألني عن الحديوي وموعد قدومه وعن صحته فقلت :

هو بخير ولكنه متأخر حتى يبرأ الجرح على ما قال لي ، وقد نصحت له بان يسافر حالا فرأيته قد آثر البقاء على السفر العاجل وهذا ليس في مصلحته ، فلو

استعجلتموه لكان من خير كم وخير مصر .

قال : فعلت ذلك ولم أتلق أي جواب ، وقد أدهشني ما بلغني من الخاصة الخديوية ان الجناب العالي قد طلب بريقة خفية المجوهرات الخاصة والأواني الذهبية والكثير من الصناديق الحديدية المرقمة بارقامه ، وهذا لا يدل على نية القدوم . جعل الله العاقبة خيراً .

ثم ودع ، ولما وصل الى الباب انحرف راجعاً وقال : هل تأذن في ان أبرق اليه بان الشريف عبدالله وصل بخير شاكرآ الجناب العالي راجياً منه العودة السريعة ؟..

وقد علمت بعد ذلك من سموه عندما زارني في عمان ان السفير البريطاني زاره بالجيبقي باسطنبول وهو جريح وبلغه ان الحكومة البريطانية تشير اليه بالسفر حالا الى روما وأن لا يرجع الى مصر . قال قلت له أسافر الى لندن . قال فأجابني السفير بان خير ما يعمل تنفيذ ما طلب . قال سموه : قلت لا شأن لي بايطاليا فاذا كان الرجوع الى وطني غير متيسر فأنا حيث أنا . قال فقال له السفير : هذا شأن سموك ولكن أنصحك شخصياً أن تعمل بما أشير اليك . وانصرف .

فقلت لسمو الخديوي :

لو أخبرتموني بتلك الممانعة لكان في إمكاني ان أتحمّل مسؤولية إصلاح ذات البين حال وصولكم

الى روما ، فانهم كانوا يظنون أنكم تميلون الى ناحية
الترك والامان ، وروما بلد محايد إن لم يكن حليف
ألمانيا ، فلو سافرتم الى روما لراقبوكم حتى يطعمئوا
من عدم دخول تركيا الحرب ضدهم ، او في حالة
دخولها ينتظرون الى ان تنكسر شوكة تركيا ثم
يدعونكم الى ملككم بعد ان تحبطوا بحكمتمك وساوس
وزير الحربية لورد كيتشنر خصمكم القديم .

فقال رحمه الله :

هذا قدر الله ، ولست بأسف . لقد ملات الحكم
خمسة وعشرين عاما ، وهذا عمي يقاسي ما كنت
قاسيه ، ومن كان في ذلك المركز فمن المستحيل عليه
إرضاء الوطن وإنهاء الاحتلال ، لتفوق اولئك
ولعدم القدرة على تغيير الحال بالقوة . وليس لي ما
أسف له إلا البعد عن ديار الاسلام والنظر الى المآذن
والاستماع الى ذكر الله ، ثم أخشى ان يدركني
الأجل هناك فأدفن في الغربية . ولكن قد تبسر الآن
لي ان أزور تركيا وهذه الأقطار في لمحات من الزمن
ولو عرف عمي العزيز نياتي لما تخوفني فاني قد جفلت
من الماضي الخفيف المؤذي الذي لا أريد ان يعود علي
وكان قوله بصدق وإخلاص فقد مات ودفن في اوربا
رحمه الله .

الى السلطان محمد رشاد

« أستحلف جلالتم بالله أن لا تدخلوا الحرب
الى جانب الألمان فالحرب الى جانبهم معناها عدم
التمييز او هي الخيانة الكبرى » (صبيح)

أبالامة تقامروه؟!

عدت الى الحجاز وأطلعت الوالد الأمير على حقائق الأمور،
فكتب رسالة الى السلطان محمد رشاد وبعث بها الى المابين هايون
أي البلاط الملكي ، ذكر فيها حالة اوروبا والاتفاق الثنائي بين
روسيا وفرنسا والمعاهدة الثلاثية بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا
والتفاهم الثلاثي بعد دخول انكلترا الحرب الى جانب الفرنسيين
والروس بسبب اجتياح الألمان بلجيكا المضمونة أراضيها من
جانب انكلترا كاحدى الدول الضامنة لاستقلال هذه المملكة .
قال رحمه الله في رسالته :

تعلمون جلالتم ان الحرب البلقانية قد انتهت الى
ما انتهت اليه ، وأن الدولة الآن في حاجة الى

تجهيزات واستكمالات حربية لم تتم الى الآن ، وأنه في الدخول الى جانب ألمانيا الخطر العظيم حيث أسلحة الدولة كلها من ألمانيا وكذلك عتاد هذه الأسلحة ، وأن المعامل بالطوبخانة العثمانية لا تكفي لامداد الجيوش بالعتاد اللازم ولا تستطيع إمداد الجيوش بما يمكن ان تخسره من مدافع وأنواع الاسلحة الأخرى . وعدا هذا فالاقطار المترامية الى الجنوب من جسم الدولة كالبحيرة واليمن والحجاز محاطة من كل ناحية بقوات مستعدة من الدول المعادية البحرية وستصبح في أخرج المواقف ، وربما اتكلت الدولة في الدفاع على حمية أهلها وهم ليسوا منظمين ولا مسلحين بالشكل الذي يستطيعون معه مقابلة جيوش أوروبا المنظمة . وإني أستحلف جلالتم بالله أن لا تدخلوا الحرب وأن تعلموا اني أعتقد في كل من يرى الحرب الى جانب الألمان عدم التمييز او الخيانة الكبرى .

وقد وصل هذا الكتاب قبل إعلان الحرب . وفي شهر رمضان زار الوالي وهيب بك الأمير بالطائف وقال له : تلقيت من وزارة الداخلية ووزارة الحربية بقرقيات تأمرني بان أستطلع رأيكم السامي في إشهار الحرب على روسيا وانكلترا . فقال : أنا لا أرى ان أجيب على هذا السؤال الشفوي بشيء ، وإني أنتظر

هذا السؤال ان يردني برقية فيسجل هو وجوابه ، غير انني
أقول لك كجندي شريف اني لست بالخائن حتى أشير على الدولة
بان تدخل هذه الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل . ونحن
مخاطون هنا بالدول العظمى البحرية وأنتم ستشغلكم جيوش
روسيا وجيوش الانكليز بمصر ، هذا الى انكم غير معصلين برأ
بخليفتكم ألمانيا ، وضرباً معادية ورومانيا معادية . فقال بعد ان
مس لحيته بيده وكان ملتجياً : هي ورقة نريد ان نقذف بها على
مائدة الميسر . فقال رحمه الله : عجيب ! أبالأمة تقامرون !؟

وبعد أربع وعشرين ساعة وردت الى الامير برقية من الصدر
الأعظم و برقية من وزير الحربية أنور بالسؤال عينه . فأجابها
بانه قدم رأيه ونصيحته الى جلالة السلطان بعريضة خاصة مفصلة
وانه الآن ينصحهم بعدم دخول الحرب ضد روسيا وفرنسا
وانكلترا ومما قال في جوابه : ان هذا العمل هو خرق عظيم
وخيانة للامانة وان البلاد بأجمعها لا ترضى عن حرب ضد هذه
الدول ، وانهم ان كانوا عزموا على هذا فقبل نشوب الحرب
يجب عليهم ان يزودوا الجيش الخامس باليمن بما يكفيه لثلاث
سنوات وباحتياطي لما يطلب من مجاهدين ، وكذلك تزويد
وتعزيز الفرقة العسكرية بعسير والفرقة العسكرية بالحجاز ، وانه
يجب الاسراع في هذه المدة بخزن المؤن في هذه الولايات لمدة لا

تقل عن الخمس سنوات ، فان لم يفعلوا فسيضعون هذه البلاد في
أحرج مراكز وقد يفضي بهم الى ما لا تحمد عقباه .
فجاءت برقيات جوابية بان الدولة قد فكرت في كل شيء ،
وانها تشكر سيادته السامية على نصائحهم .

الاعتداء وقع من الجانب التركي

ثم توجه في أواخر ذي القعدة الى مكة . وفي اول أيام
التشريق وردت البرقيات بان روسيا قد اعتدت على الحدود العثمانية
في الاناضول وان الاسطول العثماني قد ضرب السواحل الروسية
وان الحرب قد أشهرت ضد روسيا وحلفائها . والحقيقة ان
الاعتداء وقع من الجانب التركي بحراً ، وكان يقود الأسطول
العثماني الاميرال سوخون الألماني في البارجتين كوبان وبريسلاو
اللتين التحقتا بتريا هدية لها من ألمانيا لتدخل الحرب . وكان
لا علم للسلطان ولا للصدر الأعظم ولا لأي شخص من الوزارة
بذلك سوى طلعت وأنور ، وحتى جمال السفاح كان يميل الى
جانب فرنسا . وقد استقال يومئذ اربعة من الوزراء منهم الفريق
محمود باشا جوروكصولي وزير النافعة كما استقال الصدر الأعظم
سعيد حلیم غير ان استقالته لم تقبل .

هذه حقيقة الامر وما حدث اذ ذلك . فدخلت الدولة العثمانية الحرب التي خرجت منها محطمة .

ولم يحصل بعد ذلك من حكومة الاتحاد والترقي أي اهتمام بالولايات العربية بل كان جل همها حبس قسم من الجيوش الانكليزية بمصر وقسم آخر بالعراق لئلا تفرغ هذه الجيوش الى الحرب في الميدان الغربي الذي هو مدار رحي الحرب والمنتصر فيه هو الغالب .

ومضى الشتاء والأتراك في استعداد لحملة مصر ، وقد ساقوا جيوشاً جمّة الى جبهة القوقاز ، وأخلوا العراق من الجيوش النظامية واعتمدوا هناك على عساكر الرديف . وعندما نزلت الحملة الانكليزية الى البصرة لم تجد من يناوئها فسقطت البصرة . وأخذ الجيش الانكليزي يتقدم نحو القرنة والعرب في حيرة وقد شعروا بان الجيش النظامي من أبناء العراق قد أخذ للدفاع عن الولايات التركية وكانوا يرون ان لو بقوا في وطنهم للدفاع عنه . وجاء الصيف وقصد الامير الى الطائف كعادته ، ونزلت الجيوش الانكليزية تتلو الجيوش بالعراق . وكانت الحملة المصرية بقيادة احمد جمال باشا فخذل وقهر الجيش العثماني كما هو معلوم .

بريطانيا مستعمرة لا ممداد الحركة العربية

لاستقلال العرب استقلالاً تاماً

﴿ موجز مراسلات مكماهون ﴾

في تلك الايام قدم الطوائف رجل مصري يدعي علي البزار
وأحب ان يتقابلني فقابلته واذا به يحمل كتاباً من مستر ستورس
الكانب الشرقي في دار القنصل العام البريطاني بمصر هذا نصه :
الى الشريف عبدالله بك :

بما ان الدولة العثمانية قد ضربت بصداقتها التقليدية
مع بريطانيا العظمى عرض الحائط وانضمت الى
صفوف أعداء بريطانيا الالمان ، فان بريطانيا ترى
نفسها في حل من تلك التقاليد التي كانت تربطها
بتركيا من القديم . فهل أنتم وسمو والدكم المعظم على
رأيكم الاول في القيام بما يؤول الى استقلال العرب
استقلالاً تاماً ؟ فان كنتم وسموه على ذلك الرأي الى
الآن فان بريطانيا العظمى على استعداد لامداد
الحركة العربية بكل ما هي في حاجة اليه .

وبالطبع لم أبتهج لهذه الرسالة للخطر المحقق الذي كانت تجر

اليه لو عرف عنها او سقطت في يد غير أمينة او تفوه حاملها بشي
او باع نفسه . ولقد أجبته بانك رجل مخاطر بذاتك وقد ارتكبت
الشطط فيما فعلت ولولا الامانة بانك رسول لما ابتهجت مني في
قدمتك هذه بشي . وأخذت الرسالة الى الوالد وعرضتها عليه
فابتسم وقال : أكتب اليهم بوصول الرسالة وقل باننا على غير
استعداد البتة في الوقت الحاضر للمطالبة بحق العرب ، واصرف
الرسول أميناً مكرماً . ففعلت وذهب .

وبعد شهر ، أي بمدى وصول الباخرة وقدم أختها عاد
علي البزار برسالة أخرى من مستر ستورس الي وفيها رسالة من
السير هنري مكاهون الي سمو الشريف . أما رسالة ستورس الي
فبها يرجوني ان أقدم رسالة مكاهون الي الشريف . فقدمتها واذا
هي تفيض بصيغ التعريف والاكرام وبيان حسن نية بريطانيا نحو
العرب وأن بريطانيا قد انفكت من تقاليد الودية مع تركيا ..
الي آخر ما جاء فيها . فاجاب الشريف بواسطتي الي ستورس فقط
بان قال لي : قل له الصيف ضيعت اللبن .

ثم تابعت رسائل مكاهون المعروفة ، وخلصتها ان بريطانيا
العظمى ستساعد العرب في حربهم التحريرية بكل ما سيحتاجون
اليه حتى يتم جلاء الاتراك والالمان عن البلاد العربية التي حدها
المرحوم وفق ما جاء من الهيئة المركزية لحزب العربية الفتاة في

سوريا من حدود وهي : من اسكندرونة جنوباً الى الحدود المصرية برفح ثم التيه ، فالبحر الاحمر غرباً حتى باب المنذب ، ثم يشرق ماراً بمسقط وعمان وينحرف الى الشمال محترفاً حدود البحرين والكويت ، ثم يشرق مع حدود ولاية البصرة فحدود ايران ، ثم يشمل الى التقاء البلاد العربية ببلاد الكرد ، ثم يقرب فيدخل الجزيرة والموصل ويترك ولاية حلب الى الجنوب فينتهي عند الاسكندرونة .

وقد قال مكماهون في إحدى رسائله عن حكومته أنها ستثابر على الحرب والمساعدة حتى يتم تحرير هذه الاقطار . وان انكثرت لا تستثني أي منطقة عربية لها فيها نفوذ ما عدا الامارات الواقعة على خليج فارس والبحر الهندي تلك البلدان التي لها صلوات عهد بحكومة الهند من القديم وهي إمارة الامير عبدالعزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود وإمارة الكويت وإمارة البحرين وسلطنة مسقط وعمان ومشيخات حضرموت وسلطنة لحج . ولم تشر الرسالة الى محض عروبة أرضه ومرسين وغرب ولاية الشام — وقد عني بذلك لبنان الصغير بالطبع — فقال : ان الحليفة فرنسا حقوقاً فيها .

وسأل مكماهون في إحدى رسائله عن الكيفية التي ستدار بها البلاد المقدسة — يعني فلسطين — متى ضارت في الحوزة العربية ؟

فأجيب بان النية منصرفه الى إدارتها على أساس حرية الديانات
الثلاث فجاه الرد بالشكر على ذلك وان بريطانيا العظمى ترحب
بالخلافة الاسلامية إن هي عادت الى الدوحة الهاشمية مرة أخرى.

الترك يرفضونه المطالب العربية

إنداز ٨ شعبان ١٣٣٤ (٩ حزيران ١٩١٦)

وبعد ذلك كانت تجري المخابرات مع الأحزاب العربية بالشام
بواسطة المرحوم الاخ فيصل ، وقد ترك تعيين زمن الثورة
للعرب . وجاء الصيف وتحرك الركاب الاميري الى الطائف وقد
حضر الامير فيصل من الشام والامير علي من المدينة وتم كل شيء
كما يجب بالطائف وتقرر زمن الثورة بعد انقضاء الصيف والشتاء
وطاد الامير فيصل الى الشام والامير علي الى المدينة .
وفي هذه المدة استعدت الأفكار العربية للحركة بسبب انقطاع
موارد البحر والغلاء وعدم الرخاء ، وأن ليس للعرب في متابعة
هذه الحرب الا نتيجة واحدة وهي انهم سيقفون تحت ربة
الحكم إن ظفر الترك والامان او انتصر الفرنسيين والبريطان .
وكان لا بد من إعلان الحركة العربية والتخلص بالحرب من

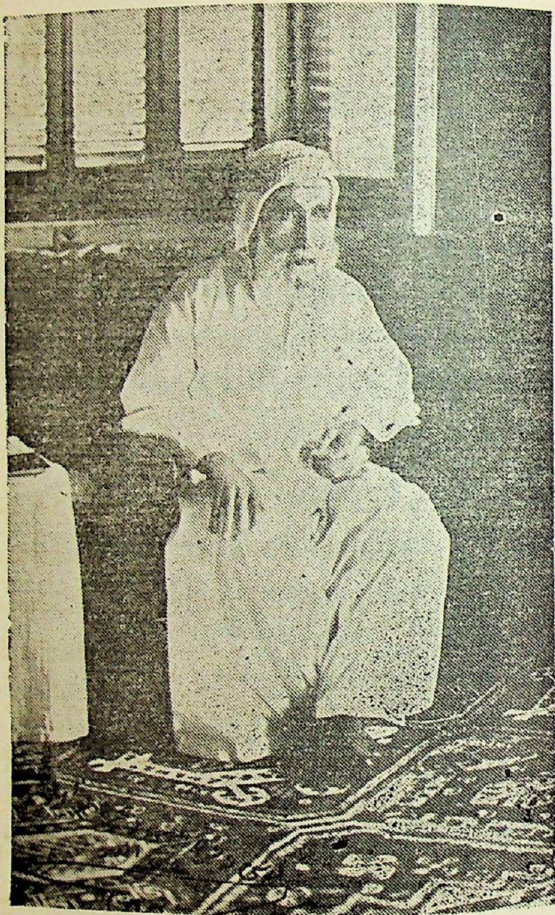
عواقب الاستكانة لتحكم الغير .

ولم تجب اسطنبول مطالب والي اليمن ومقتصر عسير الى ما طلباه من نقود . وكذلك فعلت بالحجاز . ثم تغلغت الجيوش الانكليزية في العراق وتجاوزت حدود ولاية البصرة في طريقها الى بغداد . ثم هزم أحمد جمال باشا بالترعة المصرية .

على أنه قبل ان يتم أي عمل او قرار مع الانكليز كان الوالد المرحوم طلب بواسطة الامير فيصل الى أحمد جمال باشا ان لا تكون البلاد العربية مضغوطة عليها ، وأن لا بأس من بر الدولة بوعدها للسوريين في منحهم الادارة اللامر كزية التي طلبوها . وقد صادف هذا الطلب اشتمزازاً من أحمد جمال باشا الذي ألح في ارسال المجاهدين من الحجاز .

وفي أثناء وجود الامير فيصل في الشام ، زار أنور باشا وزير الحربية ووكيل القائد العام سوريا وفلسطين كما زارا المدينة المنورة . وقد أهدى الاخ المرحوم فيصل باسم والده لكل منهما سيفاً مرصعاً منقوشاً عليهما اسم المهدي والمهدي اليه ، فتقبلا الهدية بسرور وطادا الى الشام .

وأقبل الصيف وجاء الطلب مرة أخرى بارسال المجاهدين وبعلاان الجهاد المقدس في أقطار الاسلام من مكة باسم الخليفة



جلالة المغفور له الملك حسين

أخذت هذه الصورة لجلالته وهو في أواخر أيامه في قصر رغدان ، وقد كتب عليها بخط يده رحمه الله : «الى ابني وقره عيني وغرة فؤادي عبدالله»

على روسيا وانكلترا وفرنسا ، فأجاب الامير :

لأجل إعلان الجهاد وإرسال المجاهدين ينبغي إرضاء العرب بما تتوق اليه نفوسهم من الوصول الى حقوقهم وإن أول ذلك اعلان العفو العام عن المجرمين السياسيين ومنح سوريا إدارة لا مركزية وكذلك العراق ، واعتبار الشرافة بمكة معترفاً لها بحقها الموروث والمتفق عليه من عهد السلطان سليم وأن تكون وراثية . فمقابل هذا تقوم الامة العربية بواجبها عن إخلاص . هذا وسأبعث بالمجاهدين الى الامير فيصل بالشام كما سأبعث أحد أولادى الى الجبهة الأخرى بالعراق ، بعد القضاء على أي زعامة غير موالية بشرقي الحجاز . وعلى الدولة التأثير على ابن رشيد بان ينضم الى الجهاد . وإني بغير هذا لا أستطيع الزج بالامة العربية في حرب نصحت بان لا تشارك ولا تشهر ، وسأكتفي بوظيفة الدماء للدولة بالنصر والظفر .

فجاء الرد من الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ومن وكيل القائد العام أنور باشا بما نصه :

إن التحدث في مثل ما بينتموه عن الحرب والعرب ليس من حقوقكم ، وإن من بالشام من المجرمين سينالون الجزاء العادل ، وإن ما بينتموه لا تكون

نتيجته بحكم سارة . وعليه فسوف لا ترون نجلكم
 فيصل بك مرة أخرى قبل ان تبعثوا بالمجاهدين الى
 الجبهة كما وعدتم ، وان لم تنفذوا هذا فكما قلنا
 فالنتيجة بحكم لا تكون خيرية .

وقد أتيت بهذه البرقية الى الوالد بعد ان حلت رموزها ،
 وهو في الخارجة بمكة ليلا وأنا بيدي حامل الشمعة ، فقدمتها
 اليه فقال إقرأها فقلت لا أقرأها ، فتناولها ووضع المنظرة على
 عينيه وبعد ان تلاها نظر الي وقال : أيهدني؟! ثم قال :

سوف ترى اذا انجلي الغبار أفرس تحتك أم حمار
 ثم قال : أكتب الجواب للصدارة ووكالة القيادة العامة :

ليس لي ما أقوله سوى النصيحة الاخيرة في برقيتي ،
 وبها ضمان انحياز العرب الى صفوفكم بقلوبهم . أما
 ابني فيصل فلم أبعثه اليكم وانا أعتقد أنني أراه مرة
 أخرى . فافعلوا ما شئتم .

وبعد ذلك بيومين وردت البرقية التالية من الصدر الاعظم :
 بعد التأمل رأينا بشكر سيادتكم على أجوبتكم ، فاذا
 بعثتم بالمجاهدين الى الشام فقد أشعرنا جمال باشا بان
 يذاكر نجلكم السامي الشريف فيصل بك فيما يتعلق
 بالمجرمين السياسيين .

فأجاب الامر :

إنني ممتن على تلمظكم بالجواب . أما المجاهدون فقد
أصروا على عدم السفر إلا إذا حضر فيصل ليأخذهم
فإن كانت الرغبة حقيقية فأرسلوه ليستصحبهم .

فجاء الرد على الفور :

سيتوجه الشريف فيصل بك إلى المدينة ليستصحب
المجاهدين إلى الشام ، وإنا نترجو أن تسترجعوا
نحلمكم السامي الشريف علي بك من المدينة المنورة
إلى مكة المكرمة لعدم امتزاجه مع المحافظ .

فأجاب على الفور :

عند وصول الشريف فيصل بك سيترك الشريف علي
بك المدينة المنورة .

ولما عاد فيصل إلى المدينة كان نحر الدين باشا قائد القوى
السفيرية قد حضر إليها بقواته وكانت القوى العربية مهياة فيها ،
فتقرر استدعاء الشريف علي بك إلى مكة فودع نحر الدين باشا
والحافظ وخرج إلى بئر الماشي — على طريق مكة — وخرج
معه أخوه فيصل لوداعه . ولما وصل بئر الماشي كتب إلى جمال
باشا وكان ذلك اليوم الجمعة الثامن من شعبان :

إن المطالب العربية المعتدلة قد رفضت من جانب
الدولة العثمانية ، وإن الجند الذي تهباً للجهاد لا يرى
عليه أن يضحى لغير مسألة العرب والاسلام . فإذا

لم تنفذ الشروط المعروضة من شريف مكة حالا فلا لزوم لبيان قطع العلاقة بين الأمة العربية والأمة التركية إذ بعد وصول هذا الكتاب باربع وعشرين ساعة ستكون حالة الحرب قائمة بين الأمتين .

وبعد مضي ساعات كان الخط الحديدي بين الشام والمدينة يهاجم ويشلع .

الثورة

وفي اليوم التاسع من شعبان ١٣٣٤ الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦ أعلنت الثورة العربية في مكة والطائف وجدة وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز ، وصدر البيان بذلك من لدن صاحب السيادة العظمى الشريف الحسين بن علي .

وهكذا ابتدأت الأمة العربية تتحمل مسؤولياتها بنفسها وتسعى لاتخاذ حريتها واستقلالها بسلاحها وجهاد بنيتها . وكانت في ذلك الوقت قادرة على ذلك ، فان بلاد الشام بأجمعها وكذلك البلاد العراقية كانت مهذبة التهذيب الكافي عسكريا وإدارياً وعدلياً ، وكان رجال العرب في ذلك الحين يمارسون المناصب والمأموريات على اختلاف أنواعها ودرجاتها كالترك أنفسهم ، ما عدا الوزارة فان الاغلبية كانت تركية دائماً . وكان الجيش العثماني

الخامس في مركزه بدمشق ، وكان الجيش الرابع في مركزه ببغداد وقوامه العرب . فالعرب سلكوا هذا المسلك في هذين البلدين وقبلوا التوظف لا التطوع فيهما .

أما من حيث الثقافة فمن الممكن ان يقال ان الانكشاف في التعليم بسوريا ولبنان ربما كان يفوق أي درجة في تركيا العثمانية نفسها ، وسببه ان المدارس العثمانية في بلاد الترك كانت ملكية وعسكرية لتخريج موظفين وكذلك مدرسة الحقوق والمدرسة الطبية ، وفي الولايات المدارس السلطانية ، ولكن العرب كانوا يحصلون العلوم في مدارس أجنبية بسوريا ولبنان وربما رحل بعضهم الى اوروبا او الى أمريكا ، لذا فنسبة التعليم في العرب بمدنهم وقراهم كانت بنسبة عشرة بالمائة زيادة على التعليم التركي في مدن الاناضول وقراه ومدن الروم ايلى وقراه أيضاً . هذه ملحوظة أحببنا إثباتها لكي نرى الفرق بين ذلك الزمان واليوم . ولا مرية في أنه كان حين ذلك تعادل أو جب ذلك التفاوت ، فان التحصيل الرسمي على الطراز العثماني — إذا أضيف إليه العحصيل الذاتي في ما ذكرنا من جهات — ضمن للعرب حين ذاك أفضلية الحال بالنسبة للوقت الحاضر الذي ليس فيه من التعليم إلا ما يروق سياسة الاستعمار .

إن هذا لمن أهم ما يجب تمحيصه والنظر في عواقبه ، ولا

سيا وان الدول الاستعمارية تضع الشروط لنجاة البلاد من رباط
الاستعمار بان تعقد هذه البلاد معها معاهدات ثقافية واقتصادية ،
والثقافة والاقتصاد هما كل شيء ، بهما تبقى القومية مستقلة او
تفسخ في عواندها ومعتقداتها والعياذ بالله .

أما الحركات في الحجاز فقد استولى العرب على الحاميات
التركية بمكة المكرمة في اول يوم ، وبقي الجيش العثماني محصوراً
في ثكنة جرول وقلعة أجياد ، وكان من بهذه القلعة من الجنود
العثمانيين يضربون مكة بمدافعهم . وقد أصابت قنبلة البيت الشريف
من فوق الحجر الاسود وأشعلت النار في الستار المبارك ولكنها
أطفئت في الحال . وأصابت قنبلة أخرى أحد عمود الأروقة ،
ومن غريب التصادف أنها وقعت على اسم عثمان بن عفان فأزالته
وكانت هذه الاصابة من الأدلة على زوال دولة آل عثمان . وقد
سقطت جدة في اليوم الثالث من الثورة ، وسقطت ثكنة جرول
في اليوم التاسع وأسر فيها ألف ومائتا جندي وضابط ، وأما
قلعة أجياد فقد هوجمت وأخذت عنوة بعد جراحة فأخذها البيوزباشي
كامل افندي وضربه البيت الحرام . وفي جدة كان الاسطول
البريطاني يساعد من البحر على ضرب الثكنات العسكرية بضربات
تخويفية . وأما الطائف ففيه كانت الفرقة العثمانية النظامية التي
يقودها الوالي والكومندان الفريق غالب باشا ، وكان يقود

القوات العربية المحاصرة صاحب هذه المذكرات .

اننا نحب ان نتبسط هنا بعض الشيء . فانه لما تقرر ان يكون اليوم التاسع من شعبان يوم النهضة أمرت بالسفر الى الطائف كي أقوم بأهم واجب في تلك الحركة وهو حصر فرقة عسكرية أقرب ما تكون من القوات العثمانية الى مكة المكرمة مركز الحركة ومقر الشرافة وعاصمة الاسلام ، فوصلت الطائف في اول شعبان وليس معي سوى سبعين هجاناً إذ كانت كل القوات الهاشمية أرسلت الى المدينة المنورة مع الاميرين علي وفيصل .

وقد قابلني الوالي مقابلة معتادة وأخبرته أنني سأخرج لتأديب قبيلة البقوم وان الشريف لم يتعين بعد وقت طلوعه الى الطائف حسب المعتاد . وكان الامير على الطائف يوم ذلك شرف بن راجح بن فواز بن ناصر يساعده الشريف حسين الجودي أحد شرفاء ذوي جود الله . وكنت أستند في حركة حصر الفرقة وأخذها على العشائر المحلية : عتيبة بني سعد عشيرة حليلة السعدية ظئر الرسول صلى الله عليه وسلم — والرئيس على هذه القبيلة وعلى من ينتسب اليها من الثبته الشيخ تركي بن هليل — وعلى الفخذة الثانية من هذه العشيرة عشيرة البطنين ثم على هذيل الشفا أي السرات ثم على ثقيف آل ساعد وآل منصور ثم على عشيرة النور

ثم على عشائر الروقة أهل الحرة ثم من بقي ممن لم يلتحق بالقوات
 الهاشمية بالمدينة من عشيرة عتيبة من الكثمة والجوازي ومن
 الثبته والعصرمة ومن ركة والنفعة ، ثم عشيرة وقدان وثمالة ثم
 عشيرة البقوم وعشيرة ابن الحارث وسبيع أهل الحرما وسبيع
 أهل رنية وأشرافهم .

وفي الاجتماع الذي وقع قبل البدء بالثورة بلبال — وقد
 حضره كبار الأشراف والشيوخ بعد تمهيد قام به الشريف شرف —
 أظهر الشريف حمزه الفعر وآخر هو شيخ آل بطنين من آل
 سعد ، أشد النفور والخوف من نتائج هذه الحركة ، فكادت
 ان أمر بالقبض عليهما لولا خشية شيوع ما ينبغي كتابته .

قبيل العاصفة في الطائف

وكان الوالي غالب باشا يسكن بقرواء خارج سور الطائف
 وكان يشتكي من مرض الكلى فزرته مرتين . وكان قائد الفرقة
 الميرآلای أحمد بك يزورني الليلة بعد الليلة . وكان أشد الرجال
 العسكريين البكباشي سليمان بك فقد كان كثير الاختلاط بالناس
 وقديماً بالحجاز ، ولقد شعر بشي مما سيقع . وقد قيل لي ان
 أحمد بك قائد الفرقة وسليمان بك هذا يقولان : نكاد نأخذ أسلحتنا

بأيدينا حتى نرى الشريف عبدالله ، فإذا رأيناه ذهب عنا كل شك
وفي اليوم الثامن من شعبان وقد أزمعت الخروج فيه بدعوى
غزوة البقوم استدعاني الوالي ، وكان لدي الشريف شرف بن
راجح والشيخ عبدالله سراج مفتي مكة المكرمة فقالا : لا
تذهب فانا نخشى أن يلقي عليك القبض ، فقلت : بل سأذهب
ففي عدم الذهاب ما تخشى عقباه وموعد الثورة لم يحن بعد .
فركبت اليه ومهي أربعة : الشيخ فاجر بن شليوبح أحد
فرسان الروقة ، والشيخ هوصان بن عصاي وهو أيضاً من
شيوخ تلك العشيرة وأحد الرجال الذين أثق بهم ، وأحد خواصي
وهو هوصان بن عفار المقاطبي ، وفرج حامل المظلة الملكية .
وتوجهت الى دار الوالي بقرواء وتعمدت الدخول من الثكنة
بالطائف مما أدهش الترك والعرب معاً ، حيث قالوا : لو كانت
الشوائع حقيقية لما مر بنا على هذا الشكل .

ولما أقبلت على دار الوالي قلت لفرج إبق عند الخليل، وقلت
لهوصان بن عفار كن على رأس الدرج ، وقلت للشيخين فاجر
وهوصان قوما على باب الغرفة التي انا بداخلها ، فان أراد الاتراك
أن يلتقوا القبض علينا فعلي أنا القضاء على الوالي في الغرفة وعليكم
أنتم القضاء على من يأتيكم من الدرج حتى نخرج . فقالا : انكل
على الله .

فدخلت وجلست وبعد ان رحب بي قال : الى أين تذهب ؟
قلت : كما تعلم لتأديب البقوم . فقال : ليس هذا بالوقت المناسب
فلو أخرت خروجك الى حين لكان ذلك أنسب ، وفي البلاد
شائعات لا بد أنهما لم تخف عليك .. ان الناس يقولون ان ثورة
ستقع وهذا أنت ترى أهل الطائف يرحلون بامتعتهم وأطفالهم .
فقلت : وماذا عليك من رحيلهم ؟ اني ان أخرت الغزو بعد
شيوعه لأكد هذا التأخير المخاوف ، وفي السفر تهدئة الخواطر
وسيرجع الناس الى محلاتهم ، أما سبب هذه الحوادث فقول
الناس عن مصادر تركية انه سيقع تبديل في الشرافة وان الشريف
حيدر بن جابر قادم الى المدينة ، وقد تقول بهذا رجال منهم
سليمان بك . فقال : لماذا تركت انا مكة وطلعت الى الطائف ؟
ليتني لم أفعل !.. فقلت : لا عليك .

ثم تناول مصحفاً شريفاً عنده وقال لي : هل تعرف هذا ؟
قلت : نعم هو كتاب الله وهذه النسخة منه كنت أهديتها لوالدي
وخطها كوفي وقد أهداها الى دولتك . فقال : هل تشك في
إسلامي ؟ فقلت معاذالله أما الظاهر فأنك من خيار المسلمين ولا يعلم
السراير الا الله . فوضع يده على الكتاب وقال : والله اني لمعكم
ولست عليكم فأصدقني الخبر عن هذه الشوائع .. فقلت : شوائع
الثورة ؟ قال : نعم . فقلت : هي لا تعدو ثلاثة احتمالات : إما

أنها مكذوبة ، أو انها عليكم وعلينا ، أو انها عليكم من الشرافة والناس . ولو كان هذا الاخير لما حضرت الآن بين يديك وقد تفعل بي ما تشاء . وعندئذ دخل احمد بك قائد الفرقة وسليمان بك فارتخيا عليه وقالوا ما لم أسمعه فانتهرها فخرجا (وقد علمت بعد ان وقعوا جميعاً في أسري أنهما طلبا اليه ان يأمر بالقبض علي) فتمت مودعاً فودعني وقال : لا تقطع الاتصال بي . فقلت : أأست على اتصال بمكة بالهاتفون ؟ قال : بلى . فقلت : في هذا الكفاية ، ثم قلت : سأمر قائمقام الطائف بان ينادي بالأمان للناس حتى يرجع كل واحد الى بيته وفي هذا من التكذيب ما يكفي . فقال : هذا حسن وسأفعل انا أيضا .

فخرجت ووجدت احمد بك وسليمان بك في الصفة ، ومعهما الامير آلاي حيدر بك متصرف عسير السابق فلم يحتفلوا بي وقد خرجت ولم أحتفل بهم . وبعد ان استوفينا على ظهور خيلنا بمنا قصر شبرا وبها العلم الهاشمي والقوات . فوجدت الشريف حسين الجندي على وعد مني عند العكرمية فقلت له : اذهب الآن الى الوالي وقل انك تلقيت مني أمراً بالمناداة بالأمان ، ثم عد وابتع من يقطع أسلاك التلغراف من مركز معشي الى الكرك ، وامنع كل من يسافر الى مكة منع قتل وإبادة . ثم تحركت بالقوة الى المركز الهاشمي للحركة وهو عند سفح جبل سواقه على يسار

الطريق للذهاب الى مكة عن ناحية العرفية .

وفي تلك الليلة تلقيت مذكرة من الوالي غالب باشا هذا نصها :

الى صاحب السعادة الشريف عبدالله بك :

بعد توجهكم انقطعت الخطوط التلغرافية بين مكة والطائف ، وان الموظفين الذين أرسلوا لاصلاحه لم يعودوا وشاعت الشوائع باز المعتدين على الخطوط التلغرافية قد سجنوهم . لذلك أطلب اليكم الرجوع حالا الى الطائف فان تأديب عشيرة البقوم ليست من الأهمية بشي إزاء الحالة الراهنة .

فأجيبته بالآتي :

حضرة صاحب السعادة الوالي والكو مندان بالطائف :

لقد تلقيت مذكرةكم ليلا ولم يبلغني خبر ما حصل على الخطوط التلغرافية . وان وكيل قائم مقام الطائف تحت أمركم لتنفيذ رغائبكم . أما انا فساكون بطرفكم بعد غد السبت ان شاء الله .

وفي ٩ شعبان كانت الثورة في البلاد الحجازية ، ما عدا الطائف فان الهجوم قد وقع عليه في الحادي عشر من شعبان بسبب بعض النواقص . وفي منتصف ليلة الحادي عشر من شعبان ابتداء الهجوم من الجبهة الشمالية التي كنت أدير حرارتها بذاتي .

الهجوم على الطائف ومصارها

وكان الأتراك قد أحكموا سور البلدة وحفروا خندقاً يبدأ من بستان الرياض متجهاً من الشرق الى ناحية الغرب الى مكان يسمى (معشي) ثم ينحرف الى الجنوب الى هضبة ام السكارى وبها أحد مراكزهم القوية وبها مدفعان ، ثم ينحرف مشرقاً الى ان يجاذي برج غلغه ثم يميل الى الشمال حتى يخالط وادي وج ثم ينحرف مشرقاً الى الجنوب حتى يتصل بصفاة تسمى دقاق اللوز ثم يميل الى الغرب مرة أخرى الى أن يتصل بأوله . وقد وصل هذا الخندق بخنادق فرعية تربط نواحيه الاربع بالمركز في خطوط متعرجة تحجب السائر فيها .

أما الهجوم فقد وقع بعنف شديد . وفي الجهة الشمالية في القلب فقد كان يتقدم الحملة البواردية الخواص وهم الرماة يتقدمهم راتي بن عفار ثم من كان في الحملة من الثبته الجوازي ومن الكشمه الغشاشمة والروانية ثم بنو سعد وعليهم جميعاً الشريف سلطان بن راجح . وقد عاد المهاجمون ببعض الأسرى والأسلاب وعند بزوغ الشمس أخذت المدفعية التركية ترمي بحممها المهاجمين بشدة ، ولم أدر لماذا لم يعزز القائد التركي المدفعية بهجوم من المشاة . فلم يتمكن بنو سعد من الوصول الى أهدافهم

فأضطروا الى التراجع الى نواحي شبرا ثم انصرفوا بشي من عدم
 الطاعة الى بلادهم . وقد جاءني من قائدهم الشريف سلطان ما يفيد
 بذلك فأمرته بان يتركهم . وانصرف همي الى اتقاذ القسم من
 الرماة الخاصة الذين حجزوا في العكرمية وفي أسفل شرقوق
 جبل بين مسرة وشبرا . وفي تلك الاثناء كان الى جانبي الشيخ
 فاجر بن شليويح والشريف حمزه الفعر ، فاذا الاتراك يحرقون
 قصور الامارة السبعة بالنار ، فقلت لمن معي : لا ترهبوهم انهم
 انما أرادوا بهذا إخافتكم ولو كانوا كما يقال لهاجمونا هجوماً
 معاكساً ، وهذه البيوت ستبني ان شاء الله باسرع ما يمكن .

وطال الاشتباك وقل العتاد الذي لم يكن في درجة الكفاية
 ولم يؤذن لأحد بان يرمي إلا هدفاً معيناً مرئياً . وفي وقت
 الظهيرة وبعد ان اشتد الظمأ على رجالي الخاصة ، ابتدأ الهجوم
 من الشريف فهد بن شاكر من الناحية الغربية والجنوبية بعشار
 النور وهذيل وبني سفيان وكنا نسمع تكبيرهم وصياحهم .
 واتجه ضرب المدفعية الى تلك الناحية فتمكن عندها رجالي الخاصة
 من التراجع سالمين . فأمرت بتحسين جبل شرقوق ، وأمت
 بقصر شبرا قوة كافية وانسحبت بالقوى العمومية الى سواقة ،
 وكان العتاد قد نفذ بأجمعه .

ثم بعثت بأوامر مستعجلة الى الشريف فهد بان يكف قواته

وان يميل الى طريق عقبة كرى لئلا تخرج القوة من الطائف
 عامدة مكة . وأصبح همي الاول حجز هذه القوة للتغلب عليها
 ولو لم يكن ذلك بالمتيسر في مدة وجيزة في قلعة حصينة كالطائف
 وفيها فرقة نظامية . ففعل الشريف فهد ما أردت . ولو خرج
 الوالي القائد بقواته لكان وصل الى مكة بسلام بسبب نفاذ
 عمادنا الحربي كلياً .

وفي الوقت نفسه بعثت بكتب الى العشائر التي تراجعت
 أخبرهم فيها ان هجوم عشائر هذيل وثقيف والنمور أتقد الموقف
 وأنا كررنا على الاعداء وحصرناهم ، وطلبت اليهم الرجوع بعد
 اسبوع لنوزع عليهم السلاح الجديد ونقيد اسماءهم في دفاتر العطاء
 مع تعيين ما يخص الرؤساء ومن يليهم من الأفراد فجاءني
 الأجوبة بلبينك لييك .

ثم أوقدت النيران في تلك الليلة على كل جبل مشرف على
 الطائف ، وكثر الصياح الحماسي ودقت الطبول واستمر الرمي
 بالبنادق ذات الفتيل حتى الصباح ، مما أوجب الوهم الشديد في
 قلوب الاتراك عن اجتماعات عشائرية .

وفي رأس الاسبوع وردت الاسلحة الجديدة وهي بنادق
 للشاة شبيهة ببنادق مصنع استير قيل انها يابانية ، وكانت بعيدة
 المرمى شديدة الاصابة لا ينحطي بها من يرمي إلا انها كان ينفجر

بعضها . وبعد ان وزعت هذه الاسلحة — ولحسن الحظ —
 هجم الاتراك على نواحي دقاق اللوز وشهار وحوايه ، لأخذ البيادر
 التي كانت بها حيث قرروا الدفاع . وصادف ان كانت هذيل
 وبنو سفيان قد عادوا من المعسكر بالأسلحة الجديدة وكان
 خروج الاتراك انصب على عشيرة وقدان بدقاق اللوز وبقملة ،
 ففشبت المعركة ورددنا هذا الهجوم المعاكس بنحسار فادحة .

وفي تلك الليلة هاجمت بنو سفيان وهذيل هضبة أم السكارى
 وقضت على حاميتها واستولت على مدفعين هناك للاتراك . وكان
 البيات فظيماً حيث لم تطلق بندقية واحدة بل كان الهجوم بالخناجر
 والحراب ولم ينج من الاتراك أحد . ولما حدث هذا تراجع
 الأتراك من هضبة أم الشيخ ومن شرقرق الذي كانوا استولوا
 عليه عنوة الى جبل أبي صحفة وخنادقهم القديمة ، وتقدمت
 القوات العربية الى مراكزها يوم بدء الهجوم .

وقد استولى الحرس الامامي على رسول من القائد التركي
 بالطائف الى القائد التركي بمكة ، ومعه رسائل موجهة بأوامر الى
 القواد والى قائد القوة الامدادية بالمدينة يقول فيها :

ان الشريف حسين قد أعلن العصيان وان قلعة الطائف
 والفرقة العثمانية تقاتل ببسالة ضد هجمات العرب الذين
 يقودهم الشريف عبدالله النجل الثاني للشريف حسين

وإن مسؤولية هذه الحركة تقع على الشريف
 وأنجاله . فقاتلوا في مراكزكم ببسالة حتى ترد
 الامدادات من الشام والمدينة المنورة . قاتلوا كما
 يقاتل هؤلاء العصاة واذكروا أسلافكم من آل عثمان
 ولا تهابوا صولة هؤلاء العرب الذين تقدموا بايامهم
 البيض وصدارهم الحمر مستخفين بالموت في سبيل
 أميرهم ... قاتلوهم في سبيل السلطان والملة ، واذ
 رأيتم راياتهم بألوانها الاربعة فاسحقوهم كالحية
 المدفونة باقدامكم ولا توفروا منهم أحداً .

وظلت الحال بين الحاصر والمحصور متكافئة الى ان جاءت
 بطاريات جديدة جبلية من مكة ثم جاءت المفرزة المصرية ومعها
 اربعة مدافع جبلية نصف سريعة وعليها الامير الآلي سيد بك علي
 وكانوا في بادي الامر كثيري الاحتيار ثم ألفوا . وبعد ذلك
 وصلت الى القوة مدافع الهاوزر نصف بطارية فحصل الرجحان
 في جانبنا . ولم اكن بالمسرف في الضرب حيث النتيجة معروفة
 والابقاء على النفوس من الجانبين كان ملازماً لدي .

استسلام غالب باشا وقوط الطائف

وفي العاشر من ذي القعدة تلقت كتابا من القائد الوالي الفريق
غالب باشا هذا نصه :

الى الشريف عبد الله بك نجل الشريف حسين باشا :
لكي تثبت للغرب مزايا الشرق ، أقترح عليكم ان
تسمحوا للقوى المحصورة بالسفر الى المدينة المنورة
بجميع أسلحتها ومن معها من مائلات الضباط ومن
يرغب السفر معها من الجالية التركية ، فاذا وافقتم
على ذلك وهو المأمول نتظر الجواب كي نشركم
بوسائط النقل اللازمة وعدد الجمال .

فأجبهته :

إن هذا ليس بيدي ، والحالة الراهنة لا تكفل
سلامة وصول هذه القوى المتراجعة الى المدينة ،
فمن الخير لكم ان تستسلموا جميعاً ثم ترحلوا الى
المكان المناسب .

فلم يرد أي جواب .

ولما كانت قوات نخري باشا قد تمكنت من التضييق على
الأميرين علي وفيصل ، فدفعت الاوّل الى رابغ ودفعت الثاني
الى ينبع البحر ، ولما كانت الأوامر ترد الي مشددة بلزوم

إسقاط الطائف وحث نار المدفعية الثقيلة على مركز القيادة ، لم يلبث
غالب باشا ان بعث الي بهذا الكتاب وقد ورد بعد هزيع من
الليل :

الى قائد الجيوش العربية الشرقية الشريف
عبدالله بن الحسين

إنه بالرغم من كثرة العناد والذخيرة رأيت لزوم
حقن الدماء ، ولذلك أرجو قبول هيئة منا لتتذاكر
معكم في معاملة التسليم والتسلم وفق حقوق الحرب
الدولية ، او تتكرموا بارسال هيئة منكم إلينا .

كومندان القوة العثمانية المحصورة بالطائف
الامضاء : غالب — فريق

فأجبتة بالقبول وان يبعث هو الهيئة التي يريدتها . فيبث القائد
سليمان بك ومعه رئيس أركان الحرب التركي ناظم بك وعليهم
الامير آلاي حيدر بك قائد ومتصرف عسير سابقاً . وحضروا الى
قصر الشريف فتن بن محسن بالمليساء . وكانت الهيئة العربية
يرأسها القائد سعيد المدفعي والرئيس فؤاد والملازم احمد حامي
وتقرر التسليم على الآتي :

- ١ — يخرج الوالي والقائد والأمراء العسكريون
حتى رتبة بكباشي في هذه الليلة الى قصر شبرا .
- ٢ — تترك الطواير تحت قيادة الرؤساء اليوزباشية

والملازمين الأولين والملازمين الثمانين .

٣ — تراجع هذه الطواير في منتصف الليل الى الثكنة الكبرى وترك على الأبواب بعض الغفراء ، وفي نفس الوقت تتقدم القوات العربية الراكبة بقيادة الشرفاء فهد بن شاكر وسلطان بن راجح وحسين الجودي لتحتل الأبواب وتؤمن السلام والأمن العام .

٤ — يتقدم القائد سعيد بك المدفعي وزملائه مع الفجر ليضعوا أيديهم على الأسلحة والمدافع الموجودة فتحجز في مخازنها وتمهر بالشمع الأحمر .

٥ — تتكفل القيادة العربية بالاعاشة والتأمين .

٦ — تصرف للهيئة المستسلمة معاشات ثلاثة أشهر

٧ — تنتظر الأوامر بالتوجه حالا الى الجهة المقتضية

وقد تم كل هذا بهدوء وسلام ، وأرخصت للكثير من العشائر ان يعودوا بعد مدة .

بعد سقوط الطائف

وفي اليوم التالي جرى إنزال العلم العثماني رسمياً عن القلعة ورفع العلم العربي بالتحية الرسمية لكلا العلمين . وكان منظرًا مؤثرًا ، فان العلم السابق كان العلم بالأمس والعلم اللاحق هو العلم

اليوم ، والامس أمسنا واليوم يومنا ، ولكن الذنب على من
سعى لتترك الصبغة الاسلامية الشرقية والهروع الى الحضيرة الغربية
الافرنجية . ومع الأسف فان هذه الحركة الانفصالية لم تحل بيننا
وبين الواقع فيما كنا نحشاه ، فقد وقع ما هو أكثر ضرراً . أما
الترك فعملوا ما شاءوا ولكنهم أتراك في كل شيء ، وأما نحن
فقد أصبحنا أشكالا متعددة ونزعات متفاوتة لنا من كل قوم
متبوع وفي كل بيت ألف لسان .

وبعد سقوط الطائف وإتمام معاملة التسليم والتسليم وفق
الشروط ، صار ترحيل القائد والضباط والجنود الى مكة المكرمة
سرفين وقد صرفت لهم مرتبات ثلاثة أشهر .

أما هلاقتي للوالي غالب باشا فقد كانت غريبة . فلم أحب
لقاءه اول ليلة لصداع شديد ألم بي بل بقيت بالمليساء وبعثت صحابة
الشيخ عبدالله سراج مفتي مكة والشريف شرف بن راجح اليه .
ولما لم يرني ارتبك وظهرت عليه علامات القلق فأرسل الي الشيخ
عبدالله يرجوني القدوم فذهبت اليه ، ولما رأني استبشر وضحك
فجلسنا في البهو الكبير بقصر شبرا ومعهم خمسة وسبعون ضابطاً
من رتبة قائد الى رتبة زعيم ، إلا هو فكانت رتبته افريقاً .

وبعد صمت استمر حوالي ثلاث دقائق قال : هذه طاجعة ..
فيعد ان كنا اخواناً أصبحنا أعداء .. شعرت عندئذ أنه قد

زال عني بعض شعور الاستحياء منه والتكريم له فقلت : نعم
لكي يعود السيد لسيادته ويتحرر من رق من أخرجهم من
الظلمات الى النور ، والشرب بالشر والبادي أظلم . فاصفر لونه ثم
قال : لقد كذبت واثقاً من ان الأمة العربية ستفصل يوماً ما
عنا ، ولكن لم أكن أومل ان يكون الانفصال على هذا الشكل
وبهذه السرعة . فقلت له : صدقت لقد أسرنا ومن منفعتنا
الاسراع ، أما الشكل فلا دخل له ولو أنكم أبقيتم سلطة الخلافة
لما تغيرنا عليكم ، ولكن ارادتكم المشروطة هذه التي أحببتم بها
السيطرة على السلطان وعلى الأمة معاً هي السبب الأول في الاسراع
وعلى كل حال فما لنا وللبحث الآن ؟ تفضلوا وتناولوا شيئاً من
الفاكهة فقد طال عليكم الحصر وحرمت الكثير منها . وأخذتهم
الى غرفة الطعام حيث كانت أعدت لهم تعتيمة فاخرة فيها أنواع
أطعمة الليل الشهية والعنب والبدراق والكمثرى والريمان وتركتم
معتذراً بصيداعي الى غرفتي .

وفي صباح اليوم التالي توجه غالب باشا الى مكة ، ولما وصل
جدة بعث اليي يسيفه لئلا يأخذه أي ضابط أجنبي وكانت هذه
منه بادرة جد نبيله . وتوجهت أنا الى مكة بعد ان نظمت
الاجوال في الطائف وبقي فيها الشريف حسين الجودي وكيلا
عن الشريف شرف ، ثم أمر سيدنا الوالد ان يتوكل إمارة الطائف

الشريف حمود بن زيد بن فواز. فوجدت بمكة السادة أهل الشام
 ولبنان : الشيخ كامل القصاب والشيخ فؤاد الخطيب صاحب
 القصيدة المعروفة « حي الشريف وحي البيت والعلماء » والسيد
 محب الدين الخطيب والسيد نسيب البكري وإخوانه . أما
 نوري باشا السعيد وسائر الضباط فقد التحقوا بمهسكر رابع الذي
 كان يقوده الأخ علي ، والبعض الآخر التحق بمهسكر ينبع
 البحر الذي كان يقوده الأخ فيصل ومعه الأخ زيد حفظه الله .
 وكانت وضعية الجيش للثورة في غاية الحرجة والخطورة
 حيث ان نحر الدين باشا قائد القوى السفرية التركية قد دفع
 بالأميرين فيصل وزيد الى ينبع البحر ، بعد ان هزم الصغير زيدا
 في بئر سعيد وهزم فيصل في وادي ينبع النخل ودفع بعلي الى
 رابع . وأرسل نحر الدين باشا الشيخ حسين بن مبيريك شيخ
 رابع الذي خان الثورة الى بلدة حجر ، فأصبحت الطريق بذلك
 من بئر قيطي أسفل سطح الفاير الى خليص فعسفان فمكة المكرمة
 مفتوحة له .

وكان الأخ فيصل يشكو كثيراً من تأثير الطائرات الالمانية
 في العربان . وفي ذلك الوقت كان الشريف علي حيدر باشا — بن
 جابر بن سيدنا الشريف عبد المطلب بن غالب — بالمدينة المنورة
 منصوباً أميراً على مكة من طرف السلطان محمد رشاد ، وقد ركب

اليه الكثير من شيوخ حرب وجهينة المجاورين للمدينة المنورة واستأمنوا. وكان المرحوم فيصل يقول: ان لم يمدونا بطائرات تقاتل ما مع الاتراك وإلا فلا يبقى من العربان أحد في ناحيتنا وتحت أيدينا. وكان القلق ظاهراً في برقيات و تقاريره .

أما المرحوم الأخ علي فكان براغب وكان معه الضباط العرب والجنود العرب الذين تمرنوا على الاصول العسكرية الجديدة وحاربوا في الجبهات مع الاتراك وأسروا ثم نقلوا الى المعسكرات الانكليزية فطلبوا الالتحاق بالثورة العربية . وجاء الكثير منهم فتكونت في رابغ قوة نظامية لا بأس بها فيها الصنوف العسكرية الثلاثة المهمة : مشاة ومدفعية ورشاشات ، كما كان فيها مهندسون وقسم استحكامات ، ولم يكن ينقصها الا الخيالة النظامية . وما لدى البلاد من القوات الراكبة العربية كانت كافية لهذه المهمة . أما عدد هذه المجموعة فكان بين الثلاثة آلاف وخمسمائة والاربعة آلاف ، هذا غير القسم الذي كان ينبع ، فكانت هاتان القوتان كالشوكتين الى يمين أي قوة تحاول النزول الى مكة المكرمة . فكان على نجر الدين باشا إذا قرر الاقدام على مكة ان يخصص قسماً منها من قواته لحصر هاتين المدينتين والنزول بالاقسام الباقية الى مكة ، وفي هذا من الصعاب ما لا يحمله أحد .

مع ستورس ولورنس وبريموله

كيف تراجع الانكليز عن عزيمتهم على سحب بضاتهم العسكرية

أمرني الوالد المرحوم ان أسافر الى جدة وكان حضر اليها
المستر شعورس والكابتن لورنس لمقابلة جلالته والتشرف بعلي
أوامره . وحيث انه لم يكن هناك ما يقتضي تشريف جلالته
الى جدة أمرني بان أذهب للاجتماع بهؤلاء الذوات . وبتقديم
الطلبات العسكرية التي هيأها رئيس أركان حرب جيش التحرير
العربي عزيز علي بك المصري . فتوسلت الى جلالته ان يقبل
بوجهة نظري في السفر اولا الى مصر لتنظيم المخبرات والكتب
الواردة من السير هنري مكاهون في شكل عهد قائم وبعد عودتي
من مصر يكون توجهي من الناحية الشرقية الى الحناكية
— وهو موقع مهم شرقي المدينة المنورة بشمال — ثم العبور مما
وراء الخط الحجازي الى وادي العيص ونقل الثورة مما بين
الحرمين الى ما بين المدينة والشام . فوافق رحمه الله .

وكتبت الى المرحومين علي وفيصل أن لا خوف من تقدم
نجر الدين باشا الى مكة ما دامت قواتها سليميتين ، فهو يخشى ان
تقطع هاتان القوتان الطريق بينه وبين المدينة . وقلت : اني

متوجه عن الطريق الشرقي وان هذه الخطة أنكى للعدو وأوفق
للتورة حيث تضم إليها عناصر العشار الشرقية كلها .

وتوجهت الى جـدة لمقابلة ستورس ولورنس وخيمت بين
الكندرة والسبيل فزاروني ومعهم قائم مقام جدة الشيخ عبدالله
الشبي ورئيس البلدية الشيخ سليمان القابل ، فأجري لهم الاكرام
اللازم . ثم زارني في اليوم نفسه الكولونيل بريمون رئيس البعثة
العسكرية الفرنسية ومعه الكولونيل قاضي — وهو من مسلمي
الجزائر وصل الى هذه الرتبة العالية وهذا عجيب لكونه من
المسلمين وليس لهم ان يصلوا هذه الرتبة — وفي الصباح التالي
زرت الذوات الانكليز بدار المعتمد البريطاني بجدة وكان هناك
الكولونيل ولسن (اللواء ولسن باشا) وكان معي عزيز علي بك
المصري وكان الذي يترجم لهم ترجمان دار الاعتماد حسين افندي
روحي .

ولما استقر بنا المكان قال ستورس :

حضرت أنا ورفيقي الكابتن لورنس لنقوم باقصى ما
يمكن من الخدمات فرحين بخورين ، ولكن لسوء
الحظ تلقينا هذه البرقية البارحة وكانت لنا منها
صدمة شديدة ، وقد ترجمت الى العربية وستقرأ على
صموك الآن ، فاذا تكلمت وأصغبت إليها علمت
مقدار جزعنا لسببها .

فقلت : تفضلوا اتلوها . وكانت برقية مطولة ، خلاصتها :
 إن أخبار النهضة العربية قوبلت في الهند بالسخط ،
 وإن وكلاء الألمان والأتراك اتخذوها وسيلة وزعموا
 أن الحلفاء احتلوا البلاد الإسلامية المقدسة ، ولذلك
 ولأن الحكومة لا ترغب في وجود متاعب لها في
 الهند فقد قررت أن تسحب كل البعثات المرسلة من
 لدها من المسلمين وكذلك سترجع البعثات العسكرية
 الفرنسية ، وستداوم الحكومة على تقديم المساعدات
 الأخرى من أسلحة وعتاد ونقود ، وترى هي أيضا
 أن نهوض العرب بأنفسهم وبدون مساعدة قوات
 أجنبية هو خير لمستقبلهم .

كانت هذه البرقية صدمة شديدة لي ولعزير علي بك ، إذ كنا
 في حاجة إلى قوات من طائرات ومدفعية ورشاشات ومهندسين
 لا يحسن استعمالها إلا من سبق له ذلك ، وهذا ليس بالموجود عندنا
 فقلت : أرجوكم أن تتلوها مرة أخرى لأنني أحب أن أتعلمها
 أكثر . وكانت فرصة للتفكير وقررت قراري . فلما انتهى من
 تلاوتها قلت : فهمت ما تقولون تماماً . وقلت مودعاً فبهتوا
 وودعوني بكل احترام والارتباك ظاهر عليهم .

فيمت دار الكولونيل بريمون ، فاستقبلني من الباب . وهو
 رجل إلى الطول أقرب ، عريض الصدر طويل اللحية أشبهها .

وبعد ان جلست قال لي : ما هذا ؟! إن الأتراك قد وصلوا الى
بير قاضي .. فقلت : بل ما هذا ؟! فان دار الاعتماد البريطاني
والموفدين البريطانيين أخبروني الآن بقرارهم بسحب بعثاتهم
العسكرية بما فيها أنتم ، وأنهم سيساعدون النهضة فقط بالأسلحة
والعتاد والنقد ، ونحن في حاجة الى طائرات ومدفعية وغيرها
بما لا يتقنه الجنود العرب اليوم .

فقال : لم يبلغني ذلك وإن الأمر لخطير ، فماذا أنتم فاعلون ؟
قلت : لا شيء غير الصلح فالأتراك عرضوا علينا قبولهم ما
نطلبه بكفالة امبراطور ألمانيا ، وانني سأعود الآن
وستستقبل الحكومة التي انا وزير خارجيتها وتأتي
حكومة أخرى من الحزب الجناح للصلح فننتهي على
خير وقد نلنا ما أردناه ، وليس علينا من حلفائنا
أي لوم لأنهم يعرفون ما طلبنا وما قدموا .

فتغير لونه . وبعد ان شربنا القهوة خرجت الى المخيم .
وبعد وصولي المخيم بنصف ساعة تقريباً جاءني قائد الجندرية
ومعه مذكرة من المعتمد البريطاني يقول فيها إنه هو والمستر
ستورس والكابتن لورنس يحبون ان يتناولوا الشاي في المخيم في
الساعة الرابعة ، فأجبتهم بالقبول . وقد حضروا في الوقت
المعين وقالوا لي : ماذا قلت سموك للكولونيل بريمون ؟ فقلت :
الذي سمعتموه منه ، فاني بعد تبليغكم إياي قرار حكومتكم

صممت على العودة لعرض الامر على ولي الامر وشرحه بتمامه ثم الاستعفاء انا والحكومة ، لتأتي حكومة من الحزب الميال للصلح مع تركيا فتقبل ما عرضه الاتراك علينا بكفالة الامبراطور الالمانى وتخلص من مشاق الحرب ، ولا لوم علينا في هذا . فقالوا : ولم ؟ قلت : للوصول للغاية بعد اعتذاركم . فقالوا : إنك لم تبق عندنا حتى نعرض عليك ما كتبناه للحكومة ، وإننا ننتظر إيقافنا على ما تريدونه من مطالب ، فقلت : بعد تصميمكم على سحب بعثاتكم تقولون إنكم كتبتم وماذا تعني كتابتكم ؟ فألحوا على إلحاحاً شديداً لتغيير رأيي ، فقلت : لا أحميد عن رأيي قيد شعرة ولكن سأناخر في الطريق اثنتي عشرة ساعة فان سبقتني الموافقة على ما تتطلبه الحالة الراهنة من إبقاء البعثات وإرسال الطيارات التي يطلبها الامير فيصهل فاستمر على ما أنا عليه فرضوا وخرجوا بعد ان تناولوا الشاي .

وسافرت الى مكة عن طريق بريمان والفيج ، تاركا الى يميني جبل ظاف وجبل مكسر ، وقضيت الليلة بقرب منازل لحيان وكانت ليلة جميلة ضيفتنا فيها العشيرة خير ضيافة . واستأنفنا السير صباحاً وسلكنا طريقاً تنخرط بنا الى الحميمة وبها أقلنا . ثم روحنا بعد الظهر فأصبحنا أمام مكة المكرمة ودخلناها من طريق الحجون لا من طريق أجياد . وعند دخولنا البلد الامين

وإذا بحمد يقول (يا شاري العبد المليك ، عبد يحمل من شراه)
وإذا به الشيخ فاجر بن شليويح وجاء على وعد مني للسفر
إلى الجبهة .

وتشرفت بالتمول بين يدي الوالد العظيم فبادرني بقوله : لقد
نجحت يا عبد الله في عمالك ، فقد وردتني برقية من المعتمد البريطاني
بجدة يقول فيها « إن جميع مطالب الجهات ستأتيكم بدون أي
تأخير » فعلمت ان السهم قد أصاب وان القوم قد فضلوا دوام
الثورة على الصلح الذي زعمت أنه ممكن . ولم أعرض لجلالته
أي شيء عن الموضوع غير أنني علمت بعد ذلك ان عزيز علي قد
أخبره بكل ما جرى .

اعلان استقلال البلاد العربية

ومبايعة الحسين بن علي ملكاً عليها

قلت في نفسي إنه لا بد من إعلان استقلال البلاد العربية
بأجمعها والبيعة بالملك عليها لأبي الثورة المنقذ الاعظم الحسين بن
علي ، فالتركة في ذلك الحين كانوا ينظرون إلينا على اننا عصاة
خارجون ، وكان أعداؤهم يعتبروننا ثواراً لا أقل ولا أكثر ،
وفي هذا ما فيه من الخطر على مستقبل الأمة . فذاكرت زملائي

الوزراء ما عدا الاميرين علي وفيصل فقد كانا في الجبهة ...
 ذاكرت الشيخ عبدالله سراج قاضي القضاة ونائب رئيس الوزراء
 والشيخ يوسف قطان وزير الامور النافعة ، وحافظ محمد أمين
 أفندي ناظر الاوقاف ، وعزيز علي بك المصري رئيس أركان
 حرب الجيش العربي ، وعلماء مكة ومفتيها ومن حضر من
 رجال الشام والعراق الذين منهم الشيخ كامل القصاب والسيد
 محب الدين الخطيب وآل البكري والشيخ فؤاد الخطيب
 — وكان معاوناً للخارجية — وآل الداوق وحضرات
 الضباط العراقيين ... عرضت عليهم الامر فوافقوني وأخوفا في
 صرعة التنفيذ .

ومثلت بين يدي الوالد وعرضت الامر عليه رحمه الله فرفض
 بشدة وقال : أنا لا أعمل للملك ولا أقبل هذا الذي تعرضون.
 فتقدمت ولثمت ركبتة وقلت : هذه العريضة من عطاء الحجاز
 ومن حضر من سائر بلاد العرب يرجون فيها قبول عرضهم .
 فقال : ليس لدي سوى ما قلته لك . فقلت : لسنا جميعاً على
 استعداد لخدمة الثورة الا على شرط قبول ما عرضناه فاعمل ما
 تشاء مع سوانا . فقال : هل بلغت بكم الحال هذه الدرجة ؟
 قلت : نعم . قال : قف . فوقفت ثم أمر بحضورهم جميعاً فلما
 جاءوا قال : أصحیح ما يقوله عبدالله ؟ قالوا لا يجروء أحد على

ان يعرض على سيدنا ما لا صحة له . قال : وهل عزمتم على عدم الاستمرار في الثورة إن رفضت ما عرضتموه ؟ قالوا : نعم وسندسحب كلنا . فقال : إفعلوا ما شئتم والتبعة عليكم إنني أقبل ما عرضتموه منفذاً بذلك رغبتكم لا موافقاً عليها . قالوا : إذن وفقك الله وستكون البيعة يوم الاثنين اول محرم سنة ١٣٣٥ في المسجد الحرام ، فقال : على بركة الله .

كانت البيعة عامة شاملة . وقف الناس يبايعونه من ضحوة النهار الى أن أذن المؤذن الظهر ، أربع ساعات كاملة . وبعد ان عاد الى القصر ودخل الحجرة الخاصة ، تقدمت منه مهنئاً وقلت : هذه المبايعة العلنية ، أما السرية فكانت والأترك في البلاد أخذتها من أحد عشر ألفاً بمكة وكلهم بايعني على ان أختار لهم ملكاً هاشمياً يسير بهم على ما أمر الله ورسوله ، وكان ذلك باذن من جلالتك . فقال : تذكرت تذكرت . فقلت : وانا الآن ذكرت أبا مسلم الخراساني ، ولكن أرجو الله ان لا تكون عاقبتك عاقبته فقال : خسي العجمي .

ثم أبرقت بصفتي وزيراً للخارجية لجميع وزراء الخارجية من دول الحلفاء والدول المحايدة ، واستمر العمل ذلك اليوم من بعد الظهر الى ما بعد نصف الليل ، وكان يعمل معي الشيخ فؤاد الخطيب عمل المخلص المتفاني .

وفي اليوم الثاني ٢ محرم ١٣٣٥ طلب الي المعتمد البريطاني الكولونيل ولسن والمعتمد الفرنسي الكولونيل بريمون المكلمة . فظننت ذلك للتهنئة على ما وقع واذا بهما على عكس ذلك يقولان : لم فعلتم هذا الامر قبل الرجوع الي رأي حلفائكم ؟ فقلت :

عجيب ما تقولان ! اننا نقاتل بسيفنا في سبيل الله وإعلاء كلمته . وإرجاع حقنا القومي الي نصابه ، فمن ساعدنا وأيدنا فهو صديقنا ومن نكص عنا وأحب ان يفت في عزائمتنا فهو لا يريد بنا الخير ، ونحن لا نسفك الدماء الا في حقها وحلها ، فاذا رأيتم اننا على خطأ فانتم تضررون لنا غير ما تعلنون . وما دام الأمر كذلك فاني أنتظر رد حكوماتكم لا ردودكم الشخصية . واني أعتقد ان الاتراك وحلفاءهم اليوم سيقرون ما فعلناه ويقبلون الصلح وهذا أمر نخبه .

فقالوا :

تشك سموك في إخلاصنا ؟

قلت : لا ، ولكن نحن أعلم بما ينبغي لنا ان تفعله من أجل أنفسنا .

وفي ٣ محرم جاءني الرد من مسيو ستورمر وزير خارجية روسيا القيصرية بالاعتراف باستقلال البلاد العربية وبملكية صاحب الجلالة الهاشمية الحسين بن علي ملكا عليها مقدماً تحيات جلالة القيصر نيقولاً الثاني الي جلالاته وتحياته هو الي والي الحكومة .

فبلغت هذه البرقية الى دول الحلفاء قراءة . فقال لي الكولونيل
ولسن : وهل تعتبر هذا اعترافاً منه يا سمو الامير ؟ قلت :
وكيف يكون الاعتراف إذن ؟ فقال : أرجو ان تفضلوا
بقبول تهانئي الشخصية على ان أقدم التهانئي الرسمية بعد تلقي
الاعتراف من حكومتي .

إبادة قوة تركية وأسر قائدها

كيف نجحت الخطة في التخفيف عن قوات الأميرين

علي وفيصل

بعد هذا أخذت أتأهب للسفر ، وقلدني الملك قيادة الجيش
الشرقي العربي مرة أخرى ، وعماد هذا الجيش فنتان من المهجاة
المدرين والشوكة الهاشمية وفئة الخيالة ومعهما بطارية جبلية
وعشائر عتيبة وعشائر مطير وعشائر حرب وعشائر هتيم . ثم
عند الوصول الى بلاد جهينة وبعد إتمام التجهيزات توجهنا في ٢٠
من شهر صفر الخير ونزلنا وادي الليمون ، وكانت قوات
الاميرين في رابغ وينبع تحت ضغط شديد من نحر الدين باشا .
وكان الشيخ حسين بن مبيريك شيخ رابغ قد التحق بالقوى

التركية وقام ببعض عشائره في حجر — منطقة وعرة شرقي رابع
وعلى طريق خلص فوسفان — فكانت الطريق بذلك مفتوحة
لقوات نحر الدين باشا غير منازع .

فخذنا السير ولما وصلنا الى البركة — منزل للحجج في الطريق
الشرقي — تلقيت أمراً من القائد العام الامير علي (جلالة الملك
علي) بان أرجع الى مكة ومنها أغذ السير الى عسفان لتشكيل
جبهة جديدة تدافع عن مكة ، لأن الامير فيصل في مضايقة
شديدة بينبع ولأنه هو بذاته ينتظر في كل لحظة هجوم نخري باشا
عليه او مروره على طريق خلص الى مكة ، فان لم أفعل أكون
قطعت عليه خط الرجعة فيضمحل الجيش بدون أي خدمة .

ولما كنت أعلم جيداً ان في تنفيذ هذا الامر انقراط عقد
العشائر ، عزمت على الآتي: بعثت الشريف فوزان الحارث بألف
وخمسمئة هجان مردوفين وأمرته بان لا يصبح إلا وقد احتل
حجر واستأصل حسين بن مبيرك وأوصل جوايي لجلالة الملك
علي في رابع بان لا حجر ولا ابن مبيرك بيد الترك بعد الآن .
وبعثت الشريف عبدالله بن ثواب الحارثي بمثل تلك القوة الى
المدينة المنورة وأمرته بان يشن الغارة على مخافر الترك بجبل وعيرة
وجبل أحد وان يوقد النيران الكثيرة في رؤوس الجبال وعلى
المرتفعات ويكثر الصياح وان يأسر كل محطوب او ذا حاجة او

تاجر من تجار نجد ممن يخرج من المدينة او يدخل اليها ، وان يطلق سراح الراجعين الى المدينة بعد ان يتحقق من هوياتهم ويزودهم بكتب الى العشائر بغربي المدينة ممن التحق بالأتراك والشريف حيدر ويهددهم بالصياح إذا هم لم يتراجعوا الى الاميرين بينبع ورايح ويقول انه في مقدمة الجيش الشرقي وقد تفنذ ما عليه ، كأن حجراً قد احتلت في الوقت المعين .

وتوجهت أنا بالقوة الاصلية الى ناحية الحناكية — موقع معروف شمالي المدينة المنورة بشرق — فأقمت بها ثلاثة أيام التحقت بي خلالها عشائر هعيم وحرب بأجمعها ، فأصبحت القوة عشرين ألف راكب توجهت بها نحو الغرب لأعبر السكة الحجازية ما بين محطتي أبي النعم وهدية .

وفي طريقنا بالحررة كدت أقع أسيراً بيد الأتراك لولا عناية الله . فقد تقدمت ومعني هجانان لشدة الحر يومئذ وللتخلص من وعورة الحررة ، واذا بقاع صحصح فيه دوحة عظيمة الى جانب غدير أفيح ، فأنتخت وأمرت بشي من القهوة في انتظار قدوم عيون القوة فكان كل من رآني هناك ينيخ ، وأخيراً ولتأخر القوة قررت ان تكون هذه الدوحة منزلة الظهرية ، وكان عندي حينذاك الشريف شاكر بن زيد وخالد بن لؤي والشيخ ناهس الذويبي شيخ مشايخ حرب . وبينما انا جالس معهم دخل رئيس

عشيرة ولد ، محمد رجا بن خلوي وأشار الي بانه يريد محادثتي فقمتم
اليه فأشار الي تل لا يبعد عنا اكثر من خمسمئة متر وقال : هل
رَى هذا التل ؟ قلت : أراه . قال : إن به قوة تركية . قلت :
كيف ؟ قال : إسمع من هذا الغلام ...

وإذا بغلام يفع تتقد عيناه ذكاه يقول : يا سيدي عان الترك
عانهم أي أنظر الي الترك أنظر اليهم !.. قلت : كيف ؟ قال :
« انني وأخي زمالان للشيخ رجا بن خلوي ، ذهبنا في مقدمة
القوم نحش حشيشاً فألقى الترك القبض علي أنا وأخي ، وقال
كبيرهم لنا من أنما ومن هؤلاء القوم ؟ فقلت أنا مبادراً : هؤلاء
هتيم ونحن منهم وشيخنا سمران بن سمره بلغه ان الشريف عبدالله
نزل الحناكية فرحل عن طريقه لاجئاً الي خيبر . فتال : لا
تكذب . فقلت : ولم الكذب أطلقني إن أردت واحتبس أخي
وأنا آتيك بسمران بن سمره . فاحتبس أخي وأطلقني . ولكن
عان يا سيدي الترك عانهم » !. فقلت : هل رأيت كثرتهم ؟ قال :
إنهم كثيرون ولكن نحن أكثر ، إبعث بي أدل القوم .

فانتحيت ناحية وقسمت الخيل ثلاثة أقسام : القسم الاوسط
وعليه الشيخ هو صان بن عفار ، والأيمن وعليه أخوه الشيخ
راقي بن عفار ، والأيسر وعليه الشيخ عبدالله بن مسفر .
وأمرتهم ان يحيطوا بالقوة التركية وان يوغلوا الي ما وراءها

حتى يقفوا على حقيقة الحال : هل لهؤلاء من مدد او قوة كاملة ؟
وتوجهت الخيل .

ثم بهتت بمشاة العشائر بقيادة الشريف خالد بن منصور وبعشائر
هذيل بقيادة الشريف فائز الحارث من الميمنة ، وبعشائر ثقيف
وابن الحارث وهذيل الشام بقيادة الشريف شاكر بن زيد من
المبسرة ، فتبعوا الخيل . ولم تمض دقائق حتى كان الاشتباك
الشديد ، واذا برشاشات القوة التركية تطلع ومتفجراتهم ترعد
فينعكس صوتها بين حلي الحرة وهضابها ، فحمل رجالنا عليها
حملة صادقة فأبادوها بأجمعها وأتوا بقائدتها الامير آلاي أشرف
بك وأتوا بالمدافع وبالرشاشات وبغنائم لا تحصى وبهدايا كانت
معها الى الامير ابن رشيد والى الامير ابن سعود والى امام اليمن
وكان من جملة الغنائم ثمانية وثلاثون الف جنيه ذهباً عثمانياً ،
ومن الاطعمة المجففة والبسكوتات ما أغنانا أياماً عن الزاد
وكننا في حاجة شديدة اليه .

سرنا لنعبر السكة قبل ان تأتي قوة تركية تمنع علينا العبور
ونحن في مفازة قتالة . واحتلت قواتنا ما بين هدية وأبا النعم
الخط الى آبار أبا الحلو غربي السكة ، واستمر العبور اربع ساعات
ونصفاً على ثمانية خطوط . ثم اقتلعت أعمدة البرق وانترعت
قضبان السكة .

وقد كتب أشرف بك مصيره في تقرير علق على أحد قضبان البرق . وكتبت انا كتاباً الى نحر الدين باشا أقول بان أسفنا شديد لما وقع على أشرف بك وحملته ، وان عجبنا كذلك شديد لبعت هذه القوة بهذه الاموال في بلاد نائرة ، وان الثورة قد انتقلت الى ما بين الشام والمدينة .

وعليه تراجع نحر الدين باشا حالا من ينبع النخل ومن وادي الصفراء ومن بير سعيد الى بير درويش ، وتراجع جناحه الايمن الذي كان يعمل ضد الامير فيصل من بير قاضي وسطح الغاير ومن برام وعبود الى غدير مجز ومجزان الى آبار علي ، وكذلك جناحه الايسر الذي كان يعمل ضد الامير علي فقد تراجع أيضاً وتقدمت فنزلت بوادي العيص بريعان ، وكررت على الخط الحديدي آهاجه ليل نهار ، فتحررت قوة الامير فيصل واتجهت عن طريق الساحل الى الوجه وقد كان بيد الاتراك . وكان قائم مقام القضاء في الوجه صديقنا العزيز عبد السلام بك كمال أحد أفراد دار كمال المعروفين بالقدس ، وكان عثمانى المذهب شديد التمسك بالترك ، وهي مزية يشكر عليها لاعتقاده بانها واجبة عليه وكان معه قائد للمقاطعة الامير آلاي احمد بك على القوة النظامية العثمانية وكانت مؤلفة من مدفعية ساحلية وبطارية جبل وطبور أفراد الف ومائتا جندي غير الجندرمة . وكان بالوجه قوة

هجانة من عقيل أهل نجد مؤلفة من ثمانئة هجان .

ولدى نزولي بوادي العيص كتبت الى هؤلاء العرب أنصحهم بالانضمام الى الحركة الثورية قبل ان ينسألهم التنكيل ، فوردت أجوبتهم بالموافقة . وبعد ان استلموا معاشاتهم تركوا الاسلحة حيث هي وخرجوا ثم التحقوا بالثورة كأفراد وقد شكرت لهم منيتهم هذه .

وتقدم فيصل من الساحل فاستولى على أمليج . ثم ضرب الاسطول البريطاني الوجه . وعند وصول طلائع قوى الامير فيصل تراجع القائم مقام والامير آلاي بقواتهما الى العلا ودخل جيش الملك فيصل الوجه بدون مقاومة تذكر . أما ابن رفاة شيخ الوجه وأحد رؤساء بلي فقد فر والتحق بأحمد جمال باشا في الشمال .

و كتبت الى عشائر عنزه :

من عبدالله بن الحسين بن علي الى الشيخ فرحان الايدي والى الشيخ شهاب الفقير — أما بعد فقد بلغكم عبورنا خط السكة الحجازية بعد ان ظفرونا بأشرف بك في الجنبله بالحرة ونزلنا بالمربع بوادي العيص . وكتابنا هذا كتاب دعوة لكم للالتحاق بالثورة الغربية الحققة في مهلة لا تزيد على عشرة أيام تقدمون البت قبل مضيتها مقدمين الطاعة مع البرهان

بان تم اجموا خط السكة وتأتوا بالأسرى والغنائم .
 فان لم تفعلوا ومضت المدة فلا لوم علينا إن نحن استعنا
 بالله عليكم وصبحناكم . وقد أفلح من اتقى .

وفي خلال المدة جاء الشيخ فرحان الأيدي سامعاً مطيعاً بعد
 أن هجم على محطة من محطات سكة الحديد تسمى (البهلة) وظفر
 بمن فيها وجاء معه مدفعان جبليان اغتنمهما من هناك فوظف
 قائداً في اراضي عنزة من الجبهة الى حدود الفقير . وأما شهاب
 الفقير فكان فائماً عند وصول كتابنا ، ولكن حضر أخوه
 الشيخ متعب الفقير بالنيابة عنه سامعاً مطيعاً ، وقد وعد بان
 الحركات ستبتدي في جبهة الفقرة أيضاً عند وصول الشيخ
 شهاب من الشام . فلم أقبل منه ذلك وقلت : الوعد المدة ولا طي
 شهاب بأس مادام انه لدى الاتراك ، وأنتم لا لوم عليكم بعد
 التهديد . وبينما هو يتجهز للرجوع واذا بنخبر ورود شهاب الى
 عشيرته يأتي وانه قد سمع وأطاع وباشر في الحركات .

وهكذا ابتداء الجيش الشرقي يعمل وقد لفت اليه الانظار .
 وكان لأسر أشرف بك خير ابتهاج عظيم في مكة وفي المعسكرات
 العربية برايع وينبع ولدى المحافل البريطانية لشهرة أشرف بك
 هذا وعصابته . ولأنه هو الذي صبح فرقة البرنس موريس
 البلغاري أثناء حرب البلقان وأوقع فيها وشتتها .

بعد هذا قطعنا الخط الحديدي بين محطة أبا النعم وهدية ،
وهيأنا القوة الكافية للكمون بطرف بئر عروة بالمدينة المنورة في
أيام الجمعة لاختطاف الامير الشريف حيدر الذي يتزه هناك عادة
بعد ظهر كل جمعة . وقد وصلت تلك القوة بالفعل الى مكناها ،
ولكن الشريف كان قد أخرج من المدينة الى لبنان خوفاً من
وقوعه في الاسر إذا حوصرت المدينة . وكان رحمه الله يخدم
القضية العربية بان يقول لكل شيخ جاءه : إذهبوا وسأقابلكم
بمكة متى وصلتم . وقد أسر لمن يثق به منهم بان أعينوا أمراءكم
فان حصل أي فشل فاني سأجتهد للتخفيف عنكم . رحمه الله .

وهكذا لاقت الحركة نجاحاً عند اختياري سلوك الطريق
الشرقية . وقد استكملت أسباب حصار المدينة بعد ذلك رويداً
رويداً . وتحركت القوى الأصلية الهاشمية من رابغ يقودها
المرحوم الأخ علي وأمرؤها من النظاميين : نوري باشا السعيد
وعلي جودت بك الأيوبي وحامد باشا الوادي و ابراهيم بك الراوي .
وأما العشائر فحرب وبنو سعد وسليم وهذيل والأشراف . وقد
قصدوا قوى الترك الاصلية ببئر درويش وبمجز ومجزان ، وكان
سمو الامير زيد يقود الجناح الأيمن . واستمر القتال بين القوتين
ثلاثة أيام ظفر فيها الجيش العربي الهاشمي ببئر درويش وبمجز
ومجزان ، وتراجع نخري باشا الى الجفر والى آبار علي . وقد

قال في تقريره لجنوده « انكم تقاتلون الآن قوة منظمة هي كفوكم
 لكم وليست المجادلة الآن بحرب عصابات او شقاوة »
 وأخيراً قصر فخري باشا خط دفاعه وخذل واستحکم .
 وكانت القوى السفرية بالمدينة تدافع الى احد تبوك بنمرقة ونصف
 وكان الجيش الشرقي الذي أقوده بالعيص إبدأب على قطع
 مواصلات القوى السفرية قطعاً مستمراً بتدمير خط سكة الحديد
 الحجازية . ثم تقدم فيصل من الوجه الى جيدة — موقع يقابل
 العلا بارض بلي — وجعل المركز العام له مدينة الوجه الساحلية
 وكانت هجمات الجيش الشمالي الذي يقوده تستمر الى ذات حاج .

لورنس

بعد نزولي بالعيص باسبوع وصلت قوة من الجيش الشمالي
 مؤلفة من سبعة وعشرين مجاناً ومعها الكابتن لورنس ، أرسله
 الملك فيصل بقصد ان يدير حركات التخريبات الفنية على السكة
 الحديدية . ولم أكن بالفرح المسرور لاقدمه لعلمي بتأثيره
 المعاكس في العشار المتعصبة . ولقد قال لي ابن لؤي الوهابي
 العقيدة « انكم تقاتلون الترك بسبب أن الألمان استحوذوا على
 الترك ، وهذا من يكون ؟ إذا كانوا هم — يعني الألمان — أصحاب



صاحب هذه المذكرات ومع جلالته الكابتن لورنس

الأتراك فهؤلاء أصحابكم ، فعلام القتال إذن ؟! » . وسألني
 فاهس الذؤبى « من هذا الأحمر القادم وماذا يريد ؟! »
 فأشعرتهم كلهم بأنه جاء لتخريب الخط وأنه مهندس وأنه
 يمثل انكلترا حليفتنا وصدیقتنا ، وإن الأمر ليس كما تظنون
 بل اننا وهؤلاء اتفقنا على عدو لهم وعدو لنا ، أما أعداؤهم
 فالألمان وأما أعداؤنا فهم الأتراك حين ذلك . وقلت : أتظنون
 ان هؤلاء يدفعون أسلحتهم وذخائرهم وأموالهم اليكم بدون ان
 يروا ما نوقعه في أعدائنا ؟! لا يقول هذا إلا جاهل ..

ومع أنه كان لكلماتي هذه تأثيرها غير ان التبرم من وجوده
 كان جلياً ظاهراً . ولقد حاول لورنس الاتصال بالعشار ولكنه
 لم يستطع للحرس الذي أقيم عليه خشية ان يدس له الترك بيننا
 من يعتدي عليه بقصد إفساد ذات البين . ولقد سلمت العشار
 الجنوبية من الكثير مما لحق بعشار الشمال يوم أطلقت له الحرية
 في جيش الملك فيصل فأصبح بما بذل من مال وما قال من أقوال
 « ملك العرب غير المتوج » و « صاحب الثورة » و « لولاه لما
 نال العرب أي شيء » ..!!!

وفي الحق أن لورنس كان مزهواً بنفسه وغريب الطباع .
 ولقد دس الي من يغربني بملك الحجاز ، بحجة ان الوالد المرحوم
 عنود في فكره متمسك برأيه ، فقلت لرسوله — وهو الان حي

يرزق — قل لصاحبك هذا :

إن أبي سيدي وملكي وبعده الأخ الأكبر وبعده
نجله وانني مكنت بلقي . وأما هو فقد خدمني
وخدم العرب أكبر خدمة بقوله ان والذي عنود
متمسك برأيه ، إذ يظهر انهم يطلبون من لا رأي
له من الناس كي يعمل لورنس ما يشاء .

وقد رأينا ما آلت اليه الشام . ففيه ما يدل على أن فكرة إزالة
الناهض المرحوم والمنقذ المظلوم كانت قديمة ، وأن المحاولة
البريطانية في تمكين ابن سعود الذي كانت بريطانيا متعهددة بان
لا تدعه ولا سواه من الأمراء العرب الذين لهم صلوات بحكومة
الهند أن يقفوا ضد الثورة العربية حتى تم ، وانه لا ينبغي
لصاحب الثورة ان يضمهم او يلحقهم الى الحركة العربية لأنهم
تبع لحكومة الهند — هذه المحاولة كانت غاية في الاتقان ، فأعلنت
بريطانيا حيادها عندما صال ابن سعود بوحوش الوهابية على
الحجاز المقدس وألزمت العراق وشرق الاردن بذلك الحياد إلزاما
إكراهياً . فأما شرق الاردن فقد بذل كل ما في وسعه لتجدة
أم القرى ومركز الثورة العربية ومهبط الوحي ، وأما العراق
فقد ضمن بما عليه . وفي هذا الشيء اليسير من أعمال لورنس ضد
البيت الهاشمي .

ولم يكن هذا الموضوع من المذكرات محللا لذكر هذه النبذة ،

ولكن حيث كان لقدوم لورنس الى العيص هذه البادرة ، جعلناه محلاً لما نعرفه عنه .

ولقد وجهنا قوة للتخريب وطرد الاتراك من محطة أبي النعم وجداعة والوقر وهدية . وكان لورنس من جملة الذين ساروا مع القوة لوضع المتفجرات التخريبية ، فعاد وهو غير شاكر ما رأى وأخذ يذم القوة ويقول بانه كان في الامكان عمل الشيء المؤثر ولكنهم استعجلوا الرجعة . وفي ذلك اليوم تم نسف قاطرة وتخريب قطار باجمعه وتدمير حوالي احد عشر كيلومتراً من الخط الحديدي . وهذا العمل لم يرق لورنس لانه لم يسر كما كان يريد . وقد سافر الشريف حيدر من المدينة الى لبنان بهيد هذه الضربة باسبوع ، وقبل ان نظفر به كما رتبنا . أما لورنس فقد نفرت في جسده دمامل وخراجات أزعبته فاستأذن وعاد . ولقد كنت معه لطيفاً معترفاً بثمانين مساعداته ولكني لم أكن راضياً عن تدخلاته فيما لا يعنيه .

بعض من عرفتم من الانكليز اذ ذاك

وفيه من خدم أكثر من لورنس

استمر الضغط على الخط الحديدي الحجازي وتخريبه بلا انقطاع فشلت بذلك حركة النقل سنة ١٩١٦ سنة ١٩١٧ ، وبدأت القيادة التركية تخرج المدنيين الى الشام وكان أول من أخرجت الشريف حيدر بن جابر الذي عينه السلطان أميراً على مكة عند إعلان الثورة . وكان مركز الامير فيصل في الوجه كما مر ، ومركز الحركة في موقع جيدة وما جاورها . وكانوا حاولوا من ناحيتهم أيضاً الضغط على الخط الحديدي من العلا الى حيث يستطيعون نحو الشام .

ولما انبعثت الحركة في الجيش الشرقي الذي أقوده ، ألحقت به مفرزة تخريب فنية يقودها ضابط بريطاني برتبة ميجر — رقي فيما بعد فصار كولوئيلا — واسمه « دافنبورت » وهو رجل دمت خلوق لا يهمه سوى عمله ، طويل بالنسبة للعرب لا للانكليز عريض المنكبين أحمر اللون كستنائي الشعر أزرق العينين وكان قد أسبل لحيته بسبب الحرب . وكان في معيته من الانكليز الكابتن « غارلند » وهو من محبي العرب مخلص شديد الاخلاص ، كان

من الذين يسعون للعمل مع المخلصين من العرب للعرب ولم يكن من الذين يسعون لتفهمهم الذاتية فيخدمون عن غش غير أمتهم وينسون ان من غش نفسه لا ينصح الآخرين .

وكان من الرجال الانكليز الذين عرفتهم بطيبة النفس والاخلاص الكابتن «غولدي» وهو رجل نحيف طويل معروق الوجه أخضر العينين بشوش هشوش .

وعرفت أيضاً من الانكليز عامي ١٩١٦ و ١٩١٧ الكولونيل «نيوكب» — وهو ما يزال حياً يرزق — وهو ممن يتظاهر بمحبة العرب في كل محل ، ومن كثرة أحبابه ظل في عمله .

وعرفت الميجر جويس او الكولونيل جويس او جويس بك ، وهو من أخلص الناس للانكليز وللقضية العربية . خدم أكثر من لورنس ، خدمة حقيقية فأسى فيها أنواع الشدائد من حرارة مواسم الحجاز ، في الذهب والاياب في العمل .

الخط الحديدي وسوء حظ العرب

كان السبب المهم في دوام محافظة الاتراك على الخط هو عدم وجود قوات نظامية مدربة لدينا من جهة وقدرة الاتراك على الدفاع من جهة أخرى . أما التجهيزات فلم يكن يقدم للجيش

الشرقي أي شي منها سوى سلاح المحارب الراجل ، وأما المدافع وما الى ذلك مما تستعمل ضد القلاع والاستحكامات فلم يظفر الجيش الشرقي منها بشي . وكان لدى جيش الامير علي (الجيش الجنوبي) مدفعية محترمة من مدافع الصحراء ومدافع الهاوتزر مما تفوق به على الاتراك . غير ان العناية بالتجهيزات كانت مصروفة للجيش الشمالي الذي كان يقوده الامير فيصل ، فكانت معه سيارات مدرعة ومدافع كثيرة جبلية وصحراوية ومدافع حصار ، وكان الجنود المتطوعون من العرب والضباط يرسلون كلهم الى ذلك الجيش ، كجعفر باشا ونوري باشا وأمثالهما . أما الجيش الشرقي فقد كان قوامه الملتحقون به من جنود عرب وضباط برتب صغيرة يفرون من الجيش التركي اليه .

وكان من رأي الاستيلاء على الخط ثم الاستيلاء على المدينة المنورة بالجيوش العربية الثلاثة الجنوبي والشرقي والشامي . غير أنه لسوء حظ العرب انتشر الضغط على الاتراك على طول الخط الحديدي . ثم تقدم جيش فيصل واحتل العقبة وأخذ يضيق على معان . فلو سقطت المدينة المنورة في عام ١٩١٧ لكانت الجيوش العربية الثلاثة تنفرغ بمجموعها لفتح سوريا وللإشتراك في محاربات العراق ، ولكن مال الآخرون الى هذه الخطة . ولما هزم جيش اللورد اللني الاتراك في الناصرة تقدمت

مفارز من الجيش العربي الشمالي الى الازرق ودرعا ودخلت الشام
وعلى الشام رفعت الرايات العربية بواسطة الايوبي باشا وهو أقمّة
أحمد جمال باشا القائد التركي المعروف ، وبارادة سلطانية تعلق
الاعتراف باستقلال البلاد العربية ، و كانت القوى العثمانية المدافعة
عن معان لا تزال بها لم تمس بسوء ، أشبه ما تكون بالجيوش
الألمانية في فرنسا (الجيوب) عند غزوة الحلفاء القارة الاوروبية
في الحرب الاخيرة .

استسلام القائد فخر الدين باشا

بعد تدرعه بالحجرة النبوية

ظل فخر الدين باشا في المدينة المنورة يدافع عنها باصرار ، فلم
يعد هناك لزوم لأن يبقى الجيش الشرقي بوادي العيص وبلاد
جهينة . وبعد المخاربة مع الامير علي القائد العام تحركت بالجيش
الشرقي الى الجفر — وهو موقع شمال المدينة المنورة بغرب يبعد
حوالي عشرين كيلومتراً عنها — وأخذت أضيق على فخر الدين باشا
وابتدأت الحركات الدالة على عدم الطاقة في المحصورين تظهر .
وقد ورد كتاب من السير ريجلاند وينجت — المندوب

السامي بمصر اذ ذاك — الى نحر الدين باشا يخبره فيه :

إن الأتراك قد هزموا ، وان الشام قد احتلت ،
وان مسؤولية الدماء بعد الآن ستقع عليك شخصياً
إن لم تسلم .

فأجابه نحر الدين باشا :

الى جناب الجنرال ريجولاند وينجت بمصر : أنا
عثماني أنا محمدي أنا ابن بلي بك وأنا جندي ، فأرخ
وحدث ان أخذ الضباط الأتراك يفرون و كان منهم
الكولونيل محيي الدين بك رئيس أركان الحرب . فبعث نحر الدين
باشا بعد ذلك بكتاب الى الامير علي (جلالة الملك علي) يقول له
فيه أنه بعد هذا الجدال الطويل لم يبق أي سبب للدفاع وأنه قد
أرسل الميرآلاي علي نجيب بك والميرآلاي صبري بك والاركان
حرب اليوزباشي كمال بك لأجل التذاكر في كيفية تخليه عن
المدينة وكيفية إجلاء الجنود الذين يمتد خطهم من تبوك الى
المدينة على سكة الحجاز . فبعث جلالة الملك علي الي إشارة تلقونية
يطلبني من الجفر فحضرت حالا . وعلي نجيب بك هذا قائد آلاي
من فرقة الحجاز بمكة المكرمة كان خرج بألابه هذا مع الوالي
والكومندان وهيب بك المعروف للقتال من أجل فتح مصر مع
جمال باشا .

ولما ترجلت عن فرسي عند باب خيمة القيادة ، خيمة الملك

علي ، تلقاني وهو يقول : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان
 محمداً رسول الله . فقلت : أعلم انك من أهل الاسلام . ثم دخلنا
 الى حضرة المرحوم وطلب نجيب بك سرعة المذاكرة ، فعينني
 جلالته رئيساً للجانب الغربي وعين نوري بك الكويري قائد
 الفرقة الجنوبية للجيش الجنوبي والامير آلاي السيد حلمي بك
 قائد الفرقة النظامية للجيش الشرقي ومعهما القائد الشوربجي بك .
 فابتدأت المذاكرة وطلب علي نجيب بك السماح للقوات التركية
 بان تخرج بأسلحتها الى ينبع البحر والى الوجهه ، وبالطبع رفض
 طلبه وتقرر :

- اولاً — أن يسلم نحر الدين باشا نفسه .
- ثانياً — ان يسلم كل آلاي في الجبهات حيث هو
 فيؤخذ من مركزه الى الساحل بحراسة الجيش العربي
- ثالثاً — أن تسلم القوات التي في المدينة المنورة كل
 قوة في مركزها وتخرج .
- رابعاً — أن تسلم القوات التي في العلا وتبوك هناك
 وتؤخذ بقوافل الى الوجهه والى ظبا ، والامتعة
 الخاصة بالضباط تكون تحت تصرفهم يبيعونها اذا
 أرادوا بيعها او يأخذونها معهم .
- خامساً — أن يجري تسليم الاسلحة العسكرية
 الخفيفة والثقيلة بموجب الدفاتر والسجلات المحفوظة

سادسا — أن يجري التسليم فوراً .

وبعد تنظيم هذه المواد جرى التوقيع عليها منا ومنهم وعادوا الى المدينة المنورة . وفي الغد من يوم المذاكرة أمر جلالة الملك علي — سمو الامير علي يومئذ — نوري بك الكويري والشريف أحمد بن منصور أمير حرب بان يذهبا لاستلام نحر الدين باشا حسب الشروط ، فذهبا وكنا في انتظارها حتى المساء فلم يعودا وبعد غروب الشمس بنحو نصف ساعة دعاني جلالة الملك علي الى خيمته وقال : لقد عاد أحمد بن منصور ونوري الكويري وحدهما ويقولان عن نخري باشا — رواية عن علي نجيب بك — انه لما علم بالشرط الاول دخل الحجرة النبوية وهدد قائلاً : ان أردتم إخراجي عنوة فسأشعل النار في كل العتاد الذي في المسجد — وكان الاتراك قد وضعوا المفرقات النارية في المسجد خشية الطيارات — وانه في الحالة هذه لا يمكن أخذه عنوة ، وانهم على استعداد لتنفيذ سائر الشروط .

وكان الملك علي مرتبكاً فقلت : لنتركة في محله ، فقال : انه لا يؤمن وانه ما زال هناك فأننا لا نأمنه . وفي الحقيقة كانت الحالة مربكة وتجلى علينا الصمت الى وقت العشاء ، فلما دعينا الى العشاء وانتصف الاكل واذا بنا نسمع دمدمة كأن شيئاً قد ثار او انهدم ، فقام رحمه الله واقفاً وقال : لقد أشعل الخبيث

النار في المسجد ، فاركب الان الى جليجلة وافهم الحقيقة واعمل
على أسره معها كلف الامر . فقلت : أفعل . وطلبت إحضار
الخيل .

فلما أتمنا العشاء ركبت الى جليجلة وبها مركز الآلاي
التركي الاول ، فسرنا ثلاث ساعات وكان معي الشريف شرف
ابن راجح وعبدالله للمضايفي والشيخ هو صمان بن عفار
أمير الخيالة بالجيش الشرقي وأمير اللواء السيد حلمي قائد الفرقة
النظامية للجيش الشرقي في سبعة عشر خيالا ، وتقع جليجلة هذه
في ارض جبلية . فلما وصلناها لم يرعني الا الضوء على باب محل
المستحكم واذا الغفير يقول : من هذا ؟ (كيمدور) ؟ فدفعت
فرسي واندفع من معي نحوه فارتبك فأخذناه وسألناه أين مركز
الآلاي ؟ فقال : هو هذا وبه الامير الآلاي اسماعيل شكري بك .
فخرج واذا هو فقلت : انا الامير عبدالله . فاندش ... فقلت :
لا عليك ان انت لزمت السكنية .. دلي الى محل الهاتف واطلب
علي نجيب بك . فقال : تفضل . فدخلت فأحضر علي نجيب
بك على التلفون ، فقال : من المتكلم ؟ قلت : الامير عبدالله بن
الحسين ، قال : كيف ومن أين تكلمني ؟ قلت : من جليجلة
طبعاً . قال : والالاي ؟ قلت : الآلاي وقع بيدي . فقال :
سيحان الله ! فقلت : هذا بفضل الله فأين نخري باشا واليوم

موعد تسليمه حسب الشروط ؟ قال : إنه كما أخبركم الشريف أحمد بن منصور ونوري الكويري دخل الحجره وهدد بان ينفسها إن نحن حاولنا أخذه عنوة . قلت : لا أعتقد ذلك . فقال : أتريد ان تقع فاجعة في الحجره ؟ قلت : لا بالطبع ولكن أريد تنفيذ الشروط أليست لديكم حرمة لتواقيعكم ؟ فقال : أتريد ان يقتل من يدخل عليه في ذلك المحل ؟ قلت : الذنب عليه وقد قتل عمر بن الخطاب بين المنبر والقبر . فقال : أتريد ان ينفس المسجد ؟ فقلت : قد احترق المسجد النبوي في التاريخ مرتين والنبي صلى الله عليه وسلم في الرفيق الأعلى ، وان وقع شيء من هذا فسيكون لنا حجة عليكم أنتم الاتراك . وانك الآن تكلم خصمك ، فان لم تنفذ الشروط فسيكون الموقف جد حرج حيث تقرر استئصال كل من بالمدينة منكم . فقال : امهلي نصف ساعة .

وبعد انقضائها عاد يقول في الهاتف : بعد المذاكرة تقرر إخراج فخري باشا بأية صورة تكون، صباحاً في الساعة الحادية عشرة على حساب الساعة الغروبية . فانتظرنا حتى الصباح . وفي الساعة المحددة خاطبني بالهاتف أيضاً وهو يقول : بعون الله ومدد روحانية رسول الله وبعزم رفاقي الكرام ، أخرجنا فخري باشا من الحجره بدون حادث وسبق اليكم مع الامير الآلي صبري بك

في سيارة محروسة وسيصل اليكم بعد ساعة وربع الساعة .
 وبعد ساعة وربع الساعة وصل الى جليجله وكنت في مركز
 القيادة فقابله حلمي باشا ومعه الشريف شرف من حيث السيارة
 وأخذه الي . فقال له صبري بك ، بعد ان قدمه لي : هذا
 الامير عبدالله . فحياي رافعاً يده الى صدره تحية الدراويش ،
 فخيته بمثلها وأخذته الى الغرفة فجلس جلسة المقبت الغضيب
 فبادرته قائلاً : اننا قد علمناك شجاعاً في الحرب وفي أثناء الحصار
 وانه ليسرنا ان نراك صبوراً في هذه المصيبة مصيبة الاصر .
 ففرك يداً بيد وقال : لا أعارض وإن تشكلت حكومة عربية
 قلت : لقد عارضت وانتهت المعارضة ، والآن فان سمو ولي العهد
 المعظم الامير علي في انتظارنا فاذا سمحت نركب اليه بعد ان
 تتناول الشاي وترتاح قليلاً .

ثم خرجت من عنده وتركت القائد ابراهيم الراوي معه
 فسأله : هل كنت معنا ؟ فأجاب : كنت معكم الى ان أعلن
 الملك حسين استقلال البلاد العربية فالتحقت بأمتي .
 ثم رجعت واذا به قد أتم تناول الشاي واذا هو كالنمر الهائج
 ينظر ما حوله فلا يرى مخرجاً . فقلت : لنركب . فقام معي
 ونزلنا واذا بسيارته هناك فقلت : اركب - وعمدت الى فرسي -
 فقال : بل نركب معي . فركبت معه واكتفت الخيل السيارة

قاصدة المدينة المنورة . فلما اجتزنا جليجلة واذا باستحكامات
 فقلت له : هل هذه الخطوط الامامية لكم ؟ فقال : مضى علي
 زمن ولقد نسيت . فاستحمت نفسي واستثقلت سؤالي وهو
 صامت ، فقلت له مازحاً : لقد أتخفتم أخوي علياً وفيصلاً
 بناظورين عندما قدمتم المدينة المنورة ، فأين حصتي ؟ فضرب يداً
 بيد ثم مد يده الي معطفه وراه وتناول ناظوره فقدمه الي ،
 ففجئت جداً وقبلت الناظور على شرط ان يأخذ هو ساعتني فشكر
 ذلك مني ، فدفعت اليه الساعة وكانت ثمينة ظريفة . أما كونها
 ثمينة فلأنها من جلالة الملك علي أنعم علي بها وأما ظرافتها فلكونها
 رقيقة مذهبة وغطاؤها مغلف بالمينا الأزرق وفي طرفها الأعلى
 لون وردي كأشعة الشمس القاربة مكتوب على أحد وجهيها
 بخط النسخ الجميل وبذهب مطعم (لا إله إلا أنت سبحانك إني
 كنت من الظالمين) وعلى الطرف الآخر (لي خمسة أطني بها حر
 الجحيم الحاطمة : المصطفى والمرضى وإبناها وفاطمة) فسر القائد
 الاسير بهذه الساعة غاية السرور . وهو على ما علمت بعد ذلك
 بكتاشي الطريقة والبكتاشيون شيعيون .

ثم تبسط معي وصري عنه ما كان عليه من غم . ثم انفجرت
 إحدى إطارات السيارة فوقفنا لاصلاحها وإذا بيدوين يمران
 ومعهما بعض ما اشترياه من السوق بيئر دروبش ، فقال أحدهما

الآخر : من هؤلاء ؟ فقال الثاني : هذا عبد الله بن سيدنا
والآخر اعلمه فخري باشا. ثم تقدما مسرعين نحونا وحيياني وقالوا
بصوت واحد : أهذا فخري باشا ؟ فقلت : انه هو . فالتفت
اليه أحدهما وقال : أنت فخري باشا ؟ قال : نعم . قال : امدد
يدك أصافحك فانك الشجاع الباسل الذي صدنا عن المدينة المنورة
شهوراً عديدة . ثم يده اليهما وصافحهما ثم التفت الي وقال « إن
هذه لأكبر مكافأة لي من رجلين لا يؤملان مني أي صلة او جاه
إنها مكافأة حقيقية ولي بها الشرف » .. وامتلات عيناها بالدمع
فقلت له : إنهما من العرب والعرب أمة شريفة تقدر الناس قدرها .

وتم إصلاح السيارة وتابعتنا السير فإذا بقوة عربية نظامية
من راكبي البغال عددها مئتان وخمسون بغالا يقودها القائد شكري
بك الشوربجي مصطفة للتحية وقد جاءت للاستقبال من
درويش بأمر من سمو الامير علي الذي علم بقدمنا من الشيخ
عبدالله بن مسفر المضايقي وكنت بعثته حين وصول فخري باشا
ليخبر سموه بان القائد التركي قد أصبح في يدي . فالتفت القائد
وقال : وهل هذه القوة عربية ؟ قلت : نعم . فوازن نفسه
وزرر معطفه ثم قابل التحية بتحية عسكرية وقال « هرشي اولمش
بتمش » أي إن كل شي حصل وانتهى . وبدأ عليه السرور
عما رأى ولقد سررت أنا لأنه كان يظن ان العرب لا يحسنون

تنظيم أنفسهم أو الظهور بمظهر منظم .

وفي الساعة الخامسة عربية — أي قبل الظهر بساعة — وصلنا المخيم الهاشمي في بئر درويش فترجلنا وأممنا القبة الكريمة وكانت جموع الناس مزدحمة لترى نخري باشا فدخل بعد ان صاحني قائلاً إنني سعيد في ضيافتكم . واتجه نحو الأمير علي وكان قد عرفه قبلاً فكان لقاءهما مزيجاً من العتب والعداء والشه الظاهر من البرود . وانسحبت أنا من الباب الى خيمتي المعدة لي ، وقبل ان أتم غسل وجهي طلبت للمثول بين يدي سمو الأمير علي فلما حضرت قال : سعادة الباشا لا يسره فراقك . فقلت : انكم قد اجتمعتمها ولقد خرجت وانا هنا قريب .

وجاءت القهوة وكان في المضرب كبار الامراء العسكريين والشرفاء ورؤساء البعثات العسكرية المحالفة . ثم جاء المضايقي وقال : ان خيام الضيف معدة . فنهض نخري باشا وهو يقول : لعلها بجوار الامير عبدالله ؟ فقيل له : نعم . فخرج وخرجت معه وسألته : هل يأمر الباشا بان نحضر اليه من يجب من الضباط الذين كان يألفهم ؟ فقال : أترك هؤلاء الخائنين فاني لا أريد منهم أحداً . وافترقنا هو الى خيمته وأنا الى خيمتي . ثم طلبني الأخ علي فحجته فقبل رأسي وقال : إن هذه خدمة لا تنسى لك . فقبلت يده .

وبعد الاستراحة حان وقت الغداء ودعي نخري باشا فأكل هنيئاً مريئاً كأن لم يحدث شيء ، وخصص له مرافق من الضباط العرب الذين يتقنون اللغة التركية . ورغب في السفر عاجلاً فسافر في اليوم الثاني الى ينبع بسيارته ثم بطرادة خاصة الى المعتقل بمصر .

أما انا فقد عدت الى معسكرى بالجفر وشرعت في إنجاز معاملات التسليم وإتمامها وفق الشروط . ثم استدعاني الامير علي وأمرني بالشخص الى المدينة المنورة لأتولى مسائل التسليم وحفظ الأمن الذي اختل هناك . فجدت الى بئر درويش وبعد مبيت ليلة فيها سافرت الى المدينة ومعى العدد الكافي من الجيش الشرقي لاحتمال الأماكن المقتضية وحفظ الأمن . فدخلت المدينة المنورة صباحاً وأمت المسجد النبوي وكان شعوري الروحي في درجة أعجز عن وصفها . ثم نزلت في مركز القيادة العثمانية وكان الحرس من الاتراك وكنت أجلس معهم على السفرة في الفطور والغداء والعشاء . وأصبحت قائداً مسؤولاً عن الفريقين المستلم والمستسلم كأن لم يحدث بيننا وبينهم أي شيء . فجرى كل شيء وفق الترتيب في يومه وساعته ودقيقته ، وكان ترحيل أفواج القوى السفرية العثمانية من الداخل الى الساحل يجري في الاوقات المعينة بالدقة التامة ، وبعد ذلك سافرت براحة وشكران .

وإني لأذكر أنني حاولت استيقاظ العساكر العرب في الخدمة العسكرية بالحجاز غير أن شوقهم في العودة إلى أوطانهم تغلب عليهم . وعندما قلت لهم : لا سبيل لكم إلى الذهاب لأوطانكم فوراً إلا بالانضمام إلى الجيش العربي الهاشمي ، فإن لم تفعلوا هذا فستنقلون إلى المعتقلات وعندما تيسر لكم العودة منها تعودون وهذا مجهول التاريخ . فنكصوا عن السفر وطلبوا الرجوع إلى أوطانهم فأعيدوا مكرمين عن طريق السكة إلى معان فالشام .

ولم يقع من الحوادث المخلة بالأمن ما يستحق الذكر غير أن بعض اللصوص تمادوا في كسر الأبواب لبيوت نقل أهلها بواسطة الإدارة العثمانية وأخذوا منها بعض أمتعتها فألقي القبض عليهم وهم متلبسون بجريماتهم وحوكموا بصورة مستعجلة وكان قصاصهم الموت فانتهت كل مفسدة .

ثم نظم أمر الإدارة وعادت المياه إلى مجاريها ، وعين سمو الأمير علي بن الحسين (جلالة الملك علي) أميراً على المدينة المنورة وشيخاً للحرم النبوي الشريف وقائداً تاماً .

معركة الحرما

الملحمة التي غيرت معالم النهضة العربية ونتائجها
كتابان تاريخيان بين الملك عبدالله والملك عبد العزيز

مقررات

تلقيت أمراً من جلالة الملك حسين بان أرجع بالجيش الشرقي الى الطائف لتأديب الشريف خالد بن لؤي بوادي الحرما وكان الشريف خالد هذا اعتنق المذهب الوهابي وطرد قاضي الحرما الشرعي وقتل الابرياء كما قتل الشريف بعيجان شقيقه لأنه لم يطلع على فسادة ، ثم أخذ يغير على من لم يدخل في هذا المذهب من العشائر التابعة للمملكة الهاشمية الحجازية .

وكان الملك المرحوم قد وجه الشريف حمود بن زيد بقوة تأديبية الى الحرما فلم يستطع عمل شيء ثم وجهه مرة أخرى فغلب وجرح ، فأمددته وانا بوادي العيص بقوة كافية بقيادة المرحوم الشريف شاكر بن زيد فذهب بها وبعد تلكؤ بمرات توجه الى الحرما ونزل بشرقيها في الوادي نفسه فهوجم وهو في

منزله وانقلب كما انقلب الشريف حمود قبله . فجهز الملك المرحوم
 قوة أخرى وبعث بها معه ومع الشريف الامير عبدالله باشا بن
 محمد بن عبدالله بن عون فبقيت هذه القوة بمحضر وهو الجبل
 المعروف الذي ورد فيه الحديث (من رأى حضناً فقد أنجد)

قلنا تلقيت أمراً بان أتجهز حالا وأن أقصد الخرمارأساً من
 المدينة المنورة فحاولت منع ذلك والدخول فيه لأسباب أولها ان
 الناس سئمت الحرب ضد الأتراك وان الجنود الأجورين أثروا
 وامتلات جيوبهم ولم تعد لهم رغبة في حرب او جلاذ .

فاستأذنت باني أحب القدوم الى عشيرة — وهي ماء شمال
 الطائف وبها آبار عذبة على طرف الحرة في حد سهل من جبل —
 لأبعث بالأنقال وما لا لزوم له من أسلحة ثقيلة الى الطائف
 وأتشرف بلبث اليد الملكية ، فوافق رحمه الله . ولما وصلنا الى
 عشيرة وجدناه بها فأقمنا ثلاث ليال حاولت في أثناءها صرف
 جلالته عن متابعة هذه الخطة وأن يسمح بجلب الأميرين عبدالله
 وشاكر كي يفي بالعرض المقصود .

وكان جاء في خدمة جلالته حسين افندي روهي كاتم سر
 المعتمد البريطاني بجدة فقابلني على حدة وقال لي :

إن بريطانيا نصحت بعدم متابعة الحرب ضد الوهابيين
 وانها ترى مقابلة الدعاية بمثلها . فهي تظن أن يسد

الوهابيين قوى نشيطة متعصبة ينبغي إخماد نارها بالحكمة ، وما وقع للشريف حمود في المرتين السابقتين وللشريف شاكر في المرة الأخيرة يثبت هذا الظن . وإن جلالة الملك له من المسائل في البلاد العربية كالشام والعراق ما ينبغي ان ينصرف لها دون غيرها .

ولقد كنت أعرف مغزى تبليغات حسين افندي روجي . ولم أنس قط ما قد كان قاله لي الصدر الأعظم ابراهيم حبي باشا من ان أرجو والدي — وهو يوم إذن شريف مكة — أن يترك المسألة الوهابية وان لا يساعد سعود بن عبد العزيز بن سعود العرافة على ابن عمه عبد العزيز بن سعود لأن الحكومة البريطانية كانت احتجت لدى الباب العالي في هذا الشأن ، وانه يجب ان لا ننسى مسألة ابن صباح وحماية انكلترا له كالدولة العثمانية غير متفرغة الآن لمسألة تحديدها بجنوب البصرة وشرقي الحجاز .

وبعد إقامة لم تطل في المدينة المنورة ، توجهت الى الحجاز كما مر . وكنت قبل ذلك كتبت كتاباً الى امير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (جلالة الملك عبد العزيز الآن) أخبره فيه بما تم من نصر في المدينة المنورة وبانقضاء حكم الاتراك على البلاد محياً إياه مخبراً له بانني أمرت بالسفر حالا الى الحجاز لتأديب الشريف خالد بن لؤي الذي خرج عن الطاعة ، وانه ليس من

قصده سوى هذا ، وانني من الساعين لايجاد الصداقة والولاء بين والدي وبينه ، وفي هذا من الدلالة على حسن نيتي الشيء الكثير . وربما انني لم أكن قد تعديت حد اللياقة في جملة من جعل كتابي في صدد التزامه هو للحركة الوهابية وتشجيع الاعراب كي يعتقدوا هذا المذهب ، وخصومة الوالد المرحوم لهذه الدعوة الضالة وسعيه لاختادها فعلا ، فقلت :

انني ساع لايجاد المودة الاكيدة بينكما ، وأن ليس للعرب من فائدة في التنافر والتناحر ، فأحدكم يسوق لي يكونوا معه بثمراته والآخر بدرهساته ، وسيحاسبكم الله على ذلك .

هذا ما كان . ولما وصلنا الى عشيرة وجدت المرحوم هناك فسر بما رأى من قوة ومعدات ، وكنت عرضت على جلالته في كتاب قبل وصولي بانني أرى لزوم تأخير هذه الحركة زيادة للتبصر وتمحيص الامر ، فأجابني رحمه الله بجواب عرفت منه عزمه وهو قوله :

يجب عليك ان تتوجه الى الحرما للقضاء على هذه الحركة الفسادية ، وإن معك من القوة ما لو قاتلت بها كل العرب لتغلبت عليهم .

ولو علم جلالته حقيقة ما أعرف لكان من الرأي على غير ذلك إذ ان قتال العرب ليس كقتال الترك ، فالأترك أهل نقل في

الحركات وإبطاء ولا وسائل ثقيلة لهم فكنا نهجمهم متى شئنا
وننجو منهم متى خفنا لسعة حركاتنا ولكوننا في بلادنا ثم كما
قلنا آنفاً فإن الجند الاجير قد ملأ جيوبه بالمال واستغنى فهو لا
يريد الحرب ، غير ان الجند الوهابي حريص على الجنة حسب
عقيدته أنه اذا قتل دخلها .

كنت اؤمل اني سأصرفه عن عزمه . فلما اخطيت به
وعرضت عليه رأيي غضب غضباً شديداً وقال : هذا رأي أم
عصيان ؟ فقلت : أعوذ بالله من المعصية والعصيان ولكنها
النصيحة فاني عالم بنفسية الفريقين . فقال : إذن إن لم تفعل ما
أمرك به فأنا ميمخل عن الملك . فاستعذت بالله وقلت : اني فدي
لكم ولرغبتكم وانني ذاهب حسب إرادتكم .. وكنت وكأني
أنظر الى مصارع القوم بعيني فأضفت قائلاً : سأصدع بالأمر
وأسال الله لجندكم الظفر ولنفسي الشهادة .

فعاد رحمه الله الى مكة وتوجهت بالقوة التي معي الى البديع
— ماء عذب بسفح جبل البقوم — وبعثت الى الاميرين عبدالله
بن محمد وشاكر بن زيد بان يتركا محلها وينزلا بالبديع .

وبعد يومين نزلت بالبديع ، وهو في منتصف الجبل يمينه
القسم الجنوبي من حضن ويساره القسم الشمالي منه . وأحبت
لقاء العدو به لأنه مركز منيع لا يؤتى الا من وجه واحد ،

وإنني متى تحصنت به وبثت السرايا وقطعت النخيل وأخذت
 المعاويد — وهي دواب للسقايا — اضطررت الأعداء الى الجلاء
 او التسليم ، وانه اذا اجتمع الوهايون وقصدوني به فان الدفاع
 يكون به أهون وأنا متحصن وعلى الماء ومهاجونا بمنعم الظمأ
 من البقاء .

فأقمت وأخذت أبعث مستطعاً حالة العدو ، واذا بأمر سام
 يرذني يأمرني بالتقدم حالا ، وفيه انه اذا لم ننفذ ما أمرنا به
 فستكون التبعة علينا وانه لا ترسل ذخيرة للعسكر بعد وصول
 الأمر بثمانية ايام . فعلمت الرغبة الاكيدة وخفت قاقبة مخالفة
 جلالته حيث طاعته واجبة فقررت تنفيذ ما أمر به .

وبعد التشاور مع من أعتقد في إخلاصه من الرؤساء ،
 رجحت الاستيلاء على مدينة تربة وحصنها المعروف برمدان وهو
 الذي انكسرت فيه وأيدت عن آخرها القوة المصرية في حركة
 الوهايين الاولين .

فتمحركت بالجيش صباحاً وأمست بالقرب منها ، وفي اليوم
 الثاني ضربت وافتتحت ، فتلقت كتاباً من الامير عبد العزيز آل
 سعود وما له يناقض ما جاء في كتاب له الي قبل ذلك باسبوع .
 قال في كتابه الثاني هذا :

بلغني انك جئت تجر الاطواب والعساكر (هذه

لفته في كتابه (تريدنا بنجد وحننا) يعني نحن) ما عندنا بنجد إلا الرمت نتظلل به حنا وعولاتنا (يعني نحن وعائلاتنا) فانت أعلم ان أهل نجد كافة جاءوك بمشون مرتهم تسبق رجالهم (يعني المرأة منهم تسبق الرجل) من أقصاهم في الشمال وأدناهم في الجنوب ، وانا خرجت ونزلت الصخرة (عد بنجد) مثل الفراع وعليه فانت انكف لديرتك (يعني انكفي راجعاً الى الحجاز وأنا بالحجاز) فان فعلت فأنا أمتنع الاخوان وإن لم تفعل فبصرك بنفسك .

فأجبتة حالا :

إنني تلقيت كتابك ولم أستغرب ما رأيت من تفاوت بين كتابك الاول والثاني ، فالتهديدات في الكتاب الاخير لا تتناسب مع ايمان الصداقة والمحبة في كتابك الاول ، وأما ما ذكرت من ناس جاءوا يقصدوني المرأة فيهم تسبق الرجل . فمن هم هؤلاء ؟ فان كانوا عتبية فنحن وهم من عهد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم وعهد ظئره حليلة السعدية من ذلك العهد وهم جيراننا ورعايانا . فان صدقت فيما قلت وأصابونا فلا فضل لك في ذلك فالغالب هم ، وإن قدرنا الله عليهم وأصبناهم فوالله لا تجد عليهم ولا تحزن ولا ينقصونك . وأما طلبك مني الرجوع فهذا لا يليق بان يكتب الي به وأنا لا

يقعق لي بالشان . فخبر إن شئت ولي الامر بمكة
وأنا مستمر في عملي متوكل على الله .

كان كتابي في هذا المعنى وبعثته اليه مع رسوله . ثم مضت
أيام واذا بجموع الوهابية تصل الى الخرما وتجتازها الينا .
وأغارت خيلهم على صرحنا وتقابل الخيلان وقدر الله فطر دناهم .
وبعد ليال ثلاث جاءوا بجموعهم يحرون الحجر والشوك ، وهم
عشار مطير الدويش ومن معه وعشار حرب أهل نجد وعشار
عتيبة وعلى رأسها سلطان بن بجاد الملقب بسلطان الدين وعشار
الدواسر وعشار قحطان وكافة سبيع أهل نجد والسهول وسبيع
أهل الوديان ، يزاحمون الخمسة والعشرين ألفاً .

وكانت القوى التي معي من حيث قوة النار لا بأس بها ،
وأما العدد فكان الجند النظامي خمسمائة والجنود من أهل الحجاز
والارهاط المكتوبة ثمانمائة وخمسين .

فصبحونا بالخرما وكانت الملحمة ، فاستشهد من الاشراف
ثلاثة وخمسون في صفنا ، ولم ينج من النظاميين إلا ثلاثة ضباط
هم الامير آلاي صبري بك والقائد ابراهيم الراوي والقائد حامد
الوادي ، وسلم من القوة العربية الحجازية مائة وخمسون رجلاً .
أما هم فلم يبلغوا منا ما أرادوا إلا بعد ان أنزلت فيهم خسائر في
الارواح فادحة ، وعلى ما قيل لي أن عدة من دخل العدة من

نساءهم في الارطاوية — قرية — كن سبعة وخمسين امرأة ،
 هذا في قرية واحدة. وقد بلغني أن راية أهل الرين لم يرجع منها
 سوى ثلاثة أفراد . وكان قتلاهم فوق السبعة آلاف ، والحول
 والقوة بالله . وكانت نجاتي منهم معجزة من المعجزات .

الوهابية والوهابيون

عرض وتفنيد

أما العقيدة الوهابية فهي عقيدة أعرابية محضة ، حيث وجد
 محمد بن عبد الوهاب صاحب المذهب ان الاعراب هم للتربة الخصبية
 لهذا الزرع . وعند خروجه من الكثير من المدن لينشر دعواه
 فلم يفلح فذهب الى نجد وهناك وجد الضلالة فرمى الناس بالشرك
 وآتهم المسلمين بذلك . والشرك هو مذهب من يجعل مع الله آلهة
 أخرى ، كمن يعبد الشمس والقمر والكواكب مع الله ، مثل
 قوم ابراهيم عليه السلام — وان الآيات في القرآن الكريم توضح
 ذلك — ومثل العرب قبل الاسلام اذ كانوا يعبدون الاصنام
 ويقولون انها آلهة تشفع لهم كالكلمات والعزى ومناات وما أشبهه.
 وهكذا رى محمد بن عبد الوهاب اهل الملة المحمدية بهذا السهم

وقال انهم — أي المسلمين — يقولون « يا رسول الله و » يا
رطاعي » و « يا عبد القادر الجيلاني » وهذا دعاء غير الله .

أما قوله عن المسلمين انهم يقولون يا رسول الله فقد صدق في
ذلك ، فالمسلمون يقولون يا رسول الله وينعتونه بصفة الرسالة ،
ولا رسول إلا من مرسل ليلبغ عنه الرسالة وما أمر بتبليغه ..
فهل رأى محمد بن عبد الوهاب ان الرسول صلى الله عليه وسلم
أمرهم بغير التوحيد ؟ من اين له ذلك وهو صلى الله عليه وسلم
مبيد الشرك ومكسر الاصنام ؟ ألم ير ابن عبد الوهاب أن في
كتاب الله آية لا يمكن لمن يقرأها ان يظن بالمسلمين ما ظنه ابن
عبد الوهاب وهو قوله تعالى (ما كان لبشر ان يؤتية الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله
ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
ولا يأمركم ان تعبدوا الملائكة والنبين أرباباً أيا مكرم بالكفر
بعد ان أنتم مسلمون) ... هذا قول الله وهو بين أيدينا فكيف
بعد هذا اذا قلنا يا رسول الله شرك ، والقرآن نهانا عن الشرك
وأمرنا ان نقتل المشركين ؟!

من المحزن انتقاص ابن عبد الوهاب حق الرسالة وحطه من
قدر النبوة وتشبيهه النبي صلى الله عليه وسلم بافراد الناس متناسياً
ما جاء في التوحيد من صفات الرسالة والجاز لها والمستحيل عليها

وهو الذي في حقه نزلت الآية (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) . فقد ميز الله عبده ورسوله عن البشر في دعائه ايضاً بغير ما يدعو الناس بعضهم بعضاً ، وجعل دعاء الرسول كدعاء الناس بعضهم بعضاً محبطة للعمل . ثم هذه الآية الكريمة (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب مهين والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) فانها ترينا ان الله قرن عذاب من يؤذي الرسول بعذاب من يتناول عليه جل وعلا ، وجعل عذاب المؤمنين افتراءً وبهتاناً .

فالمسلمون يعامون حق الرسالة فلا يتجاوزونها ولا يتجاهلونها والمسلمون يبرأون من الشرك والمشركين ، والمسلمون يبرأون ممن يرمي أهل الملة بالشرك او الكفر . وعلى محمد بن عبد الوهاب ومن كان معه ومن تابعه على مذهبه الى يوم القيامة وزر كل دم سفك وكل دم يسفك تحت هذه الدعايات التي لا يراد بها الا سياسة الدنيا والوصول الى الاغراض الشخصية .

فهم هؤلاء اليوم الى ما كانوا عليه من شرب الدخان كما انهم ليشربون الخمر ، وقد أباحوا لغير المسلمين دخول الحرمين الشريفين . وها هم يكرمون أهل الملل الاخرى إكرام التابع

للمتبعوع ويحتقرون الاسلام والمسلمين ، وقد صدوا الناس عن المسجد الحرام فلا يحج إلا من دفع المكس وأدى لهم الخراج .
وقد ضربت القضية العربية في مركز نهضتها بأيديهم ومزقت أيدي سبا وذهبت وحدتها فهي اليوم فوضى متقطعة مشتتة .
وماذا عسى ان تفعل جامعة الدول العربية بعد التفرقة وتأكيدها إلا ان يبقي كل شيء غير موحد وبأيد عاجزة عن سياسة الامم وإدارة الممالك فتبقي على عجزها في خطر أناة الليل وأثناء النهار بلا حول ولا قوة ؟!..

لو علمت وعلم من معي أن نتيجة الثورة العربية والنهضة القومية هي هذه ، لتبرأنا منها ومن قال بها . فالبلاد المقدسة يحكمها اليوم بيت نشأ على النهب والسلب والغزوات والغارات وسفك الدماء ، يحوط به أناس من الشام ومصر والعراق ممن ليسوا في العير ولا في النفير : كيوسف ياسين وهو نصيري معروف ، وفؤاد حمزه وهو درزي غير خفي ، وحافظ وهبه وهو تاجر كان يبيع بالكوبت.. هؤلاء الساسة السادة ، وبنهضتنا حصلوا على ما حصلوا عليه ولا حول ولا قوة الا بالله . والله يعلم أننا لم نرد الا خير الامة العربية فيما عملنا واجتهدنا .
أما ما فعله هؤلاء في بلاد الله الحرام فالسيطرة والتحقير لأهل الحجاز وابتزاز الاموال من الحجاج والمجاورين للتبذير

والانفاق في كل محرم لا يحل . وفوق هذا فان امتيازات النفط التي منحوها بغير تفكير جعلت الباب الشرقي للبلاد العربية مفتوحا على مصراعيه كراس جسر فيه من الاخطار على الاخلاق والدين ما يتجاوز كل خطر عسكري . كل هذا وقع بدون رأي أرباب الحل والعقد وبدون رأي أي مجلس تشريعي او أي مجلس عمومي ، ولا لوم ولا تتريب إلا على العرب .

القلق بعد العاصفة العاتية

لقد عدت بعد الهزيمة في الخرما وبعد القتل المريع الذي أوردى الألوف ، وانا أرى ما سينجم من استفحال أمر هؤلاء على بلادنا كما وقع . وكذت نصحت لوالدي في ان يترك أمر شرقي الحجاز الى فرصة مناسبة ريثما يستعد بجند نظامي قادر على كسر شوكة أهل البدع وإيقافهم عند حدهم ، فلم أفلح في نصائحي وكان ما أراه الله .

كانت الفترة بين واقعة تربة والخرما وبين قدومي الى شرقي الاردن ، فترة اضطراب وقلق على الوطن ومصيره ، وعلى النهضة وأتباعنا فيها ، وعلى الوالد نفسه . فلقد وجدته عند رجوعي الى المركز بعد الواقعة على غير علمي بجلالته . وكان

مرضه الذي توفاه الله به ابتداءً من ذلك الحين ، فكان كثير الصلف كثير النسيان كثير التردد قليل الاعتماد على من كان يعتمد عليه .. وكانت للمسألة خطورتها .

كان يظن جلالته — مثلاً — ان في توقيف بيع مواد الاعاشة للقبائل او تحديدها الزاجر لهم عن دخولهم في مذهب الوهابيين فكان يمنهم عن أخذ ما يريدون ، مع ان للبدو مواسم يبيعون فيها أغنامهم وإبلهم ويتاعون لوازمهم السنوية حال بيع ما عندهم ويعودون بهذه اللوازم على إبلهم ، فإذا لم يأخذ الرجل منهم ما يلزمه دفعة واحدة اضطر الى ان يأتي مراراً وفي هذا التعب العظيم عليه وعلى إبله لبعده المسافات . وكان رحمه الله إذا جاءه خبر من أي ناحية وصادف هذا الخبر ظنونه أخذها وعمل بموجبها ، ولهذا حف به الكثير من أهل الفساد وصارت لهم عنده كلمة .

فججت كسير القلب ، وقد أنعم علي بقبضة من سيف مرصع كان لوالده المرحوم ، وأحب ان يمنحني هذا السيف بعد الظفر في تربة ولم تمنعه الهزيمة في الحرمان تنفيذ ما أحب . ولقد طلبت إجراء التحقيقات اللازمة في الهزيمة وأسبابها فلم يوافق . وبعد انتهاء الحج أمرني رحمه الله بان أتوجه بالقوات التي جاءت من المدينة المنورة بمعية الاخ الامير علي الى الحرمان .

و كنت لا أثق بهذه القوة بعد ان رأيت ما حل بالجيش الشرقي
الذي نشأ على يدي ، وبعد علمي بان انكلترا سوف لا تصد ابن
سعود مرة أخرى لو قصد الحجاز . فاعتذرت ففضب وأسمعني
ما لم آلف منه من كلمات تقريرية شديدة - بحضور أخي علي -
فتحملت وسكت .

ثم عزم الامير علي على تبديل الهواء بالطائف ، فخرج ومعه
مجموع ما جاء به من المدينة المنورة من قوات ، واستأذن لي
بالمخرج معه فأذن رحمه الله فتوجهت .

فلما وصلنا الى ذات عرق تشرفنا بأمر ملكي بلزوم توجه
أحدنا علي بخاصته الى الطائف ، وبلزوم توجهي بالقوات
الى الخرما .

فكتبت معتذراً ومصرأ بان لا أفعل ، ونصحت بترك
أي تقدم على نجد قبل الاستعداد الذي يضمن النتيجة وبعد بناء
قوات احتياطية لامداد القوات المحاربة عند الاقتضاء ، وأضفت :

انني أذهب كجندي بقيادة أي شخص كان اذا
أصر ولي الامر على ألا أعود حياً ، غير أنني لا
أتحمل مسؤولية القيادة ثم أغلب وأهزم فأجر
الى الحجاز وحوش نجد الكاسرة وليس في الحجاز
أي قوة احتياطية .

فغضب رحمه الله غضباً شديداً .

هلفاؤنا يتنكرون لنا

كاترو يقول إن لفرنسا من الحقوق القديمة ما لا ينبغي تناسيه
والنبي يقول إن الحلفاء لم يعترفوا بملكية فيصل على سوريا
استقالة صاحب هذه المذكرات من وزارة الخارجية
العربية إذ ذاك

وبعد مدة طلب الملك علي الى مكة وبقيت أنا بالطائف ،
فأمرت بتشيد سور الطائف وبروجه وبناء القلعة المعروفة .
وقد تم كل ذلك على نفقتي الخاصة ، وأصبح الطائف حصناً
حصيناً لا يمكن للقوات البدوية التغلب عليه ، ولم يكن ينقصه
إلا الحامية والارزاق الكافية لها ولأهل الطائف فيما اذا حوصر
الطائف .

وبعد ان أتممت هذا البناء كانت زيارة اللورد النبي لجلالته
بجدة ، فطلبت بهذه المناسبة ووصلت الى مكة المكرمة فاذا
علامات عدم الرضا ما تزال تلوح على محيا جلالته . وسافرنا الى
جدة وكانت المباحثات مع لورد النبي تلك المباحثات التي لم تنتج

سوى ازدياد عدم الغفام . وكان موضوعها الشام وفلسطين والعراق .

وفي ذلك الوقت طلب الملك فيصل بعض البطاريات احتياطاً لديه للاستعداد ضد فرنسا ، فأرسل له أربعة مدافع ميدان وأربعة مدافع من تلك التي يسميها الاتراك « ذات القدرة » وهي مدافع نمسوية سريعة الطلقات تجمع بين عمل مدفعية الجبل ومدفعية الصحراء .

وفي ذات ليلة في ساعة متأخرة زارني الكومندان كاترو (الجنرال كاترو فيما بعد) وكان يمثل الجمهورية الفرنسية بجدة وسألني عن سبب إرسال هذه البطاريات الى الشام — ولم يكن لدي أي خبر عنها — فقلت : لا علم لي بذلك . فقال : قد وقع ذلك فعلاً .. فقلت : وماذا عليكم ؟ إن الجيش الانكليزي على وشك الانسحاب واننا سنواجه تركيا على انفراد ، وربما كان ذلك لهذه الناحية . فاقتنع بان لا علم لي أنا بذلك وقال :

يجب عليكم ان تستندوا في الشام على فرنسا وان لا تظنوا ان هنالك غير فرنسا .
فقلت : نحن لا نحب ان نكلف فرنسا بشيء فيما يتعلق بوطننا ونحن لم ندع للاستقلال لننتقل من يد دولة الى يد دولة أخرى .

ورأيت في وجهه علامات العداة ثم قال :

فقلت : إن لفرنسا من الحقوق القديمة ما لا ينبغي تناسيه .
 ربما كانت هذه الدعوة رائجة في أيام تركيا ، أما
 الآن فالبلاد للعرب وهم أهلها ، ومن الممكن إقامة
 الوداد على التساوي بيننا وبينكم ... والآن نحن
 بليل وسأقابلك غداً في الساعة العاشرة بعد ان أسأل
 عما ذكرت من أمر المدافع المطلوبة للشام .

ولما أصبحت قابلت الاخ علي وهو الامير بالمدينة المنورة
 والقائد العام بها ، فعرضت عليه الأمر فقال : وقع ذلك ، فقلت :
 ولماذا لم تخبروني ؟ فقال : هذه مسائل داخلية صرفة والجيش
 الشمالي يحتاج الى عتاد ، وليس المقصود من هذا الا الاستعداد
 للطوارئ . فتستطيع ان تطمئنه عند المقابلة بان الحكومة الهاشمية
 لا تؤمل إلا الوفاء من الدول الصديقة ، فاذا جد منه شيء فلا
 تجبه إجابة صريحة بل ارجي الأمر لرأي مجلس الوزراء . ثم
 عرضت الأمر بعد ساعة على جلالة المرحوم فقال : وكيف علم ؟
 فقلت : بعثات عسكرية وضباط ارتباط في كل يوم يتلصصون
 في الدوائر ولهم عيون كذلك في محطة السكة الحديدية بالمدينة
 المنورة . فقال جلالتة : هذا صحيح فافعل بما أشار به عليك أخوك
 وقابلي كاترو في اليوم التالي وكان حديثي اليه في دائرة
 العمليات التي تلقيتها من الامير علي ، فأظهر اقتناعه وخرج .
 وكاترو هذا رجل ذكي وعلى شيء كثير من الأدب والثقافة

ولكنه ذو مكر شديد .

وبعد رحيل النبي الغير ما نتيجة الى مصر ، أمرت بان أرد
له الزيارة فزرتة بمصر ، وكانت حين ذلك أعلنت الملكية بسوريا
بالرغم من النصائح التي أسداها الوالد المرحوم في تأخير إعلانها
الى ما بعد عقد الصلح وتنازل تركيا عن حقها في الاقطار العربية
لأهلها العرب .

وكفت أحمل أمراً بتعييني رئيساً للوفد العربي في مؤتمر
الصلح . فقال لي اللورد النبي :

إن رئيس الوفد هو الامير فيصل .

فقلت له : هو الآن ملك سوريا .

فاجابني : إن الحلفاء لم يعترفوا بهذا .

فقلت : إن الذي ولاء هذه الرئاسة في مؤتمر الصلح قد
اعتبر الامر الواقع وعين رئيساً آخر هو انا .

فقال : هذا الامر لا يقبله الحلفاء .

فقلت : وما للحلفاء وتعيين موظف في وظيفته ؟

فقال : هو ما سمعت .

وكان الموقف من أسوأ ما رأيت . فعرضت الأمر على أولي
الأمر بمكة برقياً ، ثم رجعت الى الحجاز حيث حدث ما أوجب
استقالتي من وزارة الخارجية .

غير مؤمنين .

لذا ندعوكم للحياة والاجتماع والذب عن الوطن وعدم
الاصغاء لكل دسيسة تفل عزمكم وتبدد حمايتكم .
وأستعين الله لي ولكم فيما نحن بهمدده .

* * *

ثم كتبت الى النواحي بانني نائب ملك سوريا ، ودعوت
أعضاء المؤتمر السوري للحضور الى معان ، وكذلك كل ضباط
الجيش السوري ومجنوده طلبتهم للحضور الى معان للقيام بالواجب
فتلقيت أجوبة من مشايخ البدو في الشمال غير مشجعة . وكذلك
وردتني أجوبة من بعض كبار الضباط العرب بشرطون نقل
حقوقهم التقاعدية على الحكومة الهاشمية بالحجاز فيما اذا أخفقت
الحر كات ضد فرنسا في سوريا ، وانهم اذا قبلت بهذا الحكومة
الهاشمية في الحجاز يحضرون واذا لم تقبل فان عذرهم قد وضع .
بيد انه التحق بي الى معان من الذوات المعروفين عوني بك
عبد الهادي و كامل بك البديري ، وذوات غيرهم كانوا يفتدون
ويرجعون . ولقد طلب مني المرحوم كامل بك البديري ثمانين
الف جنيه ليؤسس أقلام استخبارات ودعاية ، وكذلك طلب نبيه
بك العظمة مائة وعشرين الف جنيه للغرض نفسه ، وبالطبع فقد
كنت لا أملك شيئاً مما يطلبون وكان مركزي المالي في غاية الحرجة .

أما عامة الشعب في سوريا فكانوا في حماسة تامة . على أنني أدركت ان الحركة إن لم تكن مؤيدة بالمال فإنها لا تقوم لها قائمة ، وكان الظن مني ان الوطنية الحقة ستسوق الناس الى دفع ما يملكون لحفظ أوطانهم وعزتهم القومية . وهكذا كان موقفي بعيداً عن التفاؤل ، غير انه كان على خلاف ذلك في شرقي الاردن هذا البلد الطيب ، فقد هرع الناس الي يدعوني الى عمان فكنت أجيبهم بانني فاعل ان شاء الله .

أما المخامرة بيننا وبين الحجاز فكانت تجري بالوسائل اللاسلكية وفي ذات ليلة عندما كانت محطة لاسلكي معان تطلب جدة فاذا بها تعلقى جواباً على الموجة نفسها من ديار بكر ، فحيت هذه تلك وتعارفتا وجعلتا الساعة العاشرة مساء موعداً للتحية بينهما وقد أخبرني بذلك غالب بك الشعلان . وفي الليلة التالية تلقيت من صديق لي يسمى عبدالله بك وكان نائباً عثمانياً عن ديار بكر يعرفني وانا نائب عن مكة فخياني برقية خاصة — وكان الناس هناك يظنون ان ديار بكر ستلحق بالعراق وكنت المسمى لعرش العراق والمبايع له حين ذاك — فشكرته .

وقال لي غالب بك الشعلان انه يعرف مصطفى كمال باشا شخصياً يوم كانا معاً ضابطين في طابور عثماني بياقا ، وأنه يستأذن في تحيته وإبلاغه سلامي وتكليفه بان تتعاون الحركة

العربية مع الحركة التركية لنجاة الجهتين ، فأذنت له ففعل ، وقد تلمح الجواب من مصطفى كمال بالشكر والامتنان . وان التعليمات اللازمة قد أعطيت الى كاظم قره بكر باشا المتوجه الى الجنوب مع مجرى الفرات ، وان رموزاً شفوية للمخابرات سترسل بصورة خاصة .

وبعد هذا لبالي علمت ان الأخ فيصل طلب الى لندن وقد كان حين ذلك في كوما بايطاليا . ثم تلقيت برقية من الوالد يخبرني بان حكومة فلسطين تشكو امتناع الاهلين في شرق الاردن من دفع الضرائب لها ، ويأمرني بان لا أربك الحكومات المحلية فيما لها وعليها .

ثم تلقيت برقية من الأخ فيصل من لندن يقول فيها انه قد قابل جلالة الملك جورج الخامس وانه ذكرني له فقال انه يعرف الكثير عني ، وان الملك جورج وعد — وبالطبع كان الوعد حسب الاصول برضا حكومة جلالتة البريطانية — بان القضية العربية ستوضع على بساط البحث مجدداً وانه لا ينبغي العمل على ما يهيج الفرنسيين . هذا وقد رجاني الاخ في برقيته بلزوم الاعدال وانه سيوافيني بما يجد .

وجاءني الى معان صبحي بك الخضرا ومعه رجال من حزب الاستقلال فأخذ في تثبيط المهمم وان لا تكون حركات ضد

الافرنج ، غير انه لم تكن له قوة على ذلك ، وأجبتني أنني عامل
بما يقتضيه الظرف غير مقيد بأي وعد ، وانه اذا وفق في عمله
وعاد ظافراً فسوف لا يجد من الاوطان إلا الرضا والشكران .
وقد تم الاستعداد بعد ذلك لدخول شرق الاردن .

ومن طريف ما وقع وانا بمعان ، ذلك الكتاب الذي تلقيته
من مظهر بك رسلان متصرف السلط — مظهر باشا رسلان من
أعيان حمص رئيس الوزراء بشرق الاردن مرة — يقول لي فيه :
لقد بلغ الحكومة الوطنية عزمكم على زيارة شرق
الاردن ، فان كانت هذه الزيارة لمجرد السياحة فان
البلاد ستقابلكم بالترحيب ، وإن كانت لأغراض
سياسية فالحكومة ستتخذ كل الاسباب المانعة
لزيارتكم .

فأجبتني :

إنني سأزور شرقي الاردن زيارة احتمالية ، وإن
الحكومة العربية الملكية بسوريا هي التي انعدبتني فانا
الآن أنوب عن جلالة الملك فيفضل ، ويجب عليك
أن تعلم ذلك كما يجب عليك تلقي الاوامر من معان
وإلا فسيعين غيرك محلك .

فركب القطار وزارني بمعان واعتذر ، وصار أخيراً من
أصدق رجالنا في شرقي الاردن .

القدوم الى سرتي الاردن

نداء هاشمي من معان يهيب بالسوريين ان يشحذوا همهم

تمامي سوء الحظ فكانت حوادث الشام وخرق فرنسا حرمة الحق والعهد وهجومها على سوريا والكارثة التي حلت بخروج الملك فيصل منها ، ثم كان ما حدث للوزراء السوريين الموالين لفرنسا في درعا ، وطلب أهل الاخلاص من أنصار القضية العربية في سوريا إرسال من ينوب عن الملك فيصل من البيت الهاشمي الملك .

وكفت حين ذلك متفرغاً من العمل ، فاستأذنت والدي ان يحملني تبعات هذه الحركة شخصياً وأن لا تكون الوظيفة كما مورية حجازية . فأذن لي وتوجهت من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ومنها بالخط الحديدي الى معان فوصلتها بعد شهر من السفر وبعد مشقة شديدة بسبب خراب الخط الحديدي ، وكان وصولي اليها يوم ١١ ربيع الاول سنة ١٣٣٩ الموافق ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ وفي معان استقبلني أهلها وباديتها بحماسة بالغة ، ووجدت

هناك الامير آلاي غالب بك الشعلان (غالب باشا فيما بعد) وكان يقود فرقة المهجانة العثمانية في المدينة المنورة ولطالما اصطدمت قواته بالمفارز العربية الهاشمية ، ثم ترك المدينة الى تركيا وعاد فعرض إخلاصه وترقى الى ان صار في رتبة أمير لواء في الجيش العربي رحمه الله . ووجدت هناك الرئيس عبد القادر بك الجندي (عبد القادر باشا الجندي الآن) والرئيس محمد علي بك العجلوني والمرحوم خلف بك التل وأحمد التل وغيرهم .

✦ نداء الى السوريين لانقاذ استقلال سوريا ✦

وفي ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٩ أصدرت المنشور الآتي من معان :

الى كافة إخواننا السوريين سلام .

لا أجد في نفسي أدنى ريب او أقل شبهة في ان أبناء الوطن السوري سيتلقون بياناتنا التالية بتغلب ومؤها التصديق والاخلاص . فليعلم أبناء سوريا ان ما أصابهم من الضياع المحزن من اعتداء رجال الاستعمار الفرنسي على وطنهم ومبادرتهم بسرعة فظيعة غريبة لهدم عرشهم في اول سعيهم لتشكيل حكومتهم التي وضعت أساسها على سياسة الولاة والصدّاقة لكل الأمم على

الاطلاق ، قد أثر في حواس كل عربي على وجه الارض .
 وفي الوقت نفسه نعلم علماً يقيناً ان أبناء سوريا الكرام هم من
 جملة المفاخر العربية وركن من أركان الجامعة القحطانية
 والعدنانية وانهم لا يرضون بالذل ولا ينقادون الى من جاء
 لاهانتهم في عقودارهم ، وانهم لا يعذرون أبناء جنسهم اذا منعوا
 عنهم يد المهونة والمدد في مثل هذه الآونة الخطيرة .

كل عربي يعلم انكم يا أبناء سوريا تستنصرون وتستثيرون
 حميته ، ليا تيكم مسرعاً مليباً مقبلاً غير مدبر . ومن حيث قد
 توات علينا الدعوات وصمت آذاننا الصرخات فما أنا قد أتيت
 مع اول من لباكم نشاركم في شرف دفاعكم لطرده المعتدين عن
 أوطانكم بقلوب ذات حمية وسيوف عدنانية هاشمية .

ليعلم من أراد إهانتكم وابتزاز أموالكم وإهانة علمكم
 واستصغار كبريائكم ، ان العرب كالجسم الواحد إذا شكأ طرف
 منه اشتكى كل الجسم ، وان الله سبحانه وتعالى لم يترك الامة
 سدى بداداً متفرقة مفتونة بالباطل مغرورة بالكذب وواهن
 القول .

ليعلم أبناء سوريا ان هؤلاء المعتدين قد عدوكم من جملة من
 أدخلوه تحت عار استعمارهم ووضعوهم في مصاف الزوج والبرابرة
 وظنوا انكم لستم من ذوي الغيرات وأصحاب الحميات . كيف

ترضون بان تكون العاصمة الاموية مستعمرة فرنسية؟! .. إن رضيتم بذلك فالجزيرة لا ترضى وستأتىكم غضبي ، وإن غابتنا الوحيدة هي كما يعلم الله نصرتمكم وإجلاء المهتدين عنكم .
 وها أنا ذا أقول ولا حرج بانني قد قبلت تجديد بيعة مليكم فيصل الاول عن الاكثية الغالبة التي جددت تلك البيعة على يدي ، وإنني سأعود إن أبقاني الله حياً الى وطني يوم نزوح عدوكم من بلادكم ، وعلى هذا اليمين بالشرف . وأمركم حينئذ لكم وبلادكم بين أيديكم . متعمك الله فيها بالعز والسؤدد والرفاهية والمجد .

أتينا لبذل المهج دونكم لا لتخريب البلاد كما يفترى علينا وكفانا دليلاً صدق بلائنا في الله والجنسية والوطن وتحرير النفس للاختطار والمحن ، وما وضعه عليكم ذلك المستعمر من الضمانات المثقلة اثر اعتدائه عليكم لدليل لا يحتاج الى دليل .
 أتاكم ذلك المستعمر ليسلبكم النعم الثلاث : الأعيان والحرية والدكتورية .

أتاكم ليسترقكم فتكونون غير أحرار .
 أتاكم ذلك المستعمر ليأخذ منكم أسلحتكم فتكونون غير ذكور .

أتاكم ليخيفكم بقوته وينسيكم ان الله بالمرصاد فتكونون

ومن طريف ما وقع تعليق نشرات بعان والكرك جاء فيها :
 أنه بلغ الحكومة البريطانية ورود شزيمة من الحجاز
 لقتال فرنسا بسوريا ، وان الحكومة البريطانية
 راضية عن هذه الحركة . فالحكومة البريطانية تحترق
 كل شخص يلحق بهذه الشزيمة وتحذر الناس من
 الالتحاق بها .

في عمان

٢ آذار (مارس) ١٩٢١

وفي يوم الاثنين ٢٠ جمادى الثانية ١٣٣٩ ، غادرت معان في
 القطار الى عمان ، وقبل تحرك القطار من محطة معان ألقبت على
 مودعي الكلمة العالية :

إنني الآن مودعكم وأود ان لا أرى بينكم من
 يعتزني الى إقليمه الجغرافي ، بل أحب ان أرى كلا
 منكم ينتسب الى تلك الجزيرة التي نشأنا فيها وخرجنا
 منها ، فالبلاد العربية كافة هي بلاد كل عربي .

ومن أعجب الحوادث في تلك الأثناء مقابلة الشيخ يوسف
 ياسين لنا في الزيزاء — محطة في الطريق من معان الى عمان —

وقوله لنا :

أرجوكم ان تعودوا الى معان فان المعتدين البريطان
في شرقي الاردن قد انسحبوا الى فلسطين واخلوا
الطريق لفرنسا كي تخرجكم ان دخلتم .

وكانت يده ترتجف وهو متعلق بنا فذة عربة القطار ، فقلت
له : لا بأس عليك ولا خوف علينا . ثم دفعت يده من ملازمها
فانحط الى الارض .

وفي صباح الاربعاء ٢٢ جمادى الثانية ١٣٣٩ الموافق ٢ آذار
١٩٢١ — بعد ان أمضينا ليلة بالزيراء — تحرك بنا القطار الى
عمان فوصلناها قبيل ظهر اليوم نفسه .

وقد وصل الي معان جميع شيوخ الطفيلة والكرك وشيوخ
البادية ، فن الحويطات حمد بن جازي ومن معه ، ومن شيوخ
الشمال مثقال باشا الفايز وكافة الصخور وكافة أهل الشمال .
وفي اليوم التالي من الوصول الى عمان ألقبت في الناس
الكلمة العالية :

سروركم وترحيبكم بنا واجتماعكم علينا أمر لا
يستغرب . أنتم لنا ونحن لكم ، وإنني لم أغفل
كلمة مما جاء به خطبائكم . أما وطنيتكم فأمر لا
ينحى على الكون كله ، وضالتكم المنشودة هي عبارة
عن حقكم الذي تطلبونه . وأستطيع ان أقول بان

الله لا يتر ككم هكذا ، وإنه إذا جاء الوقت لاستعمال
 ما تستعمله الامم من القوة ، عند ذلك يرون أنكم
 ضعفاء ، ولكن إياكم ان تموتوا بلا شرف
 إنني لا أريد منكم إلا السمع والطاعة . وما جاء بي
 الى هنا إلا حميتي وما تحمله والدي من العبء الثقيل
 ولو كان لي سبعون نفساً لبذلتها في سبيل الامة
 ولما عددت نفسي أني فعلت شيئاً
 كونوا على ثقة باننا نبذل النفوس والأموال في
 سبيل الوطن ...

وقد قابلني في مقدمة الناس المستر كبر ايد (١) ببنزه العسكرية
 وحياتي ، وكان يومئذ يمثل بريطانيا في عمان ، وكان ذلك اليوم
 يوماً مشهوداً .

وبعد ذلك جرى احتلال المنطقة الاردنية بكاملها . وكانت
 تصدر الأوامر من عمان . وكان الناس في فترة لا يزور أحد
 أحداً ، فاللقاء للبقاء وعجلون ولواؤها لعجلون وأهله والكرك
 والطفيلة كذلك . فجمعنا كل هذه المناطق ووجدناها وزال ما
 كان بينها من خلاف .

(١) مستر ألن كبر ايد الشقيق الأصغر للسير أليك كبر ايد وزير
 بريطانيا المفوض الآن (١٩٤٦) بعمان .

مباحثات مع المستر تشرشل في القدس

بريطانيا تمالى فرنسا فيما يتعلق بالموقف في سوريا

سوريا - العراق - ابن سعود - فلسطين

التمركز في شرقي الأردن وتشكيل إدارة فيها

تلقيت برقية من جلالة الوالد يقول فيها :

إن وزير المستعمرات البريطانية المستر تشرشل موجود بالقدس وقد يطلب زيارة وادي موسى أو يرغب في أن يدعوكم إلى القدس ليرآكم ، فإذا كان أحد الشقيين من رغباته فأنتم ذلك بكل إكرام ورعاية ثم تلقيت مذكرة من السير هربرت صمويل المندوب السامي البريطاني بالقدس إذ ذاك ، يدعوني فيها لزيارة القدس ومقابلة وزير المستعمرات المستر تشرشل فأجبت الدعوة وتعين اليوم . ولما وصلت السلط وجدت في استقبالي ومرافقتي إلى القدس الكولونيل لورنس ومعه أحد قواد قوة الطيران البريطانية . وتعشياً معي بحفل كبير في بيت الوجيه يوسف السكر ، وفي أثناء الليل أخبراني بملخص ما يريد وزير المستعمرات أن يقوله

لي من عدم إمكان رجوع الملك فيصل الى سوريا ، الى غير ذلك
بما سيأتي وشيكاً في هذه المذكرات .

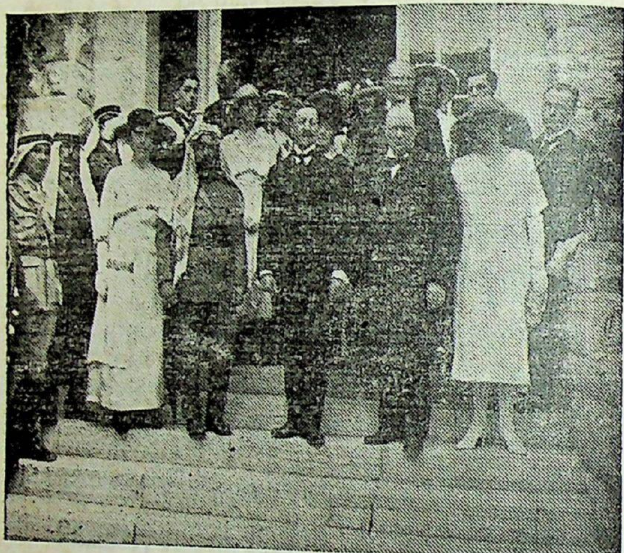
وفي اليوم التالي توجهنا الى القدس ، وتعدبنا بالطريق عند
المدفع التركي المقذوف في نهر شعيب . وكان معي في سيارتي
لورنس وكانت سيارة عسكرية بريطانية يقودها جاويش بريطاني
وكان معي في الركب كل رجالات سوريا وفلسطين . واستقبلنا
بالنزل في أريحا جل أعيان فلسطين وعلى رأسهم موسى كاظم باشا
الحسيني رحمه الله ، من علماء وأعيان ومحامين ورؤساء روجيين .
وكانت خطب حماسية وأجوبة مناسبة .

ثم استأنفنا السير في قطار طويل من السيارات ، ولما أقبلنا
على العيزرية صادفتنا دراجة آلية فدارت وقال سائقها لقائد
السيارة بعد ان حيي لورنس : يجب ان لا تقف عند المستقبلين
بالعيزرية . وأعلمني لورنس بذلك فقلت له : لبس من اللياقة ان
لا تقف . فقال : لا أستطيع الأمر على جاويش ... ومرت بنا
السيارة مسرعة وكنت واقفاً فيها أحيي الجموع ، فامتعض الناس
وحق لهم ان يمتعضوا ، ولكن لم يكن في الامكان إلا ما حصل
او ان يقذف الانسان بنفسه ، وقلت في نفسي ان القوم حينما
يعرفون حقيقة الحال سيعذرونني .

ووصلنا دار الحكومة بالقدس وكانت بالعمارة الألمانية في جبل

الطور ، فحيتني ثلة عسكرية بعلمها وموسيقاها وفتشتها . وكان
 بالباب السير هربرت صمويل المندوب السامي فقابلني هاشأ وبمعيتي
 غالب بك الشعلان ، فدخلنا الى البهو ووجدنا ان الشاي قد
 أعدت موآده وعائلة المندوب هنالك . وبعد التعارف وتناول
 الشاي دللت الى حجرتي في جناح خاص فوجدت حقايب هناك
 ووجدت محمد بك العسيلي مرافقي الخاص .

أما السير هربرت صمويل فلا بد لي هنا من ذكر دمانة أخلاقه
 وجم أدبه وكآله ، فهو سياسي محترم كامل . ولقد كان له
 ذلك الموقف الذي لا أنساه له ، وهو موقفه عندما بلغني ان
 المطلوب من الوالد ترك العقبة والسفر الى قبرص يوم كارثة
 الوهابيين ، بذلك اللسان الرقيق ، والتأثر باد عليه — وكان معه
 الكولونيل كوكس المعتمد البريطاني سابقاً بعان — وكانت
 الدموع مل عينيه فقال : أرجوك ان تخبرني بكل ما يجيش به
 صدرك فاني مقدر الموقف . فقلت : لا بأس عليك وانني شاكر
 لك عواطفك ، وهذه الدنيا كثيرة المحن وسنصبر ونحتسب . ثم
 انه عند انقضاء مدته ورجوعه الى انكلترا قصد السفر الى قبرص
 لزيارة الوالد المرحوم الذي عرفه بعان يوم ان زار شرقي الاردن .
 انني أذكر هذا للسير هربرت صمويل بكل امتنان ، والمنة لله .
 وحان وقت العشاء فاجتمع الكل في البهو الكبير وحصل



جلالة الملك عبدالله في دار الحكومة بالقُدس سنة ١٩٢١
 والى يمين جلالة الليدي صمويل والى يسار جلالة
 السير هربرت صمويل فالستر تشرشل فالسز
 تشرشل فالسير وندهام ديدز

التعارف مع المستر ونستون تشرشل ، وجلسنا الى المائدة فكان هو الثاني عن يمين المندوب السامي وكنت الاول عن يسار الليدي صمويل . وفي أثناء العشاء قال لي وزير المستعمرات مستر تشرشل :

ماذا وقع في الشجرة (١)؟ لقد عصفت هناك عاصفة عصابة فأعدت وقتلت ، ولقد تلقت من الحكومة رقيات تشير الى هذا الحادث الذي يعزى وقوعه الى تأييدك ، غير ان لي منكبين ضخمين بمحتملان عنك احتجاج الحكومة .

فقلت وأنا أبتسم :

أشكر نخامتك ، غير انه لم يبلغني خبر هذا الحادث إلا من نخامتك الآن ، وانني لم أتعهد لأحد بأي تعهد في معناه منع الناس عن الدفاع عن أوطانهم .

والفتت الى غالب بك الشعلاز وسألته عما نسمع ، فقام عن مقعده وضرب رجلا برجل فخيانتي تحية عسكرية وقال :

لعلها حركة لصوص غير مقصودة ، أما الهيئات الوطنية فهي في انتظار أوامرك فيما ستفعل .

وبالطبع ترجمت هذه العبارات لمن على المائدة ، وقد تعجب مستر تشرشل وأعجب لما رأى وسمع من غالب بك الشعلاز .

(١) قرية بناحية الكورة من أعمال اللواء الشمالي بشرق الأردن .

ولما انتهى العشاء أديرت السجائر والسيجار على من يدخن .
 وكنت إذ ذاك أتشفق فأخرجت علبة سعوطي وهي علبة ذهبية
 منمقة بالمينا الاخضر وعلى سطحها أشعة شمس غاربة في شفق
 أحمر غاية في الظرف ، فطلب مستر تشرشل العلبة فقدمتها له وبها
 نشوق افرنجي يسمى بالتركية « رنده » فتناول منه ضمة
 وتنشقها وأخذ يعطس ويضحك . ثم قمنا عن المائدة على وعد
 الاجتماع به صباح الغد الساعة التاسعة والنصف .

وفي تمام الساعة التاسعة والنصف احتوى المجلس من
 الانكليز : وزير المستعمرات مستر ونستون تشرشل ، والمندوب
 السامي سير هربرت صمويل ، والسكرتير العام لحكومة فلسطين
 سير وندهام ديدز ، والكولونيل لورنس . ومن الجانب العربي :
 أنا وعوني بك عبد الهادي .

وافتح وزير المستعمرات الحديث بذكر المقاصد الطيبة التي
 جمعت بريطانيا والعرب في الحرب ، وبالأمال المنوطة بتلك الروح
 وبالتعاون الذي حصل في الحرب ، وبالجهود التي بذلتها بريطانيا
 في الحيلولة دون حدوث ما حدث بين فرنسا والعرب . ثم قال
 الوزير : لذلك ولأن انكلترا محايدة في القضية بين العرب والفرنسيين
 — وهم حلفاؤها — فإنها تنصح — وهو يبلغ هذه النصيحة الي —
 بلزوم انصراف الامير فيصل بن الحسين عن سوريا وسفوره الي

العراق ليرشح نفسه لعرش العراق . وإن الحكومة الانكليزية تعلم ان فرنسا لا تشتغل بوجه من الوجوه مع الملك فيصل او الامير زيد ، وإنما لا تريد ان ترى على عرش العراق إلا الشخص الذي تعتمد عليه ، وان طلاب عرش العراق كثيرون منهم ابن النقيب وابن سعود وخزعل خان . وأنه يجب علي ان أساعد على هذا الغرض وأؤثر على والدي ان يتقبل به ، وان أؤثر على العراق ان يرضوا بالامير فيصل وان أبقى انا هنا في شرقي الاردن على تفاهم معهم فأسير بالناس سيرة تبتعد عن تحدي الفرنسيين . وانه اذا تم هذا فعندئذ يؤمل ان تعيد فرنسا النظر في الامر ، وبالنتيجة فانه يعتقد الاستطاعة بعد ستة أشهر في ان يهيننا برجوع الشام الى أيدينا .

وأما فيما يخص فلسطين فقد نوه الوزير في حديثه بوعده بلفور وقال انه لا يستطيع البحث في هذا الشأن لأن الامر سيترك للمندوب السامي . فقلت : إن كنتم ترغبون ترشيح الامير فيصل لعرش العراق لانكم تعتمدونه فذلك يسرنى وأخي فيصل كف لذلك وسأحض والدي على ان يقبل بذلك . وأما أهل العراق فلا أستطيع ان أكتب اليهم ما يؤيد الرغبة البريطانية لانني لم أكتب أحداً منهم الى الآن . ثم استطرد الوزير فقال :

إنكم ان لم تفعلوا هذا ستضيعون كل شيء ، وإنه في
إمكان ابن سعود أن يصل الى مكة في ثلاثة ايام ،
وإن بريطانيا العظمى عملت ما تستطيع .

فقلت له : أما ابن سعود وما ذكروا من إمكان دخوله مكة
في ثلاثة أيام فذلك قد يكون ممكناً وقد لا يكون .
وإذا أرادت العرب استبدال بيت بيت فذلك من
حق العرب . ولكن ما هو مركز ابن سعود اليوم
في نظر بريطانيا ؟ هل هو ملك او سلطان او شيخ
عشيرة أم ماذا ؟

فنهض عن كرسيه الى الشباك ووضع يده اليسرى على خاصرته
ثم التفت الى لورنس وقال له : قل للامير ان هذا السؤال لا
أستطيع الرد عليه الى ان أسأل الوزارة .

واستطردت انا فقلت :

أما فيما ينبغي ان عمله هنا فاني أوافق على وجهة
هذا الرأي ، ولكني لا أستطيع قبوله حتى أعرضه
على زعماء البلاد وأحزابهم وهم هنا معي ومن غاب
فله من يمثله وأجيبكم غداً في مثل هذه الساعة .
وأما أهل فلسطين فهم يرفضون وعد بلفور ويصرون
على عروبة فلسطين ، ونحن لا نستطيع ان نرضى
بقناه أهل فلسطين من أجل يهود العالم وأنهم ليسوا
كالنبات او الشجر كلما قلم نبت ولهذا شأن بطول .

فقال : لقد أنعبناك ، واننا لننتظر جوابك في القد .
 وقد اجتمعت بالذوات الذين كانوا معي فوافقوني بالاجماع
 وفي الوقت المعين من اليوم التالي أبلغت الخبر وتقرر ان يزور
 المندوب السامي عمان لوضع الاساس والاتفاق على تشكيل الادارة
 في جميع نواحيها : الجيش والمال والمعارف والعدلية وسائر الفروع .

مجلس المشاورين

أول حكومة إدارية للبلاد الأردنية

وفي اوائل شهر نيسان ١٩٢١ تشكلت اول حكومة في شرقي
 الاردن وقد سمى رئيسها « الكاتب الاداري » وهو يرأس
 « مجلس المشاورين » الذي ألف من :

الكاتب الاداري ورئيس مجلس
 المشاورين ووكيل مشاور الداخلية رشيد بك طليع
 نائب العشار
 قاضي القضاة
 مشاور العدلية والصحة والمعارف
 الامير شاكر بن زيد
 الشيخ محمد الخضر الشنقيطي
 مظهر بك رسلان

مشاور الامن والانضباط	علي خلعي بك
مشاور المالية	حسن بك الحكيم
معاون نائب العشار	السيد أحمد مربود

وبتاريخ ١٧ نيسان حضر لزيارتنا في عمان السير هربرت همويل المندوب السامي لفلسطين وشرقي الاردن إذ ذاك ، يصحبه السير ديدز سكرتير حكومة فلسطين ، والكولونيل لورنس ، واللورد ادوارد هاي . وفي اليوم التالي ألقى المندوب السامي خطاباً جاء فيه :

كان من دواعي شرفي أنني حظيت بمقابلة صاحب السمو الامير عبدالله بدار الحكومة في القدس بمناسبة زيارته فلسطين ، كما حظيت بمقابلة المستر ونستون تشرشل أحد أعضاء الوزارة الانجليزية .

إن الحكومة البريطانية ترحب بالفرصة السانحة للتعاون في شرقي الاردن مع سمو الامير عبدالله الذي لها في حسن نيته وصداقته كل ثقة ، وهي تقدر قيمة الصداقه وحسن النية التي تجلت في خلال الحرب الضروس التي دارت رحاها في كل هذه المدة الطويلة ، وتعلم كما تقدر الخدمات التي قدمتها جيوش العرب في ذلك الكفاح وترغب في ان توطد في زمن

السلم دعائم التحالف الذي بيني في خلاله .

فأجيبته :

انني أشكر نخامتكم على خطبكم القويمة ، وأقول
بالاجابة عن نفسي وبالنيابة عن الحاضرين أن الامة
العربية ستبرهن على أنها قادرة على تحقيق الآمال التي
وضعت فيها وعلى انها جديرة بكل ما تقدمه لها
الحليفة الكبرى من مساعدة .

وفي منتصف أيار ١٩٢١ وقع حادث الكورة (١) وبتاريخ
٥ تموز ١٩٢١ جرى تبديل في مجلس المشاورين ، على أثر استقالة
رشيد بك طليح وإعادة تأليفه المجلس . وكان هذا التبديل عبارة
عن جعل مظهر بك رسلان مشاوراً للمالية بدلا من حسن بك
الحكيم ، وتعيين رشدي بك الصفدي مشاوراً للامن والانضباط
بدلا من علي خلي بك ، وإدخال غالب بك الشعلان في المجلس
بعنوان « مشاور القيادة العامة » .

(١) عصيان ومقاومة مسلحة للسلطة الادارية الجديدة ، قام به أهل ناحية
الكورة باللواء الشمالي وعلى رأسهم كليب الشريده .

مجلس المستشارين

وفي منتصف شهر آب سنة ١٩٢١ استقال رشيد بك طليح وحل محله مظهر بك رسلان وتشكلت الحكومة على الوجه الآتي بعد ان أبدل عنوان المجلس فصار يسمى « مجلس المستشارين » وصار رئيسه يسمى « رئيس المستشارين » :

رئيس المستشارين والمستشار المالي	مظهر بك رسلان
نائب العشار	الأمير شاكر بن زيد
مستشار الامور الشرعية	الشيخ محمد المحضر الشنقيطي
مستشار الأمن والانضباط	رشدي بك الصفدي
مستشار القيادة العامة	غالب بك الشعلان
معاون نائب العشار	السيد أحمد مريود

وفي خلال شهر تشرين الثاني ألفت مستشارية الامور الشرعية ، وأضاف رئيس المستشارين الى نفسه لقب المستشار الملكي ، وعين شكري بك شعشاعة وكيلًا للمستشار للمالي .

وفي اول شهر شباط ١٩٢٢ حضر من دمشق أحمد حلمي بك وعين مستشاراً للمالية .

وفي اوائل آذار ١٩٢٢ وصل رضا باشا الركابي وألف

حكومته الاولى في ١٢ آذار ١٩٢٢ بعنوان رئيس المستشارين،
وعين الرئيس السابق مظهر بك رسلان مستشاراً ملكياً ، وبي
كل من نائب العشار والمستشار المالي في منصبه .
وفي اوائل أيار ١٩٢٣ وصل ابراهيم بك هاشم وعين
مستشاراً للعدلية ، ثم جاء الشيخ سعيد افندي الكري خلال
شهر آب ١٩٢٢ وعين قاضياً للقضاة .

الى لندن

وفي يوم الثلاثاء المصادف ٣ تشرين الاول ١٩٢٢ سافرت
وبمعيتي الركابي باشا الى اوروبا ، وما لبثت ان عدت تاركاً
الرئيس هناك ووصلت عمان في اوائل كانون الثاني ١٩٢٣
وفي اليوم التالي أقيمت على وفود البلاد الاردنية البيان التالي:
لبس من عادي كتابة خطاباتي ثم تلاوتها ، ولكن في سوء
تصرف الرواة وتحريف بعضهم للقول وأهمية الموضوع ما يحملني
على ما ترون ، ولذلك أتلو عليكم ما سيأتي :
لا شك في انكم تتطلعون الى ما ستسمعونه عن رحلتي المعلومة
الى لندن ، وأنتم محقون في ذلك وعليه أقول :
إعلموا ان هذه الرحلة كانت لصالحكم وانها والحمد لله فيها

كل ما هو مطابق لمصالحكم ورغائبكم ، خصوصاً أمر استقلال
منطقكم فإنه الجزء المهم من سلسلة التشبثات التي ستطلعون على
تفاصيلها إن شاء الله تعالى ، بعد قدوم دولة رئيس المستشارين
المتخلف في لندن لانتهاء هذه الاغراض .

وعلاوة على هذا أقول لكم إنني رجعت وكلي رجاء في
الوصول بمشيئة الله الى النتيجة الحسنة فيما رمت اليه النهضة
العربية المستندة الى الآمال القومية ، وإنني كما قلت للجموع في
موقفي هذا عند قدومي الى هذه المنطقة كما تذكرون : من أنه
لو كانت لي سبعون نفساً فقدتها كلها في سبيل القومية والوطن
لما رأيتني قمت بالواجب .

ولكن لخدمة الوطن وجوهاً ولكل وجه سبب ، وأفضل
تلك الوجوه الآن وفي كل آن أسلمها عاقبة وأقلها ضرراً .
ومع أنني عالم بثقل لوازم الوطن ومقتضياته ومتاعب الوصول
الى غاياته ، أقول ان كل هذه الصعاب ستدلل إن شاء الله بالحكمة
القومية والتعقل العبقري اللذين ورثتموها عن آبائكم مع الاتكال
على الله تعالى في كل الاحوال .

ويحسن بي القول هنا أيضاً أنني قد عدت من هذه الرحلة
وانا مشاهد آثار المودة البريطانية التي سنجنني باستمرارها حقائق

المنافع المرموقة . كما وانني عظيم الرجاء في ان الحكومة الجمهورية الفرنسية الفخيمة الموجودة الآن على الوجه المعلوم بالتقسيم الشمالي من وطننا المحبوب ، لا تحمل حقداً على قوميتنا وقضيتنا ، واننا بمشيئة الله سنصل قريباً الى إسعاد الوطن كله بتعضيد دولتي التحالف الكبيرتين وانكشاف الآمال الشريفة القومية على الوجه المطلوب .

هذا وقبل ان أختم قولي أريد ان أثنى على رجال حكومتنا الذين قاموا في غيابنا بما أودع اليهم من الامور حتى القيام ، كما وانني أشكر للاهلين جميعاً حميتهم الوطنية واثمارهم باوامر الحكومة وانصرفهم الى أعمالهم التي تعود عليهم وعلى وطنهم بالخير والسلام .

وهنا أعلن بلسان الصرامة تأكيد عزمي السابق من جعل هذه البلاد بلاد دعة وأمان ، ترتاح لحسن إدارتها أقطار محبيها ، خالية من وجود شكايي قاطنيتها ومجاوريها . وأنعمش أنني أصبت بهذه الصورة ما يرتأيه محبو الوطن وطالبو الخير له . والله الموفق لما فيه النجاح والمصوب لما فيه السداد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هادتاه هاماه

حصلا في عهد الحكومة الركابية الأولى

أما الركابي باشا فقد عاد من لندن فوصل عمان بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٢٣ ولكنه استقال في غاية الشهر المذكور .
ويجدر بنا ان نذكر حادثين هامين حصلا في زمن الركابي :
اولهما تأديب الكورة في صيف سنة ١٩٢٢ ورضوخ كليب الشريده وجماعته ، وثانيهما اعتداء الوهابيين على قبائل بني صخر في اليوم الثالث عشر من شهر آب ١٩٢٢ ، وقد دام القتال من فجر ذلك اليوم الى ضحى اليوم الثاني ، وكان عدد المغيرين نحو ألف وخمسمئة قتل منهم نيف وثلاثمائة رجل .

حكومة مظهر باشا رسلان الثانية

وفي ١ شباط ١٩٢٢ ألف مظهر باشا رسلان الحكومة للمرة

الثانية على الوجه الآتي :

مظهر باشا رسلان
الأمير شاكربن زيد
الشيخ سعيد افندي الكرمي
أحمد حلسي بك
ابراهيم بك هاشم

رئيس المستشارين
نائب العشائر
قاضي القضاة
المستشار المالي
المستشار القضائي

اعلان استقلال شرق الاردن

خطاب « الأمير » وخطاب « المندوب السامي »

وفي ١٥ أيار ١٩٢٣ أعلن استقلال شرق الاردن في حفلة رسمية حضرها رجال الحكومة ووفود من فلسطين ، وقد وصل لهذه الغاية من القدس المندوب السامي السير هربرت صمويل يصحبه الجنرال كلايتون . وقد أقيمت الخطاب التالي :

أيها الشعب الكريم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله . وبعد
 فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث محمداً والعرب منكشون في جاهليتهم
 المظلمة وماضون في حروبهم الداخلية والطوائف والاحقاد
 مستحكمة في أفئدتهم ، فوحد كلمتهم وألف بين قلوبهم وجمع
 بين أهوائهم وقادهم الى ما فيه طريق رشادهم وأخرجهم من
 الضلال الى الهدى وملكهم الدنيا وهم آبون كارهون ، ورب
 قوم يقادون بالسلاسل الى الجنة . وتركهم على خير ما ترك نبي
 أمته فجزاه الله عن العرب خيراً وصلى الله عليه وسلم . ثم خلف
 من بعده الخلف الصالح وهم الخلفاء الراشدون ، فاتبعوا سنته
 وفتحوا الفتوح وأسسوا دعائم الدولة العربية وشادوا لهم من

المدنية صرحاً . فبه صلى الله عليه وسلم وبهم رضي الله عنهم كان للعرب ما كان من المفاخر المادية والمعنوية حتى أصبحوا مصابيح الوجود ونياريس الكائنات . وكلكم تعلمون ماضي دولكم من أمويين وعباسيين وأندلسيين وفاطميين ، كل ذلك كان بالافتداء بتعاليمه صلى الله عليه وسلم وبالاعتصام بالوحدة في الرأي والعمل وبالائتثار باواصر من كانت بيده مقاليد الامور وبني عليه الأمل .

ثم شاءت الاقدار الصمدانية للحكمة الأزلية ان يقلب الدهر للعرب ظهر مجنه ويصحبهم بكوارثه ومحنه ، فأصابهم ما أصاب غيرهم من الأهم وضرب التخاذل بينهم بجرانه وعمت التفرقة وانتشرت الفوضى وتسلمت الأعاجم على أهم أمورهم ومراكز إدارتهم وشؤونهم ، فوقع على الدولة العباسية ما وقع وأوضاع العرب ما اكتسبوه بالأنفس والنفائس وظلوا بعدها كما تعلمون الى أن أذن الله بالحرب العامة في أثناء انتباه الافكار العربية وسعيها لاعادة مجدها السابق وعزها الغابر ، فوعدت النهضة العربية المباركة على يد من اختاره الله سبحانه وتعالى قواماً لها وقائداً لأمورها ، فتأدى الى الحق فأيقظ الهاجد في عماء ونيه الغافل في كراه ، وخاض غمار الحرب العامة في أشد أوقاتها خطراً متكللاً على الله وعلى قومه ، والنصر من عند الله ، فكلل جميع أعماله بالنجاح لا ئتثار العرب أثناء الحرب بأمر واحد واتباعهم

مر كزاً واحداً .

ثم اني لا أرى هنا حاجة لذكر ما عقب الهدنة من الاستعجال المشمومة منه رائحة الانقسام ، والذي أدى لمصائبنا في أهم أجزاء وطننا وأحبه ، والذي أخرج النتيجة المطلوبة ، مما يجب ان يكون محلاً للانتباه والحذر من الآن فصاعداً ، ويوجب الاستمسك بوحدة الرأي والعمل ، كل ذلك كان من الأقدار الألهية ، حرسنا الله مما فيه غضبه ووقفنا لما فيه رضاه .

وإنني في هذا الموقف بعد الشكر لله سبحانه وتعالى أخبركم بما تم على يد صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الحشمة الامبراطورية البريطانية من العهد الضامن إن شاء الله لكل الرغائب ، وأشرك معكم بكل سرور في هذه الحفلة بما كان قد تم في أثناء وجودي في لندن من اعتراف الحكومة الفخيمة البريطانية باستقلال هذا القسم من المملكة العربية . ولا شك بان ذلك أيضاً من نتائج السياسة الحكيمة التي اتبعت هنا ومعاودة الحكومة البريطانية العظمى .

ويسرني جداً ان أعلن شكري لحضرات المستشارين والذوات الذين ساعدوني على السير في هذه الخطة الحكيمة ، وللشعب المتمسك بحبال وطنيته الصادقة وأمانيه الحققة وسيره الحكيم والطاعة لأولي الأمر والثقة باعمالهم المعقولة التي تكملت بالنجاح .

وانني لا أشك في انه سيثابر على سيره بعد الآن كما سار بالأمس
واننا نبشره بان حكومتنا ستشرع في إعداد القانون الأساسي
للمنطقة وتهديل قانون الانتخابات بما يوافق روح البلاد وطبقها
ويبئتها .

وبهذه المناسبة لا يمكننا ان نفعل عن الشكر للحكومة
البريطانية العظمى حليفة العرب وعضد القوي في السياسة
العربية منذ النهضة العربية المباركة حتى الآن . ولا ريب ان
العرب أثبتوا في جميع الظروف والاحوال حسن ولاهم وصدقتهم
لحليفهم العظمى ، كما انه لا يسعهم إلا ان يكونوا مدينين لها
بالشكر الجزيل لاعترافها لهم باستقلال البلاد العربية كافة وتعزيد
العرب على تأليف وحدتهم وقيامهم بمهمهم . وانني لا أمل ان
يكون موقف الدولة الفرنسية الفخيمة تجاه قضيتنا العربية المقدسة
وتجاه القسم الشمالي الباقي من وطننا المحبوب آخذاً بها الى عهد
جديد كاف للدلالة على احترام أبناء الثورة الفرنسية لحرية
الاقوام واستقلالها .

وان المساعدات التي قام بها شخصياً كل من نخامة المنسوب
السامي المحترم وسعادة كبير المعمدين المستر فلي الموقر نحو هذه
المنطقة لجدير بالاطراء . واننا نتوه هنا بذكر الهيئات الوطنية
والشيوخ والوجوه كافة والرجال العاملين الذين عضدونا في

السير الى هذه الخطوة المحمودة وآزرونا في السعي خلال طامين
في هذه المنطقة موآزرة اعترف البعيد والقريب بصلاح نقائجها
وشهد آثارها الجميع .

واني لا أمل ان يكون هذا اليوم يوماً سعيداً للامة تتخذه
عيداً تظهر فيه سرورها وحبورها . ومنه تعالى نستمد العون
ونسأله ان يطيل بقاءه وتوفيق جلالة أمير المؤمنين مولانا الحسين
بن علي بن محمد بن عون . والله ولي التوفيق .

* * * *

وبعد ذلك ألقى نخامة المندوب السامي الخطاب التالي :
إنني أربغ بالنيابة عن جلالة الملك جورج الخامس وحكومته
ان أقدم أصدق التهناني لسمو الأمير عبدالله وأهالي شرق الاردن
وبالحقيقة الى جميع العرب بمناسبة هذا العيد السعيد .
إننا ندخل اليوم في طور عظيم الأهمية في تاريخ الامم الكبير
فبعد ان كان للعرب عصر مجيد اشتهر بالادارة والآداب والفنون
والعلوم تقهقروا تحت اضطهاد دولة دخيلة غير راقية ، ولكن
الحرب الكبرى منحتهم فرصة لتحرير أنفسهم ، فقد اشركت
جيوش بريطانيا العظمى تساعدها الجيوش العربية بقيادة أنجال
شريف مكة المكرمة مع القوات العثمانية في حرب طال أمدها ،
وتكملت الثورة العربية ضد تركيا بالتعاون مع حملة الحلفاء بنجاح .

تام . وقد مهدت السبل الان لنهضة عربية يتوقف انتشارها
وأهميتها على العرب أنفسهم .

إن فصل هذه البلاد عن المملكة العثمانية وضع على جاتق
بريطانيا العظمى مسؤولية تجاه عصبة الأمم ، الجمعية الجليلة
القدر التي تمثل رأي القسم الاكبر من العالم المتعدن ، وستنجز
الوعود التي أعطيت لجلالة الملك حسين في أثناء الحرب ، ووفقاً
لهذه الخطة أعترف بشريف مكة ملكاً مستقلاً . وقد نصب
جلالة الملك فيصل ملكاً على العراق وأعطى سلطات فعلية . وقد
عقدت معاهدة مع الملك حسين حديثاً وستعلن نصوصها قريباً ،
وهي تدل على ان النهضة العربية قد دخلت في طور جديد .

وها نحن نحتفل الآن بالاتفاق الذي عقد مع سمو الامير في
أثناء زيارته لجلالة الملك جورج والحكومة البريطانية ، ولا يخفى
عليكم ان الاتفاق ينص على اعتراف حكومة جلالة الملك بوجود
حكومة مستقلة في شرقي الأردن برئاسة صاحب السمو الامير
عبدالله بن الحسين ، شرطاً ان توافق جمعية الأمم على ذلك ، وان
تكون حكومة شرق الاردن دستورية تمكن حكومة جلالة
الملك من القيام بتعهداتها الدولية فيما يتعلق بتلك البلاد وذلك
بواسطة اتفاق يعقد بين الحكومتين .

ولم تنقض سنتان على استلام الامير إدارة شرقي الأردن ،

حتى خرجت من طور التشويش واختلال النظام الى طور سلام
وتقدم متزايد. فاستفاد من هذا التحسين جميع الاهالي على اختلاف
طبقاتهم سواء في المدن والقرى او بين الفلاحين والبدو. والامل
وطيد بان التقدم سيثمر بدرجة متزايدة. والفضل في ذلك يعود
أيضاً الى المستشارين الذين اختارهم سمو الأمير وأخص بالذكر
منهم مظهر باشا رسلان الذي أرغب ان أقدم له التهاني الخالصة
لنيله هذه الرتبة الجديدة .

إن الحكومة البريطانية تفتخر انها استطاعت الاشتراك في
ذلك التقدم باذلة لحكومة الامير مساعدة فعلية معنوية . وقد
تمتعت هذه الحكومة بمساعدة مالية أيضاً مما سهل إيجاد قوة
سيارة منظمة ووحدات أركان الأمن العام في هذه البلاد . وقد
وضعت طائرات وسيارات مصفحة تحت تصرفها إذا دعت الحاجة
اليها ، وقدم لها مستشارون سياسيون وعسكريون عند الاقتضاء
وسعت حكومة جلالة الملك في الوقت نفسه ان لا تتدخل في
الاخلال في إدارة الامير ، وقد أصبح استقلال إدارة الأمير
أمراً حقيقياً .

واسمحوا لي ان أذكر في هذا المقام عظيم تقديري لأسباب
شخصية للصداقة التي استحسنت حلقاتها بيني وبين سمو الامير ،
ويسرني أني تمكنت بالفعل من تعضيد التطورات التي جرت

مؤخراً سواء كان فيما يتعلق باستقلال شرق الأردن او التقدم
الناشي عن المعاهدة مع الحجاز .

وإني آمل من صميم الفؤاد ان الحزم السيامي وروح التساهل
وحسن تدبير الأمور الادارية التي امتازت بها حكومة الأمير
ستدوم طويلاً بعناية الله تعالى ، لتعكس ضوءاً جديداً على سموه
وتؤدي الى دوام خير ونجاح الاهالي الذين تحت سلطته .

مجلس الوكلاء

وبتاريخ ١١ حزيران أصدرنا إرادتنا بتبديل لقب رئيس
المستشارين بلقب رئيس مجلس الوكلاء ، ولقب قاضي القضاة
بوكيل الأمور الشرعية ، والمستشار المالي بوكيل الأمور المالية ،
والمستشار القضائي بوكيل الامور العدلية .

حكومة حسن خالد باشا أبو الهدى

مجلس النظار وأول برنامج وزارتي في شرقي الأردن

وعلى أثر حادث العدوان استقالت حكومة مظفر باشا رسلان
وعهد بتأليف الحكومة الى حسن خالد باشا أبي الهدى بتاريخ
٥ ايلول ١٩٢٣ فألفها كما يلي وسمى مجلس الوكلاء (مجلس النظار)

حسن خالد باشا	رئيس النظار
الامير شاكر بن زيد	نائب العشار
الشيخ سعيد أفندي الكرمي	قاضي القضاة
أحمد حلمي باشا	ناظر المالية
ابراهيم بك هاشم	ناظر العدلية
علي خلقي بك	ناظر المعارف

وقد كانت الظروف آنئذ تستدعي وضع برنامج حسب
إشارة أئديناها ، فأتخذ مجلس النظار قراراً بإذاعة البرنامج التالي :

- ١ — تأييد العلاقات الودية والروابط الاقتصادية
الحسنة بين حكومة شرقي الاردن وانكلترا وفرنسا
- ٢ — تعزيز الامن العام والضرب على كل يد عابثة
بالسكينة وفقاً لموجبات المصلحة وما يقضي به العدل
- ٣ — رعاية الحال الاقتصادية وتخفيض الرواتب
والنفقات جهد المستطاع والاستغناء عن الوظائف
الزائدة .
- ٤ — إصلاح طرق توزيع الضرائب وجبايتها
بصورة تكفل مصلحة الخزينة والاهلين معاً .
- ٥ — ترجيح تعيين الاكفاء من أبناء المنطقة على
غيرهم في الوظائف .
- ٦ — السعي وراء نشر المعارف وتسهيل المواصلات
بتزويد المدارس وإنشاء الطرق وتعميرها الى غير
ذلك من أمور الاصلاح .

مبايعة المنقذ الاعظم

بالأمامة الكبرى والخلافة العظمى

في يوم الجمعة الموافق ١٨ كانون الثاني من عام ١٩٢٤ شرف
جلالة المنقذ الاعظم مدينة عمان. وبتاريخ ١١ آذار ١٩٢٤ بوج
جلالته بالخلافة وأصدر المنشور التالي :

الحسين بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين
إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده
ورسوله أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه وكافة أنبيائه
ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أما بعد فإني أسأله الرأفة والرحمة بعباده والتوفيق ، وأن
يجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، فإنه هو الرحيم

المنان الكريم . ثم إنه لما كانت الامامة الكبرى والخلافة العظمى نظام عقد الامة وسند قوام الملة ، وكان أمر صيرورتها وكيفيةها وما جرى فيها مدوناً ومنقولاً عن تلقينا عنهم ديننا القويم ، وكان كل ما جرى من بعد عهدهم السعيد في كيفية حقوقها وصلاحياتها وسائر معاملاتها الى يومنا هذا موضحاً في تواريخ العالم الاسلامي وسيره المثيرة ، فاقدم حكومة أنقرة على ذلك المقام المكرم كيفما كان شكله جهل أولي الرأي والحل والعقد من علماء الدين المبين في الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى وما جاورها من البلدان والأنصار يفاجئونا ويلزمونا ببعثهم بالامامة الكبرى والخلافة العظمى ، حرصاً على إقامة شئنا الدين وصيانة الشرع المبين أبسطه لعدم جواز بقاء المسلمين اكثر من ثلاثة أيام بلا إمام كما يفهم صراحة من توصية الفاروق الأكرم رضي الله عنه لأهل شوري البيعة بعده كيفما كانت صيغة تلك الامامة وأشكالها الى الان .

وعليه ولما كانت المملكة الهاشمية والقطعة المباركة الحجازية مهد الاسلام ومحل ظهوره ومطلع نوره ، وكانت مصونة بعنايته تعالى من كل شائبة في حالتها السابقة والحاضرة ، ولا سيما العمل فيها باحكام كتاب الله وسنة رسوله بجميع خصوصياته وعمومياته وانطباق حكم البيعة المشروعة من المباح والمباح له انطباقاً لا

يتصور حصوله في أي مملكة أخرى في الوقت الحاضر ، كان
حقا علينا إجابة ذلك الطلب الديني المشروع بعد الاتكال على الله
سبحانه واستعداد روحانية نبيه صلى الله عليه وسلم .

لذلك قبلنا البيعة متوكلين عليه عز وجل ، مستمدين منه
الغوث والعون والتوفيق لما يحبه ويرضاه ، واننا نرجوه سبحانه
وتعالى ان يكون هذا الامر الذي قضى في حكمته الازلية وقدرته
الضممدانية وأظهر حكمة قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم) مضاعفاً إلهاماتنا باتباعنا مسلك السلف
الصالح .

نعم اننا لم نعترض البحث في شئون ذلك المقام الجليل إبان
نهضتنا ، لا بل الى قبيل جراءة أنقرة على الكرامة كيف كانت
وضعيته ، وذلك حذراً من توسع شقة الاختلاف لئلا يتخذ
أعداء الاسلام وسيلة للتعريض بمكانته ، ولا نكلف سوانا بما
لا يراه عملاً بقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته فربك أعلم
بمن هو أهدى سبيلاً) ومع هذا فهو المسؤول أن يجعل هذه
البيعة مدار ألفة للمسلمين تضم قاصيهم ودانيهم وتوقمهم الى حسن
التآلف مع مجاوريهم من أبناء دينهم وسكان بلدانهم من أهل
الكتب السماوية وسائر مواطنيهم بما ألقته اليهم الشريعة الاسلامية
وتطبيق ما فرض في أمر (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وكل ما

أوجبه عليهم من المنكر ، مؤملين منهم حسن القيام بكل ما هو في معنى هذا مما أوجبه الله عليهم فرداً فرداً وجماعة جماعة ، وبالاخص العلماء والاعلام في أقطار الاسلام كافة .

وإنه لما كانت العائلة العثمانية ممن سبقت لها خدمات لا تنكر ومفاخر لا تستحقق للاسلام والمسلمين ، ولما كان الحكم الاخير عليهم مما تنفتت له الالكباد وتنفطر منه المهج ، رأينا من واجب أخوة الاسلام ان تهيب لها ما يساعدها بما يقوم بأودها ويدفع عنها الغائلة في أمر معاشها .

فمن أحب الاشتراك في هذه المثوبة العظمى من سائر أرباب الشهامة ، فعليه ان يشعر رئاسة و كلائنا بمكة المكرمة بما يريد ، والله جل شأنه وتعالى قدرة سلطانه . يعلم ان غايتي الوحيدة هي خدمة الاسلام وأقوامي أبناء الجزيرة خصوصاً والمسلمين عموماً فهو المسؤول وحده لا شريك له وأن يجعل لنا وإياهم وإياً ويجعل لنا من لدنه نصيراً ، وهو المستعان وهو ولي العوفيق ولا حول ولا قوة إلا به ، والصلوة والسلام على خير خلقه وآله وصحبه أجمعين .

* * *

وفي يوم الخميس ٢٠ آذار ١٩٢٤ غادر جلالته عمان الى مكة المكرمة .

الحكومة الرقابية الثانية

وفي اوائل شهر نيسان ١٩٢٤ وصل المعتمد البريطاني الكولونيل كوكس وباشر عمله .
 وبتاريخ ٣ أيار ١٩٢٤ الموافق ٢٩ رمضان ١٣٤٢ ألف رضا باشا الرقابي وزارته الثانية كما يلي :

رضا باشا الرقابي	رئيس النظار
الامير شاكر بن زيد	نائب العشائر
حسن خالد باشا ابو الهدى	ناظر المالية
الشيخ سعيد افندي الكري	قاضي القضاة
ابراهيم بك هاشم	ناظر العدلية

وقد ذكر في برنامج وزارته انه سيتبع الصدق والاخلاص في القول والعمل ، والعزم والحزم في الامور ، وتوزيع العدل بين أفراد الشعب ، والمراعاة التامة للقواعد الاقتصادية والكفآت في الوظائف والموظفين والنفقات ، وقمع بذور الفساد وما يسيء السمعة بكل شدة وعدم التحيز والتعصب ، والتعاقد والتكاتف في جميع أمور الاصلاح وصيانة المنطقة من الاحوال المخلة بالأمن والسعي وراء انعقاد المجلس النيابي تديباً للامة على الحكم الدستوري .



جلالة الملك عبدالله في حفل رسمي في عمان سنة ١٩٢٣
يحف بجلالته من اليمين رضا باشا الركابي وحسن خالد باشا
ابو الهدى ومن اليسار محمد باشا الأنسي وميرزا باشا

«أنا عربي أعيش للأمة العربية كلها»

خطاب لصاحب هذه المذكرات بعد الأوبة من الحج

حوادث وتطورات هامة حصلت في أثناء الغياب عن البلاد

غادرنا البلاد الأردنية قاصدين الحجاز يوم الجمعة بتاريخ ٢٤
ذي القعدة ١٣٤٢ الموافق ٢٧ حزيران ١٩٢٤ وعدنا منها يوم
١٩ آب ١٩٢٤ . وفي يوم الخميس ١٤ آب ١٩٢٤ ونحن في
الطريق في أوبتنا من الحجاز اعتدى الوهايون مرة أخرى على
شرقي الاردن فطردوا تاركين وراءهم خمسمائة قتيل وعدداً
عديداً من المرحى .

وقد حصلت في أثناء غيابي حوادث تخل بالأمن في جهة
سوريا وأدى ذلك الى توجيه الحكومة البريطانية إنذاراً طلبت
فيه بسط المراقبة المالية على شرقي الاردن دون قيد او شرط كما
طلبت إخراج المتهمين بالتحريض في حوادث الحدود وإلغاء
نيابة العشائر . وفي اليوم التالي لوصولي عمان ألقيت في جمع من
أركان الحكومة ورجال البلاد الخطاب الآتي :

بمناسبة رجوعنا من الحج وإظهار الامة عواطف إخلاصها
 طائفي اولا أشكر الامة على عواطف حبها وإخلاصها وثانياً احمد
 الله الذي من علي برؤيتكم مرة ثانية .

لقد وقع إبان سفرنا حادثان في هذه المنطقة : الاول حادث
 الوهايين الذي دفع بالتنكيل الشديد ، بهمة الأهلين والقبائل
 وقوة الحق ولا ننسى في هذا الشأن مساعدة المصنفحات والطيارات
 البريطانية . والثاني حادث العصابات في جنوبي سوريا الذي أدى
 الى دخول قسم من الدرك البريطاني الى هذه المنطقة .

إنكم تعلمون اننا قدمنا الى هذه الديار ونحن لا نألو جهداً
 في خدمتها وتحسين شؤونها ، وغرضنا الوحيد من كل ما نسعى
 اليه هو الوصول الى الغاية التي نتطلبها كلنا وهي تحرير بلادنا
 جميعها تحريراً تاماً بالحكمة والنظام .

ومما لا ريب فيه ان الأمم لا تصل الى غاياتها الا بالعقل ،
 والعقل يكون بالنظام ، والنظام هو الذي يوصل الى الغاية المنشودة
 أما الذين ينصاعون الى الفوضى ولا يدخلون البيوت من أبوابها
 فيسلكون غير طريق الحق والنظام ، هؤلاء ليسوا الا خطراً
 على بلادهم مهما حاولوا تبرير أعمالهم .

نعم لقد خرجنا من الحرب العامة لنكون أصحاب بلادنا ،
 ولكن من هو الذي يقول اننا على أهبة في وسائلنا وأوضاعنا

لمقاومة الأمم ١٢. إن المقاومة التي تجلب الشر ليست سوى جريمة والشجاعة الحقيقية هي في معرفة الانسان نفسه وسلوكه مسلك الحق والحكمة وان يسعى قبل كل شيء في إعداد نفسه ليكون رجلاً أو أمة .

أنا لا أخون الله والأمانة التي أودعت الي ، بل أجهر بالحق ليسمع الجميع : إن كل من يعث بالامن في سوريا وفلسطين من دعاة الفتنة نعتبره خارجاً علينا ، اذا ما سوت له نفسه استخدام هذه المنطقة الآمنة في مناحي هواه ، لأننا لا نريد ان تجني هذه البلاد ذلاً بسوء تصرفات اولئك العاشقين . واني لأقول لكم إسمعوا واطيعوا فان الطاعة لا بد منها في المحافظة على الكيان .

لقد سألت بعد وصولي عن سبب ورود سرية الخيالة البريطانية والاربع مصفحات الى عمان ، فأخبرت بأنها جلبت بسبب حادث الوهابيين تعزيزاً لقوة الطيران. وبناء على ايضاحاتنا الكافية كتب سعادة المعتمد البريطاني الى مرجعه بعدم لزوم بقائها . أما القوة الثانية التي دخلت اربد فسوف لا يعود لها لزوم ايضاً حينما يتضح الامر بانقطاع الاسباب الموجبة لقدمها .

إنكم لتعلمون ان الأمم التي انتدبت لمساعدة العرب هما انكلترا وفرنسا ، ونحن لا نستطيع التعاون مع هذه الأمم الا بالاخلاص والدرية والحكمة ، حتى اذا وثقتم بانفسكم وسلكنم مسالك الأمم

وتمسكتم بالمبادي المشروعة وصلتم الى كامل حقوقكم ونلتم ما
تصبو اليه نفوسكم .

أنا لست بالجبان ، واذا وقعت مصيبة فلا بد لي من الموت ،
غير انني في الاربعين وباستطاعتي ان أخدم أمتي ، فلا أريد ان
أضحى بنفسى من غير روية ولا أريد ان أوّلب على العرب دولتين
عظيمتين . وحسى ان أقول لكم ان اليقظة العامة والتيار الذي
أوصل الامم الى حقوقها سيوصلكم الى حقوقكم ، والامم كلها
سائرة في طريق التقدم .

إن الذين يشجعون رجال العصابات او يقبلون حمايتهم في هذه
المنطقة إنما يخونون أنفسهم وبلادهم . نحن لا نريد ان نكون
خطراً على غيرنا . الدنيا بيت واحد ، والامم المتمدنة قد
توحدت مصالحها حتى أصبحت كهائلة واحدة ، اذا اختل النظام
هنا اختل هناك .

نحن نريد الحياة من طريقها المشروع ، وأنا لا مصلحة
خاصة لي في هذا الجزء المحبوب من الوطن العربي ، والقضية
بصفتها قضية محلية هي قضيتكم والوطن وأمتكم .

نعم أنا رجل للحجاز وسوريا وفلسطين واليمن ونجد وكل
بلد عربي ، وسأبقى عربياً أعيش للامة العربية كلها ، وأشهد
الله انني لأنأم لكل كارثة تقع على العرب . لذلك فاني اود ان لا

تحمل نصائحني على غير اليقين بان الحقيقة يجب ان تقال وان
تسطع كالشمس ليراها الجميع .

انني شخصياً أريد ان أسعى لازالة كل ما يحول برأس
الحكومة الفرنسية الفخيمة نحو هذه المنطقة من الريب ،
وسنبرهن للجميع على أننا أمة تريد ان تعيش بشرف وبحق الحياة
ليس إلا .

إنني والحمد لله أقول أنني لم أر حتى الآن من بدو هذه البلاد
وحضرها إلا كل ما يسر ، ولي معكم مجالس أخرى سأحدث
بها اليكم باشياء تتعلق بمصالح الوطن .

وبعد فان جلالة مولانا أمير المؤمنين يقرئكم السلام . وقد
قضى الحج في هذا العام بالصحة العامة والحمد لله . واخواننا
الحجاج من سائر الاقطار الاسلامية قد أقبلوا على البيعة بكل
ثقة . وجلالة الملك المعظم ما زال هاملا على توثيق علائق الود
مع حلفائه . فنسأل الله دوام العوفيق وان يجنبنا العثرات ويمدنا
بروح من عنده .

* * *

تنازل جبهة الملك حسين عن العرش

ومبايعة جلالة الملك علي

وإخلاق منطقة معان والعقبة بالديار الأردنية

في منتصف شهر صفر سنة ١٣٤٣ الموافق لمنتصف شهر
أيلول ايضاً من سنة ١٩٢٤ هـم الوهابيون على مدينة الطائف ،
وعقب ذلك نشوب الحرب بين الحجاز ونجد .

وبتاريخ ٥ ربيع الاول ١٣٤٣ تنازل جلالة المنقذ الاعظم
عن العرش وبويع بالملك لصاحب الجلالة الملك علي بن الحسين .
وفي أواخر ربيع الاول ١٣٤٣ وصل جلالة الملك حسين
الى العقبة فمكث فيها ما يقارب الثمانية أشهر ثم غادرها بتاريخ ٢٦
ذي القعدة ١٣٤٣ الموافق ١٧ حزيران ١٩٢٥

وفي ٢٤ حزيران ١٩٢٥ أصدرنا الارادة التالية :

نظراً لتسبب صاحب الجلالة الهاشمية الملك علي
المعظم ملك البلاد الحجازية المقدسة أيده الله وأدام
نصره ، ضم منطقة معان والعقبة الى إمارتنا ، اقتضى
إصدار إرادتنا اليكم إعلاماً بذلك مع الشكر الدائم
لجلالته الملوكية الهاشمية منا ومن شعبنا وحمكومتنا .

وفي يوم الخميس ٢٥ حزيران ١٩٢٥ وصلنا معان وبالعية
رئيس النظار ، وجرت مراسم الضم ورفع علم شرقي الاردن ،
واعتبر هذا اليوم (يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٥) التاريخ الرسمي
للالحاق .

حكومة حسن خالد باشا الثانية

المجلس التنفيذي

وبتاريخ ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ الموافق ٢٦ حزيران ١٩٢٦
ألف حسن خالد باشا ابو الهدى حكومته الثانية . وقد عرض
في العريضة التي ضمنها أسماء زملائه الذين اختارهم ، أنه ينسب
تشكيل مجلس تنفيذي برئاسته وان يحل هذا المجلس محل مجلس
النظار وتودع اليه صلاحياته ، فوافقنا على ذلك . وتم تأليف
المجلس التنفيذي كما يلي :

رئيس النظار وناظر الداخلية	حسن خالد باشا
قاضي القضاة وناظر العدلية	الشيخ حسام الدين افندي جار الله
السكرتير العام	عارف بك العارف

الدكتور رضا بك توفيق
عبد الرحمن بك غريب
كر كبر ايد بك

محافظ الآثار
مدير النافعة
مستشار المالية

وقد جاء في برنامج هذه الحكومة انها تسعى قبل كل شيء الى ان يخضع كل فرد للقانون، ويحترمه كما تحترمه هي ، فذلك هو الضمان الكافي لايجاد الثقة بين الامة والحكومة ، وانها تستمع الصدق والصراحة والاخلاص في جميع تصرفاتها وتضمن العناية بشؤون المدافعين ورعاية مصالحهم وتطلب اليهم الابتعاد عن التدخل في الشؤون السياسية وانها عازمة على وضع نظام خاص يعين حقوقهم وواجباتهم ، وانها ستولي الامن العام والشؤون المالية والاقتصادية والمعارف والصحة جل اهتمامها وانها ستسعى لحفظ علاقتها الودية مع حكومات المناطق المجاورة وتوثيقها ، وانها ستصرف عنايتها الخاصة لتأسيس مجلس تشريعي يمثل طبقات الشعب كافة فيشرف على التشريع ويعاون الحكومة في الامور الداخلية في اختصاصه الذي سيعينه الدستور .

هذا ملخص برنامج الحكومة الخالدية وكان برنامجاً طويلاً حوى التفاصيل الكثيرة عن الامور التي احتواها هذا التلخيص . وكما ان مجلساً تنفيذياً حل محل مجلس النظار ، فقد أشار البرنامج

الى ان مجلساً تشريعياً سيحل محل المجلس النيابي الذي مر ذكره في برامج ومناسبات قبل تأليف هذه الحكومة .

إن وجود مستشار المالية في المجلس التنفيذي لم يدم طويلاً ، ففي ١١ أيلول ١٩٢٦ خرج منه بناء على تشبثات جرت مع الجانب البريطاني ، وحل محله في المجلس التنفيذي مدير المعارف السيد أديب وهبه . ثم في ١٧ نيسان ١٩٢٧ أخرج من المجلس مدير النافعة وهو موظف مستعار من حكومة فلسطين ، وحل محله ابراهيم بك هاشم الذي عين آنفد مديراً للخزينة . وبعد مدة أدخل في المجلس التنفيذي توفيق بك ابو الهدى بدلا من الدكتور رضا توفيق . وبعد ذلك بسنة حل توفيق بك محل السكرتير العام عارف بك العارف الذي كان مستعاراً من حكومة فلسطين فعاد اليها .

وبتاريخ ٢٦ آذار سنة ١٩٢٨ نشر نص المعاهدة الاردنية البريطانية الموقع عليها في القدس بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٢٨ من قبل اللورد بلومر وحسن خالد باشا . وبتاريخ ١٩ نيسان ١٩٢٨ نشر القانون الاسامي لشرق الاردن . وبعد ذلك صدر قانون انتخاب أعضاء المجلس التشريعي .

واجتمع اول مجلس تشريعي للنظر في المعاهدة وإقرارها بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٤٧ الموافق ٢ نيسان ١٩٢٩ ، وقد استمر

درسها ومناقشتها مدة شهرين ثم صدقت بتاريخ ٤ حزيران ١٩٢٩
وقبل ان يعقد المجلس التشريعي دورته الاعتيادية في شهر
تشرين الثاني ١٩٢٩ رأى حسن خالد باشا الذي صار يلقب برئيس
الوزراء بحكم الدستور ان لا يظل في المجلس أحد من المستعاريين
— وكان لا يزال فيه الشيخ حسام افندي جارالله والدكتور
حليم ابو رحمه — وان يدخل في المجلس اثنان من أعضاء المجلس
التشريعي المنتخبين . فاستقال ليؤلف وزارة جديدة على هذا
الأساس ، وألّفها فعلا ، إلا ان تجربة الاستفادة من أعضاء
منتخبين من المجلس التشريعي لم تنجح ، فاعطي هذين العضوين
مركزان في الحكومة ، وانفصلا عن صفتهم الانتخابية في
المجلس حيث انتخب عضوان بدلا منهما .

استمرت حكومة حسن خالد باشا في الحكم مدة تقارب الخمس
سنوات ، ثم استقالت بعد ان حلت المجلس التشريعي الذي رفض
ان ينظر في قانون الميزانية ويلي طلبات الحكومة . (١)

(١) كان هذا المجلس هو المجلس التشريعي الأول في البلاد الأردنية
وكان مؤلفاً من السادة : عقله محمد النصير وعبدالله الكليب الشريده
ونجيب الشريده ونجيب أبو الشعر ، وسعيد الصلبي ونجيت الابراهيم وعلاء
الدين طوقان ونظمي عبد الهادي وممس الدين سامي وسعيد المفتي ، ورفيقان
الجبالي وعطالله السحيمات وصالح العوران وعوده التسوس ، ومتمقال الفايز
وحميد بن جازي .

حكومة الشيخ عبد الله سراج

وبتاريخ ٥ شوال ١٣٤٩ الموافق ٢٢ شباط ١٩٣١ ألف الشيخ عبد الله افندي سراج حكومته . فاحتفظ لنفسه إضافة للرئاسة بمنصب قاضي القضاة ووزارتي الداخلية والمالية ، وألف المجلس التنفيذي على الشكل التالي :

الشيخ عبد الله افندي سراج رئيس الوزراء ووزير الداخلية والمالية وقاضي القضاة

السكرتير العام	توفيق بك ابو الهدى
وزير العدالة	عمر حكمت بك
مدير الخزينة	شكري بك شهشاعة
مدير الآثار	أديب بك الكايد
النائب العام	عوده بك القسوس

وأعلنت هذه الحكومة منهاجاً مفصلاً جاء فيه :

- ١ — شعورها بالمسؤولية المشتركة الملقاة على عواتق أعضائها بمدلول القانون الاساسي تجاهنا .
- ٢ — وعدها بالسعي لتعديل المعاهدة ضمن حدود الامكان والاعتدال .

٣ — تعهدا بان تترك أمر الانتخاب للمجلس التشريعي حراً بعد ان حل المجلس السابق وان يكون في منجاة من أي تدخل غير مشروع .

٤ — حرصها على استعمال الحقوق المعينة في القانون الأساسي والقوانين الأخرى كاملة غير منقوصة مع مراعاة القيود التي نصت عليها المعاهدة .

٥ — ما تذكره الحكومات عادة من أمور الاصلاح والتحسين في سائر مرافق البلاد .

حكومة ابراهيم باشا هاشم

وبعاريخ ١ شعبان ١٣٥٢ الموافق ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٣ ألف ابراهيم باشا هاشم حكومته ، واحتفظ لنفسه إضافة الى الرئاسة بوزارة العدية ومنصب قاضي القضاة ، وألف المجلس التنفيذي على الشكل التالي :

رئيس الوزراء ووزير العدية	ابراهيم باشا هاشم
وقاضي القضاة	
مدير الخزينة	شكري بك شعاعة
النائب العام	عوده بك القسوس

سعيد بك المفتي	المفتش الاداري
هاشم بك خير	مدير الامتار
قاسم بك الهنداوي	عضو المجلس التشريعي

وقد كان منهاج الحكومة موجزاً يتضمن العزم على انهماج كل خطة للاضطلاع باعباء المسؤولية وفق رغبتنا بما يحقق أمان البلاد ومصالحها ، مع العناية بالشؤون الاقتصادية والعمراية والحزم في المحافظة على الامن والنظام وتحقيق مطالب البلاد الدستورية بجميع الوسائل المشروعة .

السفر الى لندن

وفي ٢ حزيران ١٩٣٤ غادرنا الامارة في زيارة الى لندن وعدنا منها في ٢٠ تموز ١٩٣٤ .

وفي ٢٢ تموز ١٩٣٤ تم إعلان نص الاتفاق المقنود بيننا وبين صاحب الجلالة البريطانية ملحقاً للاتفاقية المؤرخة في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ومعدلاً بعض موادها لمصلحة شرقي الاردن .

وفي نهاية نيسان ١٩٣٧ غادرنا بلاد الامارة مرة أخرى الى لندن لحضور حفلات التتويج ، وعدنا في ١٣ حزيران ١٩٣٧ .

حكومة توفيق باشا أبو الهدى

وبتاريخ ٣ شعبان ١٣٥٧ الموافق ٢٨ أيلول ١٩٣٨ تألفت
حكومة توفيق باشا أبو الهدى ، وتشكل المجلس التنفيذي كما يلي :

توفيق باشا أبو الهدى	رئيس الوزارة ووزير الخارجية
السيد أحمد السناف	قاضي القضاة
عبدالله بك الحمود	مدير الخزينة
خلف بك الثعل	مفتش الادارة
تقولا بك غنما	النائب العام
هاشم بك خير	مدير الآثار

ولقد كان المنهاج في هذه المرة موجزاً ايضاً ، تضمن أشد
الارتباط بنا والعزم على السعي لأن تكون للبلاد مكانة في
المجموع العربي كما اغيرها من الاقطار الشقيقة من وجود وكرامة
مع التمسك بمبادئ القضية العربية التي وضع كيانها المنقذ الأعظم
رضي الله عنه حتى يتيسر الوصول الى غاية العرب المنشودة وهي
الوحدة القومية . وأشير في المنهاج الى ما يشير اليه عادة من
الحرص على الأمن العام والعناية بالمصالح الاقتصادية وتخفيف
العبء عن المكلف في الاوقات العسيرة والاهتمام بالمعارف وجميع
الشؤون النافعة واتباع للنظام الكامل في دوائر الحكومة .

مجلس وزراء بدل المجلس التنفيذي

توفيق باشا أبو الهدى يؤلف اول وزارة لهذا العهد

في مستهل عام ١٩٣٩ انتدبنا رئيس وزراءنا توفيق باشا أبو الهدى للسفر الى لندن ممثلاً عنا ، لحضور المؤتمر الذي عقد من أجل قضية فلسطين. ولقد انتدبناه كذلك للقيام بايصال طلباتنا بشأن تعديل الاتفاقية الاردنية — البريطانية والمفاوضة في هذا الشأن . ولقد أسفرت النتيجة عن إجراء تعديلات أخرى لمصلحة شرقي الاردن ، فتم الاتفاق على تعديل القانون الاساسي في أمور كثيرة ، واستبدل المجلس التنفيذي بمجلس وزراء أسوة بالبلاد الدستورية وجعله مسؤولاً تجاهنا .

وبتاريخ ٦ آب ١٩٣٩ تم تعديل القانون الاساسي ، واعتبر الامير بمقتضى هذا التعديل القائد الأعلى للقوات العسكرية ونص على تأليف مجلس الوزراء وصلاحياته ومسؤولياته . ثم استقال الرئيس وفق التعاليد الدستورية وألفت اول وزارة في هذا العهد الجديد كما يلي :

توفيق باشا ابو الهدى

رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية
والعدلية

السيد أحمد علوي السقاف

قاضياً للقضاة ووزيراً للمعارف

رشيد باشا المدفعي

وزيراً للداخلية والدفاع

عبدالله بك النمر

وزيراً للشؤون المالية والاقتصادية

تقولا بك غنما

وزيراً للتجارة والزراعة

علي باشا الكايد

وزيراً للمواصلات

وأعلنت الوزارة في منهاجها عزمها على التمسك بمبادئ النهضة العربية والتآزر مع المخلصين لها حتى تصل الأمة الى ضالتها ووحدها باذن الله ، وعلى حفظ روابط الاخاء والتعاون الوثيق مع الاجزاء الاخرى من الوطن العربي لكل ما فيه المصلحة . ونوهت في هذا المنهاج بان البلاد قد خطت خطوة طيبة بفضل الخطة المثلى والحكمة البالغة اللتين أبداهما امير البلاد وما أظهره شعبه الكريم من الاخلاص والطاعة .

رد الحكومة البريطانية البرقي

على طلبات شرقي الأردن

المبلغ بكتاب المعتمد البريطاني في ١٦ حزيران ١٩٤٤

أعاد توفيق باشا ابو الهدى تأليف وزارته غير مرة منذ آب ١٩٣٩ حتى تشرين الاول ١٩٤٤ . ومن أبرز الخدمات التي قام بها في خلال هذه المدة اتخاذه قراراً في مجلس الوزراء في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٣ بارسال مذكرة الى الحكومة البريطانية ضمنها مطالب البلاد الاردنية ، فتلقى الرد التالي :

إن حكومة جلالته قد أولت مذكرة مجلس الوزراء المؤرخة في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٣ في وضع شرقي الاردن في المستقبل إعتباراً جدياً وعظماً .

فهي تقدر أسمى تقدير صداقة الحكومة والاھالي ومعاضدتهما غير الملتويطين بزعامة سمو الامير الرشيدة ، وهي تدرك شاكرة ممتنة انها استطاعت في كثير من الفترات العصيبة في العشرين سنة الاخيرة ، ولا سيما أبان أشد أيام الحرب الحالية ، الاعتماد

دون ما تردد على إدارة جميع طبقات الأمة في شرقي الاردن وعلى
تعاونها تعاوناً فعالاً الى مدى ما أوتيت من قوة ومورد .

إن حكومة جلالته تقدر تقديراً تاماً ان رغبة الشعب الاردني
تتجه الى وجوب وضعه على قدم المساواة مع شعوب الاقطار
العربية المجاورة ، ولهذا الغاية ترحب حكومة جلالته بعقد
معاهدة مع شرقي الاردن تتلاءم الى حد أقرب مع ظروف
الاحوال مما هي عليه اتفاقية سنة ١٩٢٨ .

انه لأسباب فنية يجب ان ينتظر للمفاوضة في معاهدة كهذه
الى نهاية الحرب ، ولكنه بالرغم من ان العلائق الرسمية بين
حكومة جلالته وبين حكومة شرقي الاردن ينبغي في الوقت
ذاته ان تستمر على ما هي عليه في الوقت الحاضر ، فإنه سيكون
غرض حكومة جلالته ان تفسر هذه العلائق تفسيراً فيه المراعاة
لقصدها هذا .

وتعرب حكومة جلالته عما يخامرها من الأسف لما حدث
من التأخير في هذه المسألة ، فإن هذا التأخير لا ينطوي على شيء
من عدم المجاملة نحو حكومة شرقي الاردن ، وإنما يعزى الى
انهماك حكومة جلالته انهماكاً كبيراً .

وزارة سمير باشا الرفاعي

بعد ان قام توفيق باشا أبو الهدى بأمرنا باعادة تأليف الوزارة
عدة مرات استقال بتاريخ ١٤ تشرين الاول ١٩٤٤ وخلفه في
منصبه سمير باشا الرفاعي فألف وزارته على الشكل التالي :

رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية والدفاع	سمير باشا الرفاعي
قاضياً للقضاة ووزيراً للمعارف وزيراً للداخلية	الشيخ فهمي افندي هاشم سعيد بك المفتي
وزيراً للمالية والعدلية	مسلم بك العطار
وزيراً للمواصلات	هاشم باشا خير
وزيراً للتجارة والزراعة	نقولا بك غنا

وذكرت هذه الوزارة في منهاجها ان المنهاج الاساسي الذي
وضعتة الوزارة السابقة (١) والذي كان من حسناته ضمان
الاستقرار لهذه الامارة السعيدة طوال سني الحرب وفي أخطر
أدوارها والذي كان محل الرضا من لدنا ، إنما هو بنفسه منهاج
الوزارة الجديدة .

(١) أي وزارة توفيق باشا أبي الهدى ، وكان سمير باشا الرفاعي أحد
أعضائها . .

وزارة ابراهيم باشا الثانية

وفي ١٨ أيار ١٩٤٥ استقال سمير باشا الرفاعي ، وفي اليوم التالي ألف ابراهيم باشا هاشم وزارته من أعضاء الوزارة السابقة باستثناء هاشم باشا خير الذي حل محله في مجلس الوزراء دولة توفيق باشا أبو الهدى وتولى وزارة الخارجية .

وأشار منهاج هذه الوزارة الى الحرب ، وأنها وإن تكن قد انتهت في أوروبا إلا أن أيام السلم تتطلب الكثير من الجهد والبذل وتدعو الى التساند والتعاون التامين للخصوص نهائياً مما خلفته الحرب من مشاكل وأرزاء ، ولا نجاح ما ارتكته من مشاريع إصلاحية ، وللحصول على ما ترقبه الأمة من استكمال استقلالها وتحقيق آمالها وأمانها في الوحدة القومية المنشودة .

وذكر منهاج ان الحكومة لا ترى عرض برنامج لما تعتمده من أعمال إنشائية ، وان من الخير ان تعلن الاعمال عن نفسها بنفسها ، وأن سياستها ستكون الحرص على التعاون الصلي مع دول الجامعة العربية والسعي لاتمام الاهداف التي رسمتها الثورة الكبرى .

وزارات ومعتد

بين توفيق باشا أبي الهدى والسير هنري كوكس

وعما هو جدير بالذكر في صدد وزارة ابراهيم باشا أنه قبل ان أعهد اليه بعأليف وزارته الاولى بعد إقالة الشيخ عبد الله سراج ، كان المعتمد السابق السير هنري كوكس عندما سألني عن خلف الشيخ ، ذكرت له اسم المرحوم حسن خالد باشا ، فلم يرعني إلا قوله : أرجوك أرجوك ، فاني لا أستطيع التعاون معه ...

وأنا لم أقل له حسن خالد باشا إلا لكلا يظهر عدم ارتياحه من ابراهيم باشا ، لأنني كنت سمعت منه عن فلان وفلان أنهما أصلح من يكون لهذه الرئاسة—وقد صار أحدهما وزيراً للداخلية ووزيراً للدفاع في وزارة توفيق باشا أبي الهدى وأما الآخر فلم يكن إلا نسخة ثانية عن هذا الذي لمحت اليه — ولم يعترض على ترئيس ابراهيم باشا هاشم ، فجاء للوزارة بنشاطه المعروف وصرف جهود الجسارة واستمر الى ان تغلب عليه اليأس ، حيث ضيق الميدان القيد الاجنبي الممل .

ولم تكن الحكومة الانكليزية تعرف هذا ، مع أنني لم أخف

معاعب رؤساء الوزارات من تدخل المعتمد السابق فيما ليس له فيه أي حق ، وقد أخبرت بذلك المندوب السامي سير شانسيور وأعلمت السير آرثر واكهوب . وأخيراً انتهت وظيفة السير هنري كوكس في عهد السير مكايكل ، وهي خير خدمة وقعت من مندوب سام لشرقي الاردن . على اني لا أقصد من هذا الخط من قدر السير كوكس ، فقد كان يحبني كثيراً ويخلص في عمله لاعتقاده أنه يسدي الخير للناس رغم أنوفهم .

ولما استقال ابراهيم باشا وجاء الى الرئاسة توفيق باشا أبو الهدى ، كذت أعتقد أنه يرضى بالتعاون معه السير كوكس واذا الامر على العكس ، فاني لما أردت تعيينه للسفر الى لندن يوم تعديل المعاهدة ، اعترض ورجح ان أعين ابراهيم باشا لهذه المهمة فأصررت على رأيي . وأوعز هو الى السير مكايكل ان يأتي ليحاول ان أغير رأيي ، فجاء وحدثني فلم أوافق .

وبين يدي سفر الباشا قال لي المعتمد : إن توفيق باشا أصبح لا يعتمد عليه . فقلت : عجيب !! ومن أخبرك بذلك ؟ إنه لدي في منتهى درجات الاعتماد .

وفي اليوم التالي حضر توفيق باشا ومعه المعتمد ، فقلت : سافر يا باشا وثق بانني معتمد عليك في كل أمر دق أو جل . وبعد خروجهما زار المعتمد الباشا واعتذر اليه وقال إنه يحب

ويهداه بالمعاونة النزهة .

وعند سفر رئيس الوزراء كفت بالغور وكان المعتمد عندي فقال لي : أسمح لي يا سمو الامير بان آخذ رسم توفيق باشا فمن الممكن ان لا يعود من انكلترا ؟ فقال له توفيق باشا : خذ رسمي ولكن من الممكن ان أعود فلا أجدهك هنا . وكان ذلك فجاء الباشا بالتوفيق وسافر المعتمد .

وجاءت الحرب ومضت ، وقد تعب فيها توفيق باشا كثيراً وانها لمهمة شاقة ، وان الباشا المشار اليه لمن خيرة رجال العرب ومن الاشخاص الذين اذا صادقوا صدقوا واذا عادوا لا يتسترون .

ثم استقال توفيق باشا ، ولما لم يقبل ابراهيم باشا الوزارة أحببنا توجيهها الى حامد باشا الوادي ، فخالت الظروف دون ذلك ، فأولينا ثقةنا سمير باشا الرفاعي وهو من نتاج شرق الاردن حيث تمرن وتقلب من عهد الركابي باشا الى ان نال الرئاسة وهو بالقرب من الرؤساء وايس بالبعيد منا ، ولكن كانت مدة وزارته قصيرة ، ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وإنا نلرجو من الوزارة الحاضرة المتحلية برئيسين سابقين ، التوفيق في كل الأمور ، وبالأخص في أمر الوحدة السورية

التي بها يتم استقرار بلاد العرب ودوام أمرها وسلامتها من
الاخطار السياسية ومما في التجزئة من وهن وضعف . (١)

المعتمدون البريطانيون

أبرامسون - فلي - كوكس - كبرايدي

بعد ان تشكلت الادارة في شرقي الاردن على شكلها المعلوم
برئاسة رشيد بك طليح ، عين مستر أبرامسون معتمداً بريطانياً
لدى هذه الامارة ، وكان على ما يظهر في العقد الخامس من سنه

(١) في أيلول ١٩٤٥ استقال توفيق باشا أبو الهدى وسعيد باشا المفتي
من وزارة ابراهيم باشا هاشم وحل محلها محمد باشا الشريقي وزيراً للخارجية
وعمر بك مطر وزيراً للمواصلات .

وفي شباط ١٩٤٧ رفع ابراهيم باشا هاشم استقالة وزارته الى جلالة الملك
فعهد جلالاته الى سمير باشا الرفاعي بتشكيل الوزارة فألفها على الوجه التالي :

رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية والدفاع	سمير باشا الرفاعي
قاضياً للقضاة ووزيراً للمعارف	الشيخ محمد أمين أفندي الشنقيطي
وزيراً للداخلية	عباس باشا ميرزا
وزيراً للمالية	سلمان بك النابلسي
وزيراً للعدلية	بشاره بك غصيب
وزيراً للمواصلات والتجارة والزراعة	عمر بك مطر

وهو رجل محترم وقور ، فكث في المعتمدية نيفاً وستة أشهر .

* * *

ولما حضر الكولونيل لورنس الى عمان ومعه حداد باشا للنظر في المعاهدة الحجازية الانكليزية ، بي وكيلاً للمعتمد الى ان تهيأت الاسباب فعين مستر فلي معتمداً بشرفي الاردن وهو معروف لدى العرب ، على شيء كثير من الاخلاص في البلاد التي يعمل فيها .

ومن جملة ما أذكر له — كفكرة ظريفة — في إحدى الليالي وقد كان في المجلس شخص طلب ان يكتب كل من حضر المجلس جملة أدبية في دفتره ، فكتب مستر فلي البيت المشهور لعبيد بن الأبرص :

ساعد بأرض ما دمت فيها ولا تقل أنني غريب

وهذا شاهد على ما قلت . وإن إخلاصه للملك عبد العزيز ابن سعود يكاد يفوق إخلاصه للملكة وبلده . وقد سافر معي الى لندن في السفارة الاولى ، ولم يأل هناك جهداً في القيام بواجبه ، ولقد كان بيننا أحياناً ما يكدر صفو الوداد لصلف يبدو منه ، ولقد كان هنا يوم شرف الوالد المرحوم شرفي

الاردن وحين البيعة بالخلافة ، ولقد حرص الناس وحضهم عليها.

* * *

ثم استبدل بالكولونيل كوكس ، وهذا الاخير له شخصية إدارية ، ولا يجب إلا ان يعمل مع أشخاص يرتاح اليهم ، وكان زمن بدنه عمله زمن حظ سيء لشرقي الاردن وللبيت الهاشمي من حيث هو . فمكث تلك المدة الطويلة ، ولولا الصبر والحكمة التي من الله بها علينا لكان الامتزاج معه من المستحيلات .

* * *

ثم عين أخيراً وبين يدي هذه الحرب ، المعتمد الحالي مستر كركرايد ، وهو من أصدقاء العرب القدماء ، حيث شهد الحرب السابقة في الجيش الشمالي برفقة الاخ الملك فيصل . وانه من أعز الأصدقاء لنا شخصياً ، فقد ظهر في وقعه الشيء الكثير من التفوق ، واستراح في أمر التعاون معه توفيق باشا ابو الهدى بمجموع وزاراته ، كما انه تعاون مع محمير باشا على تلك الوثيرة وهو الآن مع ابراهيم باشا صديقه القديم على تعاون ونزاهة . وكذلك كان في وكالاته عن المعتمد السابق . وإني لأرجو له من كل قلبي مستقبلاً حسناً وصحة وعافية .

المندوبون السامون

صمويل — بلومر — شانسلور — واكهبوب

مكمايكل — غورت

كنا تكلمنا عن أول مندوب عرفناه في فلسطين وهو السير هيربرت صمويل — الآن لورد صمويل — بما عرفناه عنه ، وأنه لمن الرجال الافذاذ الذين عرفتهم كوزير ورجل دولة ، وكتفان بحكمة في قوميته . وكانت الليدي صمويل مكرمة للضيف وقورة محترمة .

* * *

واللورد بلومر هو المندوب الثاني في فلسطين في عهدي ، وهو نبيل وقور كريم ، ومشير نقيم ، لطيف المعشر وصريح . وفي عهده أبرمت المعاهدة البريطانية الاردنية . وفي عهده أنقص عدد الجيش العربي ، وأخذت منه المدفعية وأنشئت قوة الحدود ولقد كنت نصحت بعدم فائدة هذه الاجراءات ، ولكن لعل

ذلك من ظواهر الانتداب . وانه لخير كثير حيث لم تقع هذه البلاد فيما وقعت فيه سوريا التي تعاني من الحكومة الفرنسية الى الآن ما تعاني . ولقد تعاونت مع اللورد بلوهر ، ولقد طاونني ضمن الحدود التي له ولي .

* * *

أما ثالث مندوب فكان السير جون شانسيلور وهو رجل حلیم مدقق . وفي عهده بدأ الشعور القومي ينمو في فلسطين ، وكانت اول المظاهرات والثورات واللجان البريطانية للتحقيق ، وحوادث البراق . وكان صديقاً حميماً لي .

* * *

والجنرال سير آرثر واكبوب هو الثاني من المندوبين السامين العسكريين . وكان كشرارة تتقد ، حسن النية جوالاً شاطرأ . وفي وقته كانت الثورة المعلومة في فلسطين . وفي وقته قيل عن التقسيم . وبهذه المناسبة أتساءل : هل يمكن لعامل في الدنيا القول بتهويد فلسطين؟! انه لمن خير اليهود ومن واجب الذين يحدبون على اليهود ان يقنعوا بما حصل . ولتقف الهجرة ولتستقل فلسطين عربية ولعكن الطائفة اليهودية لها ما لسواها من حقوق

لمواطنين فلسطينيين فان محاولة أي حل غير هذا فيه الكوارث
والخراب والدمار .

* * *

وحضر الى فلسطين بعد فتور الثورة العربية فيها السيرهارولد
مكايل كل مندوباً سامياً ولم يمض زمن حتى كانت الحرب الاخيرة
فشغلت الناس عن كل شيء . وفي الحق انه أحسن عمله في هذه
الفترة الخطيرة من الزمن . وان محاولة الاعتداء عليه من اليهود
تري الانسان من هو مكايل كل في نظر اليهود .

* * *

ولقد كنت أتوقع تولية اللورد غورت هذه الشخصية الكريمة
لهذا المنصب منصب المندوبية ، بعد ان تولى الدفاع عن جبل
طارق وعن مالطة . ولقد صدق الفعل الظن فهو المندوب
اليوم . وهو ثاني مشير بريطاني يشغل هذا المقام السامي . وهو
من النبلاء المعروفين بضرب به المثل في الشجاعة كجندي
وكتائد عظيم . وان التراجع العظيم الذي تولاها فأنقذ الجيش
للبريطاني في اول الحرب من دنكرك ، يريك من هو لورد غورت
وانه في مركز شديد الخطورة وفي بلد أموره شديدة التعقيد ،
يواجه العرب ومن ورائهم الاسلام في هذه الدعوة الصهيونية .
وإننا لنرى فيه خير رجل لهذا الوقت في فلسطين .

الجيش العربي الاردني

تأسيسه - نموه - برقيات تقدير من الجنرال كلارك

والمندوب السامي مكمايكل والجنرال ولسن

والجنرال باجيت

حينما تشكلت الادارة في شرقي الاردن ، جرى الحديث بين رشيد بك طليع والسير وندهام ديدز السكرتير العام لحكومة فلسطين ، عن تأسيس قوة لتأمين الأمن الداخلي في البلاد وعلى حدودها ، بعد ما دار من حديث بيننا وبين هستر ونستون تشرشل . وكنت رأيت لزوم تشكيل فرقة نظامية بما تحتاج من الصنوف العسكرية المقبولة حين ذلك من مشاة ومدفعية وخيالة ، وان تكون مركبة من ثلاث كتائب كل كتيبة مركبة من ثلاثة أفواج وكل فوج مركب من ثمانمائة نفر مع ما يتبع هذه الكتائب من مدفعية جبلية ومدافع ميدان ورشاشات ، وان يكون فوج فرسان مركب من الف وخمسمائة رمح او سيف او فلته (بنادق صفار) مع السيف او الرمح فقط .

ولما جرى البحث بين رشيد بك طليح والسير وندهام ديدز ،
لم تقرب الحكومة البريطانية الى تأييد هذا المرة معتلة بفداحة:
للمصاريف ، ولكنهما رضيت بان تضم القوة التي جاءت معي من
معان — وهي مركبة من متطوعين نظاميين — الى القوة السيارة .
— وهي قوة فرسان كانت موجودة في شرقي الاردن بقيادة
الكابتن بيك وهو (الفريق بيك باشا أخيراً) — ورضوا بان
تكون معها بطارية جبلية وان تتكيف من قوة درك في المناطق
الثلاث : عجلون والبلقاء والكرك ، هذا عدا قوة البوليس .

فدأب الكابتن بيك بصفته مفتش الجيش ، وساعده فؤاد
بك سليم وعبد القادر بك الجندي ومحمد علي بك العجلوني وغيرهم
من حضرات الضباط العرب . وكانت هذه القوة جديدة بالاعجاب
في سرعة تنظيمها وتدريبها وفي لباسها وسائر مقتضياتها .
ولقد قامت بواجبها أثناء حركة الكورة بسير جبري من
الكرك الى عجلون فوصلت سيراً على الاقدام في اربعين ساعة
وتمكنت من إرضاخ كليب الشريده ومن معه وانصياهم الى
القانون . ثم كانت موفقة ايضاً أثناء حركة البلقاء المعروفة
وبعدها .

وفي عهد الكولونيل كوكس يوم ان كان لورد بلومر مندوباً
سامياً وكان المستر سايمس سكرتيراً عاماً ، وبين يدي المعاهدة

الاردنية الانجليزية ، أنقصت من قوة الجيش العربي قسم المدفعية وأنشئت قوة الحدود وكانت هذه عملية غير متناسبة بالنسبة للقرارات الاولى .

ثم تعين كلوب بك قائداً لقوة البادية (١) بعد ان تحقق فعلا عدم ائتمار قوة الحدود على أي شيء يودع اليها في نواحي البادية وبشاط كلوب بك وبالقابلية الحربية في البلد وظهرت قوة البادية بالشكل الموجب للمفخر .

وبعد ان أسندت قيادة الجيش للقائد الحاضر ونشبت الحرب العالمية الاخيرة وتأيدت صداقة شرقي الاردن باخلاصنا لقولنا وعهدنا ، توسع الجيش العربي الحاضر فأصبح مفخرة للبلاد لا ينقصه من الاسلحة الجديدة سوى قسم الطيران والمدفعية الثقيلة . وان للفريق كلوب باشا الهمة والجهد المخلص في هذا الباب ، فقد قام هذا الجيش إبان مضاعفات الحرب بعملية مهمة في العراق وبمساعات قيمة أثناء طرد فرنسا الفيشية من سوريا .

* * *

وإنا نثبت فيما يلي البرقيات الواردة من القواد الانكليزي في هذا الصدد :

(١) الفريق كلوب باشا قائد الجيش العربي الأردني الآن .

يا صاحب السمو المعظم

الآن وقد رجع الفريق كلوب باشا وفرقة جيشكم العربي الى عمان بعد قضائهم ذلك الأمد القصير المظفر في العراق ، أجد لزاماً علي ان أسجل الشرف العظيم الذي تولاني بانضمامي الى رجالكم البواسل في المعركة . وليس ذلك فحسب وإنما تقديري الشديد لعملهم الباهر كجنود .

إن أعمال قوة الجيش العربي الناجحة في اجتياز الصحراء في مقدمة خطوطنا الميكانيكية وتدميرها لمواصلات العدو وقطعها السكك الحديدية ، وصيانتها لمواصلات أحد خطوطنا المسقطة من الهجوم الخلفي ، كل ذلك جعلني أقدر أياديها العسكرية العديدة حق التقدير .

إن تقدم تلك القوة وعزمها وبشاشة رجالها في شتى الاحوال بعثت في النفس أعظم السرور للانضمام اليها في ميدان المعركة .
 فاستحوالي يا صاحب السمو ان أهني سموكم على الفعالية التي قامت بها هذه القوة الممتازة ، وأملني الوحيد ان يسعدني الحظ فانضم اليها والى قائدها الشهير في الاعمال الحربية المقبلة .
 ولي الشرف ان أبقى خادم سموكم المطيع .

عن قيادة قوات الحبانية : ١ حزيران ١٩٤١
 الميجر جنرال جورج كلارك

صاحب السمو الملكي الامير عبدالله — عمان
بمناسبة عودة قوة البادية من العراق أحب ان أبعث الي
محموكم بأحر تهاني على العمل الباهر الذي قامت به بقيادة قائدها
وجميع الضباط والرجال في الواجب النبيل لاستعادة الحرية
والحكومة الدستورية .

مكايل

١٩٤١-٦-٣

* * *

صاحب السمو المعظم أمير شرق الاردن

هل لي ان أعرب لسموكم عن تقديري وشكري للخدمات
القيمة الباسلة المعازاة التي قامت بها قوة البادية من الجيش العربي
وقائدها في العمليات التي أنجزوها في العراق بمؤازرة الجيش
البريطاني وسلاح الجو .

الجنرال ه. م. ولسن

١٩٤١-٦-٤

* * *

الى صاحب السمو الملكي الامير عبدالله المعظم — عمان
لقد قامت أمس قوة البادية الاردنية في السخنة بقيادة كلوب
باشا باعظم عملية فاجحة ، فقد أسرت ثمانين أسيراً وست سيارات
مصفحة واثنى عشر متراليوزاً . فأقدم لسموكم تهاني مشفوعة

بكل احترام على روح العمل وصفات القتال في قوائكم .

الجزال هـ . م . ولسن

٢-٧-١٩٤١

* * *

صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن الحسين أمير شرقي

الأردن

يا صاحب السمو

بمناسبة الانتهاء الظافر للحرب في أوروبا ، أشعر بانك من واجبي ان أقدم الى سموكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الجيش البريطاني في الشرق الاوسط تشكرا تي الخالصه على الخدمات الجليلة التي قدمتها شرقي الأردن والجيش العربي للقضية المتحدة . إن البسالة والثبات اللذين أبداهما سموكم في السراء والضراء طيلة سني هذه الحرب الطويلة كانتا محل إعجاب القادة البريطانيين في الشرق الاوسط .

إن موقف سموكم كان بدون ريب الملمح لجنودكم ، وعندما كانت بريطانيا في سنة ١٩٤١ في موقفها الحرج ، وقف الجيش العربي وقفة صادقة بجانب حلفائه البريطانيين . وقد قام جنود سموكم بدور هام في عمليات العراق وسوريا ، ولولا مساعدتهم في عمليات العراق لكان من الممكن ان تتخذ هذه العمليات شكلا

آخر . وانه لما يؤسف سموكم ايضاً كما انا متأكد بان
 الفرصة لم تتح لجنود سموكم بالاشتراك في العمليات الحربية في
 اوروبا . إن بقاء قواعد الشرق الاوسط في قبضة الحلفاء كان
 على كل حال عاملاً رئيسياً في كسب الحرب ، وان جنود سموكم
 في هذه السنوات الخمس قد لعبت دورها الهام في هذا الواجب
 الحيوي .

إن نظام الجيش العربي قد استوجب احترام القادة البريطانيين
 الذين كان هذا الجيش يعمل تحت إمرتهم . وقد كانت علاقاتهم
 بالجيوش البريطانية دائماً علاقات الزمالة العسكرية المخلصة .

وإني أود بان أبين تقديري لموقف الصداقة والمساعدة الذي
 وقفته حكومة سموكم والشعب الاردني تجاه القوات البريطانية
 التي كانت في البلاد . وإني على يقين بان روابط العطف والزمالة
 التي وجدت في وقت الحرب بين الجيش البريطاني والشعب
 الاردني ستستمر ان أثناء سنوات السلام التي نأمل انها أمامنا .

لي الشرف ان أكون خادم سموكم المطيع .

باجيت

٨ أيار ١٩٤٥

فتنة العراق

بيان للشعب الأردني — ملاحظات في رسالة الى الجنرال
ولسن — برقية من الوصي على عرش العراق — خطاب
في الجيش — رسالة من نوري السعيد والجواب عليها

ولمناسبة ذكر فتنة رشيد عالي الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١
أود ان أثبت هنا البيان الذي كذت أذعته في شعبي الاردني
العزير في ذلك الظرف العصيب :

بيان الى الشعب الاردني الكريم

لقد علمتم بما يجري في هذه الآونة في بلاد العراق الشقيقة
من حوادث مؤسفة ، نشأت عن ان فتنة اغتصبت سلطة الحكم
في هذا القطر العزيز قد رغبت في اتباع سياسة خاطئة ترمي الى
تعريض هذا البلد العربي الكريم الى الإقلاق والفتن وسلامته
واطمئنانه الى الفوضى والاضطراب .

ولقد كفت اول من انتابه الحزن والأسى لوقوع هذه
الحوادث المؤسفة في قطر كانت الامة العربية باجمعها ولا تزال

تعتبره المثل الحي للاستقلال الكامل الذي ما برح أمنية البلدان العربية الاخرى تسعى اليه بجهود قومية موفقة ان شاء الله .
ولكن الغموض الذي رافق هذه الحوادث في بدايتها وما تفضيها به الدعايات الخبيثة المعرضة من أفكار السوء والفساد والفتنة كل ذلك لم يساعد الرأي العام على الوقوف على حقيقة هذا الموقف الطاريء الذي أرادت تلك الدعايات السامة ان تروج به مقاصدها الهادمة لاستقلال العراق وحرية وتسميم الافكار العربية جمعاء .
وانني بالنسبة لما أشعر به نحو العراق الشقيق من عواطف الحب والولاء الشخصية ، فضلا عن روابط الاخاء الصادق التي تربط هذه الامارة به وفضلا عن خدمة البيت المالك في البلدين ، قد رأيت من واجبي ان أذيع على شعبي الكريم بياني هذا لأعلن لهم فيه ان الحركة القائمة هناك أدت الى نزوح حضرة صاحب السمو الملكي الوصي على عرش العراق تبرؤاً مما جرت به هذه الفتنة على العراق من ويلات ومصائب كما جاء في بيان سموه الذي أذيع على الشعب العراقي بعزمه للصادق على العودة الى العراق إن شاء الله مرجعاً لتلك البلاد استقلالها وسيادتها وطمأنينتها إن شاء الله .
وكما علمنا من تصريحات وزير خارجية بريطانيا العظمى المستر إيدن ، فإنه ليس في نية الحكومة البريطانية الانتقاص من حقوق العراق الاستقلالية وسيادته بأي صورة من الصور وليس

بينها وبين الشعب العراقي أي اختلاف او عداة . هذا وان
العزم منصرف الى إعادة الحالة الطبيعية والود الحقيقي بين الامتين
الحليفين ، وإني موقن بذلك كل الايقان إن شاء الله تعالى .
فلايضاح الحال وتنوير الازهان أعلن هذا لشعبي الكريم .

عمان في ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠

الموافق ١٦ أيار ١٩٤١ « عبدالله »

* * *

ثم أرسلت وأنا في اربد في ١٨ أيار ١٩٤١ الملاحظات
التالية الى الجنرال ولسن :

الى سعادة الجنرال ولسن

١ — مساعي الالمان الافسادية في بلاد العرب وكيف
نستطيع إحباطها .

٢ — تجلّي للعيان ان الالمان قد توقفوا في مساعيهم في

العراق .

٣ — تبذل هذه المساعي بكل قوة في المدارس والكليات
بسوريا ومصر وفلسطين وشرقي الاردن .

٤ — تبذل هذه المساعي بين العمال في كل محل يوجدون

فيه .

٥ — إن إذاعات الراديو في فلسطين ومصر تساعد على

تلك المساعي باذاعة ما يظنون أنه لهم واذا به عليهم . مثال ذلك ذكر نزول الطائرات المعادية بسوريا والعراق ، فهذا يجعل الناس يظنون ان الالمان يستطيعون عمل كل شيء .

٦ — يجب سرعة ضرب الاعداء في العراق باسرع ما يمكن .

٧ — بقاء الجيش البريطاني بالصحراء بين الرطبة والفلوجة وبالبحيرة دون تقدم ، أمر لا أرضاه ، وأرى انه يقوي الحصون ودعاياتهم .

٨ — الحالة في سوريا تأتي بالدرجة الثانية بعد العراق . وانني أرى الحكمة في سياسة حكومة جلالته بالنسبة الى حليفها السابقة فرنسا ، ولكن أعتقد جازماً بان العملية التي قامت بها ضد أسطول فرنسا في وهران يجب ان تطبق حالا في سوريا . لذلك أرى انه أولاً يجب طلب كل دبابة وكل سيارة مصفحة في سوريا وكل طائرة وتسليمها لجيش جلالته او حجزها تحت ضغط قوات بريطانية او نقلها الى بلد محايد كتركيا مثلاً ، على ان تبقى الادارة في سوريا في أيديهم — أي الفرنسيين — واذا لم يقبلوا فيجب الدخول الى سوريا حالا ، حيث من المقرر إعلان وحدة العراق وسوريا بتعويض من الالمان . وانه من المقرر جلب جنود الالمان بالطائرات وتسليم كل الاسلحة الفرنسية من آلية

وغيرها اليهم ، وحينئذ ينبغي على حكومة جلالته ان تعاني
متاعب إيجاد قوات عظيمة هنا وفي فلسطين مثل قواتها على
حدود ليبيا .

٩ — يجب إعادة روح الصداقة في العراق وسوريا بين
العرب والانكليز حالا بالقضاء على المتمردين وفق ما شرح أعلاه .

١٠ — إنني متزعج لعدم وقوفي على الحالة السياسية والحركات
العسكرية في حينها ، ومتزعج لامكان تغفل الدعاية المعادية الى
بلادنا اذا طال المدى . إنني في وضع عادي ، أي كأنه وليس
في الدنيا شيء عامل غير عامل تخير بلادنا وأصدقائي . وربما
يلاحظ ان شيوع مساعداتي تغضب ملكاً من ملوك العرب ،
ولكن أرى أنه قد لا تكون هذه الملاحظة مفيدة في هذه الاوقات
الحرجة . وانني أطلب ان أكون سيد بلادنا الأمين لخلقنا
والقائم بوظيفتي قبل فوات الفرص .

١١ — ليس لي ما أقوله في مسألة التحكيمات المقامة من
اربد الى سال ، والاخرى في ناحية المرق ، غير ملاحظتي بان
المسافة بينها عظيمة جداً ومن الممكن للعدو المفروض اجتياز
ما بينهما ليلاً .

١٢ — ألاحظ ان هذه التحكيمات لا تكون ضامنة النتيجة
إلا اذا كان جبل الدروز في يد الجيش البريطاني ، فإنه اذا كان

هذا الجبل على حاله في أيديهم ففي إمكان الاعداء دخول البلاد
من شرقي المرق فالزرقاء فوادي الاردن فضفاف الشريعة — ان
شاء — أو من عمان او من وادي الزرقاء ومنحدرات جبل
عجلون .

* * *

ولما أخدمت فتنة العراق وانهزم مثيروها الهوج ، وعاد الملك
والوصي الى مقرهما تلقبت من سمو الوصي البرقية التالية :

حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الامير عبدالله المعظم —
بحمد الله ورعايتكم انتهينا هذا اليوم من حل مشاكلنا وقد
تألفت الوزارة برئاسة نخامة جميل المدفعي ، وما أخرنا عن ارسال
برقية إلا انتظاراً لتصفية جميع الامور لتكون البشرية التي أرفعها
لسيدي كاملة ، لأنني أعلم كما يعلم غيري ان ما يعنيننا يعنيكم اكثر
من أي انسان ، وما ذلك إلا لحنوكم الابوي وكونكم الأساس
المتين الذي ترتكز عليه عائلتنا عند الشدائد والحن ، وليس من
المستبعد ان نستتير بهدي من عركته الايام وصقلته التجارب .
وبالخطام أتمنى لمولاي وللغرب جميعاً أياماً كلها عز وسؤدد .

عبد الأله

٣ حزيران ١٩٤١

* * *

وبقار يخ ٩ جمادى الأولى ١٣٦٠ الموافق ٤ حزيران ١٩٤١
 عادت قوات الجيش العربي الاردني من عملياتها الموفقة في العراق
 فألقيت فيها الكلمة العالية :

مرحباً بالقوة الموفقة ، مرحباً بالقوة الظافرة المطيعة ،
 وشكراً لها ولقائدها .

لقد عدتم من مهمة دقيقة مثلتم فيها الوفاء وواجب الطاعة
 والاخلاص للبيت الهاشمي .

لقد عدتم بعد ان قتم مساهمين في إطفاء هذه الفتنة أحسن
 مساهمة فيورك فيكم وفي عملكم .

لقد وصل الوصي الى بلاده وعدتم أنتم الى بلادكم وكلا
 البلادين بلاده وبلادكم . وعلى ان أنبئكم باننا جميعاً في طريق
 وحدة كنا نرجوها وقد منقها اولئك القدين طردتموهم من العراق .

استعدوا دائماً للقيام بما يطلب اليكم كما استعد أجدادكم
 الذين كانوا مع أجدادنا ، واحذروا الفتن ودعاتها واحذروا
 أهل الدس والتفاق .

لقد عدتم والوجوه باسمه مشرقة ، لقد عدتم وأنا راض عن
 عملكم كل الرضا ، فأنتم نفرنا وعليكم بعد الله اعتمادنا .

فليحى الجيش العربي الباسل ولتحي قوة البادية الظافرة
 ولتصل الامة العربية الى أمانها القومية بفضل الله وكرامة

رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبحسن مؤازرة حليفنا بريطانيا
العظمى ، ولنف لها كما وفيت لنا ولنساعدنا في مهمتها العالمية
الشاقة بكل شهامة واهتمام .

والآن أوجه الى قوة البادية الباسلة المحبوبة وسام النهضة
العالمي الشأن من الدرجة الثانية ، مرفوعاً على هذا العلم الذي
أسلمه اليكم لترفعوه عالياً ، ولتدافعوا تحت ظلاله عن مجدكم ،
كما أنني قد أصدرت إرادتي بصنع سيف ذهبي مرصع يهدي الى
قائدكم تقديراً لعمله وشجاعتكم .

* * *

ولقد تلقيت من نوري باشا السعيد الرسالة التالية :

سيدي ومولاي صاحب السمو الملكي

بعد التشرف بلم اليدين الكريمتين والابتهاال الى الله جل
وعلا بان يطيل عمر مولاي ويقرن أيامه الغر بالعز واليمن .
أعرض ، أنني أرى من واجبي — وقد عدت الى العراق — أن
أعرب عن عظيم تأثري وعظيم اغتباطي بالعطف السامي والفضل
العميم اللذين شاه نبل مولاي ان يغمرنا بهما في أثناء إقامتنا في
الشرق العربي في الآونة الاخيرة .

والواقع ان ما لقيناه من سموه الملكي في أثناء الفتنة المؤسسة التي اجتاحت العراق في تلك الآونة ليس سوى حلقة جديدة من سلسلة أفضال سموه التي تتابعت علينا خلال بضع السنوات الاخيرة المكتظة بالاحداث والارزاء ، فكانت خير بلسم لجراحنا وأسطع نبراس أنار طريقنا في المراحل المظلمة التي اجتزناها وافضل مشجع لنا على مجابهة المصاعب المختلفة ومعالجة المشاكل المتنوعة التي اعترضت سير البلاد نحو أهدافها السامية ومثلها العليا التي اختطها لها البيت الهاشمي العظيم وتولى قيادتها ليها .

وإذا كان قلبي عاجزاً عن التعبير عما أشعر به نحو عطف مولاي من التقدير والامتنان ، فاني مطلق لساني بترتيل آيات الشكر والامتنان ومتوجه بقلبي الى الله تعالى سائلاً إياه ان يجزي مولاي عنا خير الجزاء وان يقر عينيه بتحقيق آمال الامة العربية التي وقف عليها جهوده ، فيجلي عن آفاقها سحب الظلمة والابهام ويبدل ذعرها أمناً وشكها يقيناً وأمانها حقائق ويمهد أمامها سبل المجد والفلاح .

وأنتهز هذه الفرصة لتقديم عظيم احترامي وخالص أمانتي للامراء الكرام ، سائلاً المولى ان يقر بهم عيني سموه وان يديمه ذخراً وملاذاً للامة العربية ، وليفضل مولاي بقبول فاتح

احترامي وتعظيمي .

العبد المخلص

بغداد في ١٥ حزيران ١٩٤١

نوري السعيد

فأجيبته بالرسالة التالية :

عزيزي نوري باشا

لقد تلقيت بانامل السرور رسالتكم الكريمة المؤرخة في ١٥ حزيران ١٩٤١ والصادرة عن بغداد ، ولقد قدرنا ما جاء فيها من جمل وكلمات حق التقدير ، وانه من كان له مثل سابقكم في الحجاز في حروب الثورة من بابها الى ان بلغت نصابها فخري ان يكرم وييجل متى كان لذلك التكريم والتبجيل سبب وسبيل .

أما وجودكم لدينا قبل قدوم سمو الوصي وأثناء وجوده هنا فهو منكم عمل فذ لا يقوم به إلا كل شهم محب لوطنه . فقد برأكم الله من كل ما ألم بالعراق في تلك المدة من خراب وتدمير على أيدي الأئمة الاشرار ، سواء من كان من أهل العراق او ممن حرضهم أعداء الكمال والاستقرار من فراز الاقطار بفلسطين وسوريا . والله أسأل ان يعيدنا جميعاً من شر كل هزاز مشاء بنميم مناع للخير معتد أنيم .

« عبد الله »

رغدان في ٢٤ حزيران ١٩٤١

ونستون تشرشل

وبريطانيا العظمى والعرب

أود ان أتكلم عن هذا الرجل الذي قام في الحربين بما يدهش العالم ، وبالسياسة التي سار عليها في وزارة لويد جورج في القضية العربية يوم ان كان وزيراً للمستعمرات .

ونستون تشرشل ، سعد بريطانيا وحظها ورجلها الفذ في العصر الاخير ، قيص له ان ينجو بالمملكة المتحدة وبالإمبراطورية بما يشبه المعجزة . لقد تحمل هذا الرجل عبء المسؤولية وهو يعلم ما عليه . لم يجهد ما كانت عليه ألمانيا من استعداد عظيم مفاجي ، وما يكنه صدر كل ألماني من حقد على بريطانيا في الدرجة الاولى قبل سواها . كذلك لم يجهد تشرشل ما كانت عليه المملكة المتحدة من عدم استعداد جرته عليها الوزارات والبرلمانات البريطانية السابقة ، منذ سقوط وزارة لويد جورج حتى وزارة تسميرلن ونشوب الحرب الاخيرة في عهدها .

ولكم حذر قومه من ألمانيا ، ولكم خطب وكم أنب ،

فشاء الله القدير ان يقع هو تحت عبء ما حذر قومه منه وينجو
 بريطانيا وبالعالم على الشكل المعلوم ، وبعد المحن والمشاق التي
 مرت على الانكليز في هذه الحرب الضروس. ولكن لولا الانكليز
 وإخلاص كل انكليزي وانكليزية لوطنهم ولولا سعيهم وجهدهم
 ومثابرتهم ، فما الذي كان يستطيع ان يعمله تشرشل؟! ان
 انكلترا بلد كفى لتحمل كل علة وكل كارثة مفاجئة ، غير ان
 تشرشل أثبت انه الكفو لقيادة هذه الامة الواعدة القاسية المترفة
 الناعمة الشجاعة ..

فانكلترا وحدها ، ورئيس وزرائها ونستون تشرشل وحده
 هما اللذان مثالا للعالم مثال الوطنية والصبر والجهد عن الحق ،
 وبذل النفس والاموال لسلامة الوطن وعز القومية وصيانة
 الشرف ، فحازت الامة البريطانية عن جدارة واستحقاق فار
 الظفر وفاز تشرشل بالقيادة المشرفة لهذه الامة .

إن في تراجع دنكرك مثال الشجاعة والصبر ، وإن في هجوم
 الاسطول البريطاني على وهران ، وفي تدمير الاسطول الايطالي
 في معقله ، وفي عمل ويفل وهزيمة غرازياني ، وفي القضاء على
 الجيوش الايطالية في الحبشة والارتريا ، وفي الاستعدادات في
 بريطانيا لتلقي الغزو الالاماني ، وفي شجاعة وتضحية سلاح

الطيران الملكي في الدفاع عن بريطانيا ، وفي الهجوم على الاعداء
 في كل محل ما يثير الاعجاب والدهشة . مع العلم أن هذه الاعمال
 المجيدة ليست في ميدان واحد ، بل هي واقعة في ميادين مترامية
 متناثرة في بحار الله وأرضه ، تلطم أعداءها حيث ترام وفي
 حيث تجدهم بشجاعة وتمكين متزايدين .

تالله إنها لمن المعجزات المحيرات !.. وإن في وقوف بريطانيا
 تقاتل المحور البطاش وحدها قبل ان تدخل أميركا الحرب باعتماد
 اليابان عليها وقبل ان يحارب هتلر روسيا ، القول الفصل لمن
 يقول كلمة الحق في انكلترا ورئيس وزارتها . وما نبي عنان
 الغزو الالمانى الى روسيا إلا عنف الدفاع في بريطانيا وظن الزعيم
 الألماني ان المخرج في روسيا ، وما النصر إلا من عند الله .

ومستر تشرشل هو الذي حضني على ان أسعى لأخي فيصل
 في ان يكون ملكاً على العراق ، فأحل في شرقي الاردن وأعمل
 بالحسنى لاستعداد وحدة سوريا ، وهو الذي سعى كل السعي
 في ان يحل الوئام محل المحصام بين الوالد المرحوم وابن سعود .
 وإنني في هذه الكلمة أطوي شعوري عن الزعيم وهذه الامة
 التي تتعامل مع العرب .

فيا أيها العرب ! إعلموا ان في مصاحبة انكلترا وجوب

الاستعداد وفي مخالفتها ما عجزت عنه الامم الكبار . وحاذروا
 فان انكلترا لا تقم لأحد وزناً إن لم يكن كفواً ، وانكلترا
 لا تصاحب الكذوب ولا الجبان ولا النوام ، وانكلترا لا تبني
 سياستها على العاطفة ولا على ما قدم لها من مساعدة في حلف ما
 او حرب ما ، بل هي أمة المثابرة والدوام تحترم القوي وتحب
 ان تفضله اليها وتكره التخاذل وتبتعد عنه . فكونوا أقوياء
 حذرين أوفياء يقظين ، تكن معكم بريطانيا وتوليكم اعتمادها .
 ونحياتي وإعجابي وأحسن تمنياتي لبريطانيا العظمى ولملكها
 ولزعيمها تشرشل .

عج

حقيقة الوضع في البلاد العربية

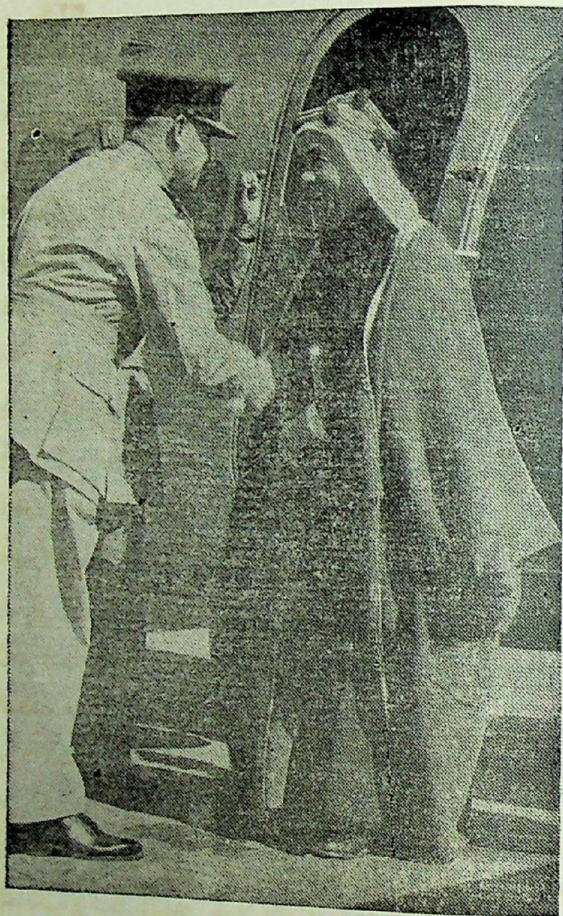
استعراض واضح وصريح للموقف العربي العام
 التضافر السوري اللبناني النجدي وتشجيع السياسة العليا له
 موقف مصر موقف الوسيط في تنفيذ سياسة مجهولة
 وجود نجد في الحجاز هو عقدة العقدة

هل هذا الوضع الحاضر ابن شرعي لجهاد النهضة العربية ؟
 العراق والأردن الهاشميان وموقفهما لزاء هذا الوضع

بالنظر لما يجري اليوم من أحداث ومحاولات ، وبالنسبة
 لأن الفكر القائم الآن قد يخرج السير العربي نحو استعماله من
 طور الى طور . فمن واجب الأمانة وضع مبادئ الثورة العربية
 الكبرى ومبانيها في هذا البيان لاطلاع صاحب السمو الملكي
 الوصي المعظم ورئيس وزراء العراق ووزير خارجيته ورئيس
 وزارته الفخام على ذلك .

الأمة العربية ذات التاريخ وصاحبة الماضي المجيد والتي نزل
 على نبيها القرآن ، والتي فتحت المشرق والمغرب في أقل من
 ربع قرن وجاءت بالاصلاحات الدينية والمدنية وبما يقتضيه الاخاء
 الانساني ، أمة لا يجوز ان تكون مستعمرة مستعبدة ، لأنها
 بطبيعتها أمة قائمة مستقلة هادية . أما كونها قبلا في ظل حكومات
 غير عربية ولكنها مسلمة فقد جاء عن رضوخ تلك الأمم للتعالم
 الاسلامية والاخاء المحمدي . فاذا سادت تعاليم القرآن وعمل
 بالسنة فالعربي حينئذ سواء عنده أكان سلطانا عربياً أم كان
 ينتمي الى غير العرب من المسلمين . لذلك كانت الامة العربية
 تنظر الى سلاطين الاسلام بما أعطاه الله من شرف خص به
 النبي العربي عليه الصلاة والسلام .

على أنه لما جاء العصر الاخير والذي قبله ، حدث شيء من
 التحور زلزل تلك الرابطة الجامعة بين العربي والعجمي . فمشور
 التنظيمات الخيرية الصادر في عهد السلطان محمود الثاني كان اول
 مرقة للخروج على التعاليم العربية المستمدة من قرآنها وسنة نبيها
 الى الشكل الغربي الغريب الذي لم يفهمه منتحلوه أنفسهم . فكانت
 النكسات والاختلافات والتعثر في السير والتلاكو في العمل ، ومن
 ذلك تحوير شكل الجيش والادارة فجأة والقضاء على العسكرية
 الينيشارية وإيجاد الجند المسمى « بالنظام الجديد » ، وحوادث



جلالة الملك المعظم يهبط مطار بغداد

مورة التي استخدم فيها الجيش المصري بأمر من السلطان الى
والي مصر محمد علي باشا آنذاك ، وما كان هناك وفي كربت
من فواجع وخاصة على الاسطول التركي المصري في ناوارين ،
ثم صدور الامر السلطاني الى والي مصر بالتوجه الى الجزيرة
العربية أيام محمد بن عبدالوهاب ، وقد حدث ذلك ، وتكفل الجهد
المصري بالنجاح في الحجاز ونجد وعسير حتى صنعاء .

بعد ذلك تراهى لوالي مصر الوهن في الجسم العثماني فانتقم
الى سوريا والاناضول وكانت هزيمة الجيش العثماني المشهورة
أمام الجيش المصري . ثم كان تدخل روسيا وانكلترا في الأمر
وإرجاع الجيوش المصرية الى مصر مخلفة الاناضول وبلاد العرب
باجمعها ، وإرضاء والي مصر بان تكون ولايته فيه وفي أعقابه
باسم والي مصر وبفرمان سلطاني ، ومشى به الامر كذلك حتى
زمن الخديوي اسماعيل الذي حصر الارث في نسله على أصول
الوراثة في الممالك الاوروبية وسمي « الخديوي »

وكانت هذه الظاهرة اول صبغة عربية استقلالية بدت في
مصر عقبها محاولة الشريف عبد المطلب بن غالب — الذي كان
أميراً على مكة بعد الشريف محمد بن عون رأس الاسرة الهاشمية
الحاضرة والصديق الحميم لمحمد علي باشا والي مصر — فقد انتهم
ذلك الشريف القرصة السانحة بسبب الحرب الروسية العثمانية

المعروفة بحرب القرم ، فحاول إعادة استقلال الحجاز اليه إلا أنه لم يوفق الى ذلك .

وعند الانقلاب العثماني الاخير الذي أعيد بسببه الدستور العثماني سنة ١٢٩٣ تحولت الحاكبة السلطانية الى حاكية ملية محصورة في العنصر الذي منه السلطان ، وغدت سائر العناصر والأقاليم تبعاً للعنصر الحاكم ، وشرع في تركيب العناصر الاخرى لتغيير صبغتها القومية ودفع الخطر عن السلطنة الدستورية التركية الشاعرة بوجود أجناس أخرى في الامبراطورية هي أكثر عدداً وتدين بالاسلام . وأخذت الاحزاب المختلفة والأندية المتعددة لكل أمة تتشكل وتتكيف وتناضل عن حقها وتطالب ، وكان الضغط من فرقة الاتحاد والترقي التركية في الانتخابات للبرلمان العثماني كي لا ينجح في عضوية البرلمان إلا من كان تركياً او اتحادياً . عند ذلك شعر العرب وشعر معهم بقية الأقسام الاخرى ممن تتكون منهم الامبراطورية أنهم في خطر الزوال فحدثت الثورات في بلاد الارناؤوط وفي جبل الدروز وفي الكرك ، وتولى إخماد الثورة العربية سامي باشا الفاروقي المعروف وكانت الثورة في عسير وقد أخمدها امير مكة الشريف الحسين ابن علي ، وثورة اليمن وقد أخمدها المشير عبدالله باشا وأتم أمرها المشير عزت باشا .

وكان الشريف مغمساً حينذاك بالرابطة العثمانية ، يفضلها ويرى بقاءها وبؤثرها على انهيار وتصدع لا يعرف مداها ولا تؤمن عاقبته ، الى ان بلغ الصلف الاتحادي ذراه وشوهد ان أمر انفصال العرب عن الاتراك الذين تعادوا وتهوروا وازدروا كل ما سواهم أمر لا بد منه . فطالبت سوريا بادرة لا مركزية واستولى ابن سعود على الاحساء وانفق الامام في اليمن مع الاتحاديين على شكل معين ، وشهد الامر بين السيد الادريسي والترك على طريقة خاصة ، وكانت هذه اول مرقة ايضاً الى الانفصال والقلوب مفعمة بالعداء ورجال الدولة من الاتحاديين يحرقون الأرم على كل عربي نابيه .

ثم ترامت الوفود الى الحجاز من القطر الشامي ، وعرضوا على الشريف في مكة ما الناس فيه من سوء حال ومستقبل مظلم مع الظلم والاضطهاد والنفي والابعاد ، حتى جاءت الحرب السابقة وجاء جمال باشا بسلطانه وعدوانه الى دمشق ، فضاقت الارض بما رحبت وخاف بأسه كل عزيز وذليل . وفي غضون ذلك كانت مذاكرات القضية العربية بين الشريف وبين رجال الاتحاد والترقي تجري بالمخابرة أحياناً وأحياناً بواسطة الامير فيصل بن الحسين ملك سوريا أخيراً وملك العراق فيما بعد ذلك . وكانت المكابلات تدور من الناحية الاخرى مع بريطانيا العظمى لايجاد

الحلول الموصلة العرب الى حقهم الاكبر فيما اذا أخفق العرب
والترك في الاتفاق .

وقبلت بريطانيا العظمى مساعدة العرب بقيادة شريف مكة
لا يصالهم الى استقلالهم وتحريرهم من نير الاتراك والالمان في
كافة البلاد العربية ، ما عدا الساحل الغربي من ولاية الشام
— أي جبل لبنان — فقد كان الرأي المتقرر في مكة عدم
إكراه لبنان على ما لا يرتضيه وأن له الحرية التامة في ان يسعى
لنفسه ما يشتهي ، وما لبنان في البلاد العربية الا عون لها مع
أية صبغة يكتسبها .

ويدل التجديد المتقدم على ان ساحل حلب والساحل الفلسطيني
معترف بهما للناحية العربية . واستتفت بريطانيا الامارات العربية
التي لها صلات عهدية مع حكومة الهند ، وهي إمارة آل سعود
في نجد وإمارة الكويت وإمارة البحرين وسلطنة مسقط وعمان
وسلطنة حضرموت ولحج ومستعمرة عدن والنواحي الست التي
على حدها مستثناة ... لم يستثن من الحركة العربية سوى ما
ذكر أي بلد . فاليمن وعسير وإمارة حائل في عهد ابن رشيد
والعراق كله وسوريا ، هذه تعهدت بريطانيا العظمى ان لا
تعقد أي صلح مع تركيا وألمانيا قبل ان يتم تحريرها .
وعلى هذا بنيت الثورة العربية لايجاد دولة عربية واحدة

برأسها ملك واحد وترمي الى هدف واحد . وكانت الامة حينذاك مستكملة الشروط الضامنة لقيامها على قدمها ، وكانت لها متصرفية فلسطين وولاية بيروت وولاية حلب وولاية سوريا وولاية بغداد والموصل وولاية البصرة وولاية الحجاز ، تلك المجموعة من الولايات الغنية بشبابها ورجالها من ملكيين إداريين وعدليين وقضاة شرعيين ومن امراء عسكريين من أعلى الرتب الى أصغرها ، وكانت الجيوش العثمانية العربية مركز أحدها دمشق ومركز الثاني بغداد ، وفي الحجاز الرجال الذين حملوا عبء هذه المسؤولية العظمى متمكين على الله وعلى الاخلاص والامانة في الامة وعلى الوفاء من حليفهم بريطانيا العظمى .

وما ان ألفت الحرب أوزارها حتى عاد أناس من العرب الذين كانوا يخدمون الاتراك بالانفاق مع حزب الاتحاد والترقي واختلطوا برجال الثورة العربية في هذه الانحاء واختطفوا منهم زمام التوجيه فعملوا على استقلال سوريا والعراق . وكان عهد سايكس بيكو وجاءت الانتدابات على موجبها ، فكافحوها وأوجدوا الميثاق القومي الذي نص على حدود سوريا من أولها الى آخرها ميثاقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ثم جاءت الضربة الفرنسية وأخرج الملك ونكست الاعلام فتخبطت سوريا بعد ان أضاعت مركزها العالمي الرفيع وتقسمت .

كما هو معروف الى سوريا ولبنان الحاضرين للانتداب الفرنسي
وفلسطين وشرقي الاردن الحاضعتين للانتداب البريطاني ، وجاء
التحديد الحاضر بين أجزاء هذا البلد الواحد على هذه الكيفية
ولهذا السبب ولقيام الانتدابين .

وبعد ذلك كانت الحركة الوهابية الاخيرة التي أدت الى
خروج العائلة الهاشمية من الحجاز بعد جهاد وجلاد أدى فيه
البيت حقه لبلاده المقدسة وحرص على ان لا تصبح الامة العربية
متحيرة لا رأس لها يجمع كل أجزائها ، ليتابع مسؤولياته في
الاحتفاظ بحقوقها .

ومن المعلوم ان بريطانيا العظمى كانت متعده بان لا تسمح
لأي واحدة من الامارات والسلطنات العربية التي لها صلات عهد
بحكومة الهند في ان تعرقل مساعي الثورة العربية او تقف
معاكسة لها حتى تتم واجباتها القومية . وقد أوقفت الحكومة
البريطانية اعتداءات الوهابيين على المملكة الهاشمية في الحجاز
اكثر من مرة ، وأخيراً في مؤتمر الكويت ، ولما لم يتوصل الى
اتفاق حينذاك كان ما كان مما حصل فسقط الحجاز . وبسقوط
الحجاز أصبحت القضية العربية منقسمة الى قضايا مشتتة بين
يمن ونجد وعراق ، وإمارة وجمهوريات في سوريا ، وبلاد
متدب عليها فلسطين . ومن المقتضى عدم إغفال بيعة الناس في

مكة لصاحب النهضة بانه ملك البلاد العربية وأنه ضربت السمكة النقدية بهذا الاسم .

نستعرض هذا ليوضح انه من الخسران العظيم على الامة العربية ان تظل التجزئة فيها تحت اسم استقلالات واهنة ، تجعل كل جزء من هذه الاجزاء غير قادر فعلا واقتصاداً على حفظ كيانه ان لم يعد بمجموعه الى كيان واحد ، واضعين أمام الامة هذه الحقائق خشية فوات الوقت ومخافة العمل على دوام هذا الشكل بهذه الاسماء التي لا تلبث ان تعصف بها أعاصير السياسة فيأتي الندم حين لا ينفع الندم . وأي خسران على رجال الثورة اذا رأوا ان عملهم الانفصالي لم تكن له نتيجة سوى تجزؤات لمنفعة أشخاص وعدم ظفر الامة بما كانت ترمي اليه من مجد موحد وحق تاريخي . فواضح إذن كما نرى ، ان ايجاد هذه الدويلات في الشام من حدود مصر الى العراق الى تركيا هو تقسيم ضار بمصلحة العرب ، وانه التحديد الذي أقامه شكل الانتدابين وانه هو الذي كلفه الوطن ووقف في وجهه . فان قبلنا هذا التقسيم وأقررناه فكأننا رضخنا لما كانت الامة رفضته وستكون حاجتنا واهية واهنة إزاء مطامع اليهود وأنصارهم ان طلبوا مثل ذلك في فلسطين .

ومن هذا يتبين ان البلاد العربية التي لا تزال في يد ورناء

الثورة من رجال البيت الهاشمي وأشباعه هي العراق وشرقي الاردن وأن عليهما واجبات وتبعات من المقتضى ان تنظرا اليها بحقيقتها والاعتراف بها بالنظر للحقائق الآتية وهي :

١ — الاقرار بان سياسة إعلان استقلال سوريا والعراق عند انتهاء الحرب السابقة وفصلها عن الحجاز ، قبل ان يتم الصلح بين تركيا وأعدائها وقبل ان تتنازل الحكومة التركية عن حقوقها في هذه البلاد لهذه الامة ، كان من أكبر الاخطاء .

٢ — الاعتراف بان استقلال سوريا والعراق وانفصالها عن الثورة العربية والملك الواحد هو الذي جرت الانتدابات على هذه البلدان .

٣ — الاعتراف بان إقرار التغيير في البيت المالك للحجاز هو إزالة الرئاسة الواحدة للبلاد الواحدة وان كل هذا ليس في مصلحة الامة العربية باجمعها .

وعليه خلاصة ما هو واقع الآن من دعوة الى وحدة ، أمر لا يعرف منشأه والغاية منه . إلا ان هنالك مساعي خفية يجب البحث عنها والثور عليها . فمسألة إيجاد وحدة عربية واتحاد عربي مسألة موهومة خطيرة . ففلسطين لا تزال محل إصرار لاتمام آمال اليهود فيها ، ولا تزال تحكم حكماً مباشراً من انكلترا . وسوريا ولبنان وان كان يقال أنها قد استقلا استقلالاً

ذا سيادة وان لديهما وزراء مفوضين من دول كبرى ، فانه مع هذا يقال عنها أنهما لم يزل عنهما الانعذاب الفرنسي بشكل حقيقي وهذه نقاط ارتكاز ان دلت على شي " فعلى التشكيك والارتياب. وكذلك فشرقي الاردن الموعودة بصورة صحيحة الى الوصول الى مصاف اخواتها مرجأ أمر تحقيق ما طلبت الى ما بعد الحرب فهي مقيدة الحرية نوعاً . ولا تزال المملكة الحجازية منضمة الى نجد ، وهي عقدة العمد لدى البيت الهاشمي وعقدة العمد لدى العالم الاسلامي باجمعه في حجه وزيارة قبر نبيه ، إذ أنه محظور على هذا العالم الكريم من ان يقوم بواجبات معتقداته كما يريد ، وان الاقلية المتعصبة المتحكمة فيه ليس لها في قديم الاسلام ولا جديده من فضل وهذا لا يذفي ان يففل أمره .

وانه لا ندري بالنظر للمسائل المتعلقة بين انكلترا ومصر فيما يتعلق باحتلال مصر فيما بنوب الجانيين في السودان . ثم أنا على جهل تام من درجة تحقيق أماني الوحدة او الانحاد وما يملكه رئيس وزراء مصر من وعود سرية يعلمها هو من لدن انكلترا وأمريكا الى أي حد هي . فاذا وقع أي إشكال بين الدول الغالبة التي لها منذ الحرب السابقة يد قوية على البلاد العربية ، فهل سيسمح للمؤتمرين ان ينفذوا ما سيقررونه أم لا ؟ لذلك ، فانه من واجب بغداد وعمان السعي للسير على سياسة-

هاشمية موحدة مع بذل المساعي للقضاء على من يريد إخراج القضية العربية عن مبادئ النهضة الأولى ولا سيما في القطر السوري الذي قد قام به تفاهم سعودي سوري لبناني خطير ، و صرف الجهد لاجتماع أنصار الثورة مرة أخرى بهذه الديار وإعادة الدعوة الهاشمية بها . هذا فيما يخص العراق والاردن ، وأنه يجب عليهما لفت نظر النحاس باشا الى ان يطلب باسم المؤتمر من الحكومة العربية السعودية إيجاد إدارة دستورية وحكومة مسؤولة بالحجاز قائمة على هذا الاساس ، لتأمين الرقي واستكمال أسباب الدفاع وتأمين حرية المذاهب في البلاد المقدسة حتى تتمكن الحكومة النجدية من اكتساب ثقة العالم الاسلامي .

ولذلك ايضاً فإنه من واجب الساعين للاتحاد او الوحدة إظهار الرغبة في ان تكون المملكة اليمنية تحوز شيئاً من الاصلاح العصري ، مع شكر جلاله الامام على أنه احتفظ بهذه القطعة المباركة بشكلها الحاضر سالمة نقية ، وأنه ينبغي تدريبها لكي تستعد لتنظيم خطاها فيما بعد مع أخواتها .

ولذلك ، ولئلا يقع أي فشل في هذا الجهد ، فمن الممكن عقد اتفاقات ترمي الى وحدة عسكرية في نظامها ووحدة مالية من حيث النقد وقيمتها ، ووحدة ثقافية ، ووحدة اشتراعية

في غير الحجاز ، ثم ايجاد عهد دفاعي لدرأ أي خطر قد يقع على أي قسم من هذه الاقسام ، وأن تم هذه في سنين معينة بعد التداول . ومع هذا فلا ينبغي منع هذه الاقسام من ان تنضم متحدة او موحدة كلها او بعضها متى شاءت وفي أي لحظة أرادت .

وانه ينبغي وحدة العمل وبناء وحدة عقيدة يدافع عنها الجميع أثناء الخروج من الحرب الحاضرة الى حالة السلم ، وما يمكن ان ينجم من وراء هذا من أضرار تلحق بالبعض او الكل ، مع الدعوات الطيبة وتمنيات الخير للامم العربية وملوكها وزعمائها الكرام .

الوحدة العربية وكيف مزقت

لماذا كان الجيش الشمالي العربي يلقي كل مساعدة !؟

حال غربية تمخضت عن جمهوريتي سوريا ولبنان المستقلتين !

فلسطين وأحزابها واليهود فيها وضياع الحجاز من أجلها

الجامعة العربية اسم كبير ودعاية

تعليمات لمدوبي الأردن في مشاورات الوحدة بمجلس الجامعة

وحدة سوريا قبل أي اتحاد عربي آخر

مزقت الوحدة العربية بسبب الانتدابات . كانت مساعي منوري سوريا في عهد الدستور العثماني طلب إدارة لا مركزية ، وقد جعل دعايتهم مركز دعايتهم باريس في أوروبا ومصر وفي الشرق . ونظراً للضغط التركي كان العطف على هذه المزايم في كل بلد عربي مرئياً ظاهراً ، فجاءت الحرب العامة فاستغلت وقامت الثورة العربية .

ولما تبين ان الحركة العربية ثابتة ، جاء سايكس وبيكو الى جدة ومعها الملك فيصل . فكان ما تذاكروا فيه — مما خفي علي الى الآن — غير ما كتب الي الوالد عنه وأنا بوادي العيص وهو قوله :

حضروا فأبدوا لنا ما أرادوا فأجبناهم بما ألهمنا الله وقد عادوا وعاد أخوك .

ومنذ تلك المذاكرة في جدة والجيش الشمالي العربي الذي يقوده الملك فيصل كان ينال كل مساعدة وتأييد من الانكليز والفرنسيين ، بينما باقي جيوش الثورة في الحجاز كانت لا ينالها من المطر الا الرشاش . وتبين ان هذه الجهود تنصرف لايجاد قوة تسند جيش النبي من يمينه ، وتبين ان المحادثة كانت لايجاد سوريا مستقلة عن الحجاز ، وايجاد دولة عراقية مستقلة عن الحجاز أيضاً .

وبعد ان جلت الجيوش العثمانية عن بلاد الشام الى ما وراء حلب ، ظهر عياناً ان سفر الامير فيصل الى اوروبا باسم رئيس الهيئة العربية في مؤتمر الصلح إنما هو أمر ظاهر . والحقيقة هي انه كان يعمل بين لندن وباريس للاتفاق على ايجاد مملكة سورية مستقلة عن الحجاز ، وفي إنزال الراية العربية عن بيروت في اول الهزائم التركية ما يشير الى صحة ما ذهبنا اليه .

هذه السياسة هي التي مزقت وحدة العرب وملك العرب . فلما تم ذلك و كانت البلاد ترغب شيئاً والذين يريدون الرئاسة والحكم يهجزون عن الحصول على ذلك الشيء — وهو استقلال البلاد الحقيقي — جاء التبليل والتردد مع عدم الاستعداد ، وعملت المصائب ما أشير إليها .

ثم لما وقعت الواقعة دخلت فرنسا وفر المتروسون ، وهكذا سقطت سوريا وجاء الرجال الذين ترأسوها تحت إمرة المفوضين السامين الفرنسيين من رؤساء الحكومة ورؤساء الجمهوريات ، الى ان جاءت الحرب الاخيرة وهزمت فرنسا واستسلمت وجاءت حكومة فيشي وسيطرت وجاءت اللجان الألمانية الايطالية ، فاضطرت انكلترا الى التدخل لسلامة نفسها قبل كل اعتبار فأدخلت معها ديفول ومن معه ، فكان للانكليز فرنسا والالمان فرنسا أخرى . أما العرب فظلوا ينظرون مصعوم مستسلمين .. ووقع ما كان منتظراً .

وبعد ان تم إخراج فرنسا الفيشية قيل ان ميدان الحرب بعد عن الشرق الاوسط ، وأن لا مانع من إعادة الحياة الدستورية الى سوريا ولبنان مع الاعتراف باستقلالهما . وقد جرى ذلك تحت ضمانه بريطانيا كما يعرفه الناس .

و كانت الانتخابات وجاء البرلمان السوري وجاءت الجمهورية

الحاضرة ، ثم حصل ما حصل بين هذه الجمهورية وفرنسا ،
وتدخلت انكلترا لتأمين الأمن فكبلت أيدي الفرنسيين وأرخت
الحبل بيد الحكومة السورية وأوصت الطرفين بالتقارب ، وأنها
تريد نفاذ استقلال سوريا ولبنان ، ولا تنكر مركز فرنسا
الممتاز في البلدين .

أما فلسطين فلا تزال تعجبط تحت شهوات أحزابها . فالعرب
في تأخر واليهود كل يوم يستزيدون أرضا يملكونها . ولقد
أدهشني ما رأيت بينما أنا في طريقي من جنين الى اللد من مستعمرات
اليهود ، فالساحل كله من حيفا الى يافا أصبح بأيديهم ، وقد
عمروا تلك الرمال واستخرجوا مياها وأحيوا مواتها وجعلوها
جنات عدن وألجأوا العرب الى الجبال القاحلة . ولا تزال الاحزاب
العربية تناضل عن الشخصيات الذين على أيديهم خربت البلاد ،
بعد ان كان لمسامي هؤلاء التأثير الكبير في سقوط الدولة الهاشمية
في الحجاز . لأن الدفاع السلبي غير المتقن الذي اتبعه جلالتهم
تحت تضييقهم قد أدى الى سقوط الحجاز . وفي كل هذه
الامور العبر .

أما الجامعة العربية ومركزها بمصر ، فأمر خطير للغاية ..
إسم كبير ودعاية عريضة طويلة ! واجتماع ممثلين ليس لهم من
الاتصال بالرغائب القومية ولا بوسيلة من الوسائل ! وكل دولة

من دول الجامعة مرتبطة بدولة أجنبية كبيرة لا تتمكنها من
التصرف خارج الالتزامات المتعهد بها ، والامم العربية وملوكها
في منعزل عن ذلك ! فاعتبروا يا أولي الابصار .

* * *

واننا نثبت هنا ما كنا أوصينا به توفيق باشا أبا الهدى ثم
صهير باشا الرفاعي ، لدى سفرهما الى مصر للمشاورة في مسألة
الوحدة العربية :

عزيري توفيق باشا :

- ١ — أطلعكم نخامة نوري باشا على ما يجب مما كان أساساً
للمذاكرة بين الرئيسين المصري والعراقي في صدد الوحدة .
- ٢ — إن ما أطلعنا عليه مما جرى بين رفعتة ونخامته هو
غاية ما يمكن ضمن تلك الدائرة .
- ٣ — إن شرقي الاردن تؤيد هذه المساعي المحمودة بكل
تصميم .

٤ — لقد عني المرحوم الملك حسين بالبلاد العربية ، تلك
البلاد التي تحدها من الغرب الحدود المصرية والبحران الابيض
والاحمر ، ومن الشمال الولايات التركية ، ومن الشرق الحدود

الإيرانية ، مستثنية الامارات والسلطنات التي لها صلات عهدية بحكومة الهند — وهي الامير ابن سعود يومئذ وأمير البحرين وسلطان مسقط وسلاطين حضرموت ولحج — أما ولاية اليمن العثمانية ومتصرفية عسير وولاية الحجاز وإمارة شمر — وهي إمارة الرشيد ومركزها حائل — فكلها ضمن البلاد العربية المقصودة . فلا يخرج الا اولئك الامراء والسلاطين الذين لهم صلات عهد بالهند كما ذكر ومستعمرة عدن البريطانية والنواحي الست .

٥ — لقد جاء في التحفظات البريطانية ذكر الساحل الغربي من بلاد الشام كرسين وأضنه ، وقد رضي المرحوم باعتبار مرسين وأضنه ليستا بهريتين محضاً .

٦ — وبما ان البلاد الفلسطينية والسورية ساحلا وداخلا كانت الهدف من الثورة ، فهي القضية التي ينبغي إذن الخروج منها بوحدة شاملة او باتحاد تعاهدي . فبالعنى الاول جعل المجموع حكومة واحدة بصيغة واحدة وفق ما جاء في قرار المؤتمر السوري في ٢ تموز ١٩١٩ والمبلغ للدول ذات العلاقة يومئذ من لدن الحكومة الفيصلية . وبالعنى الثاني اتحاد تعاهدي يبي الحكومات الاقليمية كما هي ويضمها في أمور تتعين لربط أجزائها بعضها ببعض تحت رئاسة واحدة .

٧ — إن الاتحاد المعمول به اليوم والمرتكز على مصر والعراق لا يكون محكما قبل ان تتحد البلاد الشامية (سوريا الطبيعية) او ان توحد . واذا بقيت هذه البلاد منقوصة السيادة تحت انتدابات أجنبية او نشئت محلي ، فأمر تمشيها مع مصر والعراق يكون من الضعف وعدم التماسك بصورة تجعلها تعجز عن القيام بما يجب عليها في هذا المضمار .

٨ — من المعتقد ان بريطانيا العظمى والأمم المتحدة على أثر عهد الاطلمطي وبنتيجة ما أنبتته الحرب الحاضرة ، لا بد وأن تكون قد عازمت هي ومن معها على تصحيح غلطات الحرب السابقة ، وعلى بناء الديموقراطية بناء صحيحاً يجعل الأمم الشرقية في منزلة الاستقلال والشرف القومي والاستعداد واصلة الى الكفاءة الجديرة بالاعتماد عليها لحفظ السلام العام على طول الساحل الشمالي لأفريقيا والساحل الغربي لفلسطين وسوريا . ولذلك فالمعتقد ان أمر الوحدة متى عولج بطريقة صحيحة متساندة من العراق ومصر ، بعد الاصرار الكلي على وحدة سوريا واتحادها ، سوف لا يجعل هناك مصاعب يواجهها العاملون على الاتحاد العربي إزاء انكلترا او أميركا . أما الانتداب الفرنسي فوقف فرنسا الحاضر هو بنفسه يقرر أن قيام فرنسا بعبء كهذا مرة أخرى ليس من الممكنات ، وان عرب سوريا الكبرى

مصممون على وصولهم الى حقوقهم في بلاذهم ، وتلك الحقوق هي الاستقلال والوحدة والاتحاد ، وان هذه النتيجة ضرورة حيوية عسكرية للعراق ولتركيا ومصر في آن واحد .

٩ — أما القضية الفلسطينية فقد أعلنت بريطانيا العظمى سياستها فيها في الكتاب الابيض الذي لم تنقضه الى اليوم ، وليس بد من إدخال فلسطين في الاتحاد او الوحدة ، وأن هذا الإدخال لا يتنافى مع أي حل كان قد قدم من أية لجنة بريطانية أو فدت لهذا او من أي مؤتمر عربي قدم اقتراحاته في هذا الصدد ، ومن الممكن الاعتماد على قرارات مؤتمر لندن بهذا الشأن او على مقررات المؤتمر البرلماني العربي الذي عقد في مصر .

١٠ — وأما لبنان فلا مانع من جعل الخيار له في الوحدة او الاتحاد مع كل هذه البلاد العربية واحتفاظه بما يريد من شكل وكيفية . على ان مسألة لبنان الكبير هي من جملة الحقوق السورية التي لا ينبغي إغفالها . وأما السودان فكما معروف مصرية بريطانية . وأما شمال أفريقيا فمن المستحسن التوصل للتفاهم مع حضرة صاحب الجلالة السلطان لمراكش ومع حضرة صاحب العظمة باي تونس . أما ليبيا وطرابلس فأمرها حتى يحين الحين ، وان الأمل في ان يكون لليبيا كيان عربي مشكوك فيه . وأما مصر فمع كونها اسمها مصر فهي من أمهات البلاد

العربية وهي الكنانة وهي التي لها من الصلات القديمة والروابط القومية ما لا يمكن التبرؤ منه والعياذ بالله . فبلاد العربية ترحب بالاتحاد بهذا القطر العزيز بكل قواها وتشيد بذكر الساعين اليه وعلى الأخص زعيمها المحترم .

إنني أؤيد بكل جهدي مساعي مصر والعراق ، وأصر على أن على مصر والعراق السعي لوحدة سوريا او اتحادها قبل أي اتحاد عربي آخر . فلتكن مذاكرات نخامتكم مع رفعته على هذا الاساس . واننا ننيركم بهذه التعليمات ونترك مسألة ما يمكن ان يتجدد من أبحاث الى فطنتكم ورويتكم المعروفتين .

حاشية : فيما يتعلق بنجد والحجاز واليمن ، أرى أن لا يلح عليهما فيما لا يستأنسان به ، مع جعلهما على وقوف عما يجري فيما لا يعده العراق ومصر ومن مهمهما سرأ لا يزال .

رغدان في ٢٣ شعبان ١٣٦٢
الموافق ٢٤ آب ١٩٤٣

* * *

عزيزي سمير باشا

هذه تعليمات لفخامتكم فيما يتعلق بمهمتكم في مؤتمر وزراء

الخارجية العرب بمصر .

١ — أقرهوا السلام دولة ماهر باشا والنقراشي باشا ،
وليعلموا اني محتفظ لدولته ولعاليه بأرق شعور المودة وأحاسيس
الأخوة .

٢ — أقدر تمام التقدير الشعور العربي العام بخصوص
الوحدة العربية . وقد نظرت باهتمام الى البروتوكول الذي هيئه
مؤتمر الاسكندرية . ومن المعلوم ان الوحدة العربية اذا حصلت
تكون الاساس المتين للعرب في آسيا وأفريقيا وفي البلاد
الاسلامية كتركيا وايران والافغان . إن هذه الوحدة متى
اقتربت بالحري والسيادة والعسكرية غير المقيدة ، كانت خير
عون للديمقراطيات في كل موقف وفي كل أزمة . وإذا قلنا
الديمقراطيات فنحن نعني بها كل دولة قديمة ديمقراطية لها أغلبية
كبرى من القبة المسلمين ، تلك الحكومات التي مشت مع التاريخ
الاسلامي من القرن المسيحي السابع الى اليوم .

٣ — من المعلوم أن النهضة العربية عند نجومها ، كانت
البلاد العربية موحدة بمجموعها خديوية مصر بالنظر لسلطة
السلطان العثماني ، وليست هناك حواجز جمركية او موانع تتعلق
بموازات السفر ، وقد كانت وحدة تعليمية .

٤ — إنه لما جاء الدستور العثماني وتسلمت فرقة الاتحاد
والترقي على الدولة العثمانية ومشت نحو تترك العناصر وإخراجها

عن صبغتها القومية وعدم الاعتداد بمرامي الشريعة السمحة
المحمدية ، والثورات في اليمن وعسير ، والمطالبة في سوريا بإدارة
لا مركزية .. كل هذه الدوافع ساقط العرب الى الرغبة في
الانفصال عن هذا الجسم العتيق الواهي ، وكانت النهضة وهي
الحركة العربية الثانية التي تلت حركة محمد علي باشا والي مصر
الذي وصل بجيوشه الى قونيا لهذا الغرض نفسه .

٥ - فان كانت الحركة الاولى جرت الى حيازة مصر
العزيزة ما حازته من تخلص من تلك اليد ، فان الحركة الاخيرة
العربية أدت الى عين النتيجة نفسها في البلاد . ولم يكن يتصور
ان هذه الحركة تخرج الى تفتت وتفرق يقع على أثر انتهاء الحرب
العظمى السابقة ذلك التفرق الذي تسعون جميعاً اليوم لجمعه .

٦ - ومن هذا يفهم ان الامر دقيق وخطير ، غير أننا
نعتمد بحسن النية في الجميع . فالبيت الهاشمي الذي تزعم هذه
الحركة التي لها صلة غير منفكة بتاريخ محمد علي باشا الكبير وبتاريخ
الشريف محمد بن عون صديق ورفيق محمد علي باشا ، يضع نصب
عيون اعتباركم مسؤولياتها في تحقيق مرامها . ونلت الانظار
الى حالة التقسيمات الحاضرة لتنظروا اليها بعين حقيقتها ، فليست
البلاد العربية اليوم حرة بعيدة عن الايدي والانظار التي لها
مقاصدها الكبرى اليوم غير ما كانت عليه قبل عصر المطامع في

الغاز والمعابر الى البحار الكبرى يجعل هذا الشرق في دقة ورقة مخيفتين . فاذا رأينا الى ما لمصر من إدارة وتشكيلات وما للعراق كذلك من وحدة وتهيئة ، لا نرى هذا في الحجاز ونجد ولا في سوريا باجمعها . وإن لمصر من المعلومات والاخبار عن حالة الأمة الحجازية ما يغنيننا عن الشرح ، ولديها أيضاً من الاخبار والمعلومات عما للقضية الصهيونية والانتداب الفرنسي بسوريا ما يغنيننا عن الاشارة الى ذلك . وإن لكل بلد من المجموعة الافريقية وآسيا من المسائل المتعلقة غير المحلولة ما يلفت النظر . والوقت ليس بوقت تشكيك بل هو وقت إئتلاف وتضامن نزيه يوجب الاعتراف بما هنا وهناك من أدواء قومية وأجنبية واجبة الاصلاح . لذلك تتقدمون الى المؤتمر وأنتم على علم من هذا لنقله الى رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية بمصر وأن الاعتقاد في مصر أنها تقف موقف الأخ المحامد الجامع الناس للخير ، وهذه فكرة العراق الشقيق . والسلام عليكم .

رغدان في ٢٩ صفر ١٣٦٤

الموافق ١٢ شباط ١٩٤٥

(١) امتيازات البترول في الحجاز

هل للنازليين في البلد المقدس أن يخلوا بقدسيته ؟!

عزيزي سير هارولد مكايكل

عز علي ان أسافر الى العراق قبل ان أراكم ، ولعلها الظروف حالت دون زيارتكم لأربد فجرش ، حيث كان في الامكان ان أراكم في أثناء تلك الزيارة . والآن يسرني ان أودعكم كتابة حيث أنني عزمت على السفر إن شاء الله يوم السبت القادم الموافق ٨ نيسان ١٩٤٤ ، وأملني ان أعود بعد عشرة ايام أقيمها هناك .

عزيزي سير هارولد : أنا لا أدري كيف أبدأ فاكذب أفكارني الذاتية اليكم ، في الموضوع التالي الذي يهم كل مسلم ومسلمة على وجه الارض ، ويهمني ويشغطني معهم وزيادة عليهم لأنه موضوع يتعلق بوطني المقدس ووطن أجدادي الى اسماعيل

(١) رسالة من صاحب المذكرات الى المندوب السامي مؤرخة في ١٢ ربيع الثاني ١٣٦٣ الموافق ٥ نيسان ١٩٤٤

ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام .

لقد شاع لدى الرأي العام أن امتيازات للبحث عن البترول
والعبر قد أعطيت لشركات أميركية في الحجاز ، بمهد الذهب
— وهو محل يقع في الوسط شرقي المدينتين المقدسيتين مكة
المكرمة والمدينة المنورة — وقد أوجدت هناك محلات للسكن
ومراكز للاشغال ربطت بالساحل في البحر الاحمر . وأنه
علاوة على ذلك قد أسس نخيم لشركة أميركية لتشغيل الذهب
والنفط غربي جبل رضوى على طريق يذبح البحر الى المدينة المنورة
ونخيم آخر بموقع بريمان شرقي جدة وشمال طريق جدة الى مكة
المكرمة ، وان الشركة تمد طريقاً في منطقة غامد وزهران
الى جنوب الطائف .

ومن المعلوم ان المنطقة (من مدينة صالح الى حدود اليمن بما
فيها متصرفية عسير ، من الشمال الى الجنوب الى حدود إمارة
حائل وهي شرقي نهما وشرقي الحناكية في خط يمتد فيدخل حرة
كشب ، الى شفا نجد فيتك للبحجاز وادي الحرمة وتربة ووادي
بيشه من ناحية الشرق ، ثم ما يصاقب هذا الحد من مداين صالح
فحدود اليمن من ساحل البحر) هي منطقة مقدسة لا تفتح لعدل
ما ولا لقصد ما غير أعمال التعبد للمسلمين ، من حج وعمرة
وزيارة . فهي بلاد الهدوء والسكينة وطرح الاوزار والتفرغ

لعبادة الله وأداء الواجب ، وقد بقيت هكذا في العصور
الاسلامية باجمعها .

وإنني أقول : إذا كان جلالة الملك ابن سعود قد احتلها
ونزل بها ، فليس لجلالته ان يدخل بقديستها او يغير طقوسها
ويدخل الى ساحة قديستها عمالا يعملون لدينام فيغيرون أخلاق
سكانها ويصرفونهم عن وظيفة المجاورة للبلدين القديسين فتصبح
مجالاً لأعمال الدنيا التي تخلق راحة الذين يؤمنونها من أقطار العالم
لطرح الاوزار ونسيان الدنيا والخروج بالتوبة من الآثام .

أكتب هذا اليكم كسلم وكأمير هاشمي ، يقول هذا هو
الحق الذي أرجو رفعه لرئيس الوزارة البريطانية الانم ليعلم ما
يهم أهل الاسلام في محل عباداتهم وقبلتهم وقبر رسولهم ، فهو
إذ يعلم هذا لا شك أنه سيعمل على اجتناب ما فيه قلق العالم
الاسلامي من ناحية رقيقة دقيقة .

أما جلالة ملك نجد فربما لم يبلغ علمه ما أعرف ، حيث هو
جديد فيما هو فيه ، وهو وان كان اليوم الأمين على الحرمين
فليس له ان يتصرف فيهما وضمن حدودهما بما يدخل بقديستهما
المحضة القديمة .

راجياً وزن افكاري بميزان بري من كل قصد غير الحقيقة ،

وعرضه بامرع الوسائل حسبما ذكرت .

إن الموضوع لمهم ، وإنه متى انتهت الحرب وعاد العالم الى السلام فرأى وسمع ، فسيكون لهذه الامور الخفيفة ضجتها المزعجة في العالم الاسلامي ولا سيما في الهند . وإن ما أكتبه لهو مبني على حسن النية والاخلاص للمسلمين والدولة البريطانية التي لديها منهم العدد الوافر ، وللملك ابن سعود نفسه وقد كتبت اليه عن الموضوع ما يجب .

وتقبلوا شعوري الودي عزيزي .

عبد
المنعم

مشروعاه حل المسألة السورية

سوريا الطبيعية بوجه خاص والمسألة العربية بوجه عام

وحدة سورية واتحاد عربي

او دولة سورية اتحادية واتحاد عربي تماهدي

بناه على وعود بريطانيا العظمى للعرب سابقاً ولاحقاً ،
ونظراً لعجز الحكومة الافرنسية الشرعية عن القيام بواجبها
الموقته عن جمعية الامم في سوريا وزوال تلك الوكالة حكماً
بسقوط أهليتها القانونية ، ونظراً لتمتع سوريا باستقلال ودستور
شرعيين ، وبالإشارة الى ما صرح به وزير الخارجية البريطانية
المستر أنطوني ايدن أخيراً بشأن الوحدة العربية ، أرى من
مقتضيات ذلك بل من مقتضيات تسهيل مهمة الديمقراطيات في
الشرق الادنى وإعادة توثيق الصداقة العربية — البريطانية
التقليدية وضمان الثقة والاستقرار الحقيقي في البلاد العربية المحررة
منذ الحرب الماضية ، أن يصار حالا الى تنفيذ أحد المشروعين
الآتين :

المشروع الأول

الوحدة السورية (الدولة السورية الموحدة) والاتحاد العربي

- ١ — إعلان الحلفاء تأييد استقلال سوريا بحدودها الطبيعية واعتبار وحدتها القومية والجغرافية أساساً لنظام الحكم فيها .
- ٢ — يكون هذا الاعلان تأييداً في الواقع لمصلحة البلاد ولرغبة الشعب السوري التي أبدتها عقب الحرب الماضية وفي جميع المناسبات وسجلتها لجنة الاستفتاء الاميركية (لجنة المستر كراين) في حينه ، كما إن المؤتمر السوري الذي انعقد بدمشق ممثلاً سوريا المحررة بجميع أقاليمها — أي سوريا الشمالية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين — قد أعلن ذلك في قرار ٨ آذار ١٩٢٠ المبلغ الى الدول وجامعة الأمم في حينه ، معبراً في قراره التاريخي هذا عن إرادة الشعب السوري الحقيقية ، ذلك القرار الذي ما زال هو الميثاق القومي لجميع السوريين ، والحكومة السورية الحاضرة ما زالت تعتبر يوم إعلانه عيداً رسمياً ، كما إن العلم الرسمي الذي أنشأه لسوريا ما زال هو العلم الذي يظل حكومة شرقي الاردن .

٣ — إن مشروع الدولة السورية الموحدة يتضمن :

(أ) الاعتراف بدولة سورية مستقلة وذات سيادة يكون نظام الحكم فيها ملكياً دستورياً .

(ب) تضم الدولة السورية الموحدة (سوريا الشمالية وشرقي الاردن وفلسطين ولبنان) .

(ج) يكون لكل من فلسطين في بعض مناطقها ولبنان القديمة إدارة خاصة بمقتضى الدستور ، يلاحظ في الاولى منها حفظ حقوق الأقلية اليهودية ومركز الاماكن المقدسة الخاص ، وفي الثانية صيانة امتيازات لبنان القديم .

(د) يلقى وعد بلفور لعدم موافقة العرب عليه وهم أصحاب البلاد الشرعيون ، او يفسر تفسيراً يزيل مخاوف العالمين العربي والاسلامي فيكتفى بالوضع الراهن وهو نسبة الثلث الى الثلثين وتمنع الهجرة اليهودية .

(هـ) تصان المصالح البريطانية والاجنبية في الدولة السورية الموحدة بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

٤ — رئاسة الدولة السورية :

يدعى سمو الامير عبدالله بن الحسين لرئاسة الدولة السورية بالاستناد الى الاعتبارات المشروعة الآتية :

(أ) حقوقه الشرعية الثابتة في الامارة الاردنية وهي جزء مهم من أجزاء سوريا الكبرى .

(ب) مضاهمته سابقاً ولاحقاً بمهونة الحلفاء مهونة فعلية ، وقد اشتملت هذه المهونة على الساحة السورية في الحرب الحاضرة

(ج) كونه الوريث الاول لحقوق والده المغفور له جلالة الملك حسين في رعاية الحقوق السورية بوجه خاص والحقوق العربية بوجه عام .

(د) وعد الحكومة البريطانية له برئاسة الدولة السورية بلسان رئيس وزرائها الحالي المستر تشرشل منذ عام ١٩٢١ وزوال موانع تنفيذ ذلك الوعد بهد انهيار الدولة الافرنسية وسقوط وكالتها القانونية عن جمعية الامم وبهد ان أصبحت بريطانيا العظمى تملك حرية العمل في الاراضي السورية على اختلاف أقاليمها .

(هـ) رغبة السوريين بالحكم الملكي الدستوري في حالة تحقيق وحدة البلاد العامة او اتحادها المركزي .

٥ - الاتحاد العربي

حال إعلان تأسيس الدولة السورية الموحدة يصرار الى تأسيس اتحاد عربي تعاهدي مؤلف من الدولتين السورية والعراقية (أي من أراضي الهلال الخصيب) ينتظم الدواع والثقافة العامة والاقتصاد الوطني . وليس ثمة ما يمنع انضمام الدول العربية

الآخري الى هذا الاتحاد ، على ان تكون رئاسة مجلس الاتحاد العربي دورية او ان تعطى عند الاقتضاء عهديا الى أوسع الدول العربية ثروة ونفوذاً ونفوساً .

المشروع الثاني

مشروع عملي في تأسيس دولة سورية اتحادية
وقيام اتحاد عربي تعاهدي

في حالة عدم تأسيس الدولة السورية الموحدة حالا ، فانه لا يكون متعذراً ان يصرار الى تأسيس اتحاد سوري مركزي (أي دولة سورية اتحادية) ضمن القواعد الآتية الموضوعة في ضوء المصلحة الحقيقية للبلاد السورية ، مع تقدير أوضاعها الراهنة بالإضافة الى مصلحة الحلفاء الحقيقية بالنسبة الى اكتساب الثقة العامة وتسهيل مهمة الدفاع في الشرق الأدنى .

١ — تقوم في الاراضي السورية بمحدودها الطبيعية دولة سورية اتحادية مركزية تنتظم حكومات شرقي الاردن وسوريا الشمالية ولبنان وفلسطين ، عاصمتها دمشق .

٢ — ينتظم الاتحاد السوري المركزي شؤون الدفاع

والمواصلات والاقتصاد الوطني والسياسة الخارجية والثقافة العامة والقضاء الاتحادي ، مع بقاء الاستقلال الذاتي لكل من الحكومات الاقليمية الاربع باستثناء ما يصبح من اختصاص حكومة الاتحاد السوري العامة .

٣ — يكون للاتحاد السوري (مجلس اشتراعي عام منتخب) ممثل للاقاليم المتحدة اتحاداً مركزياً ومنه يكون انتخاب رئيس وزراء الاتحاد واختيار أعضاء السلطة التنفيذية الاتحادية وفق أحكام الدستور .

٤ — يتم الاتحاد السوري بنتيجة مفاوضات واتفاق بين الحكومات الاربع الاقليمية ، وتكون الخطوة الاولى في تحقيقه مفاوضات واتفاق حكومتي شرقي الاردن وسوريا الشمالية .

٥ — تصاغ قواعد وأسس الاتحاد في مشروع دستور اتحادي تضعه لجنة مختصة تمثل الاقاليم المشتركة فيه بفق على عددها وصلاحياتها .

٦ — يسمى سمو الامير عبدالله بن الحسين رئيساً للدولة السورية الاتحادية لعين الاسباب والاعتبارات المبينة في البند ٤ من المشروع السابق ، ويعهد بادارة شرقي الاردن الخاصة الى نائب عن سموه .

٧ — يناقش ويصدق مشروع دستور الاتحاد السوري

من قبل المجالس التمثيلية للحكومات الاقليمية في هيئة مؤتمر او من قبل جمعية وطنية عامة تمثل مناطق الاتحاد تنتخب لهذه الغاية .

٨ — يعلن دستور الاتحاد رسمياً ويعمل به من تاريخ اليوم المعين للتنفيذ وفق المراسم التي تقرر .

٩ — في حالة وقوع انضمام حكومة لبنان او فلسطين الى الاتحاد السوري متأخراً او على أساس تعاهدي فقط ، يصار الى تصديق شروط وحدود ذلك الانضمام من قبل مجلس الاتحاد الاشتراعي ومجلس نواب الحكومة المنضمة الاقليمي — كلا على حدة — ثم يعلن تنفيذ ذلك .

١٠ — إذا تخلفت حكومة لبنان عن الانضمام الى الاتحاد السوري المركزي لأسباب خاصة بها ، فيجب ان تعاد الاراضي السورية الملحقة بلبنان دون رغبة من السكان بالاستفتاء الحر الى سوريا .

١١ — يشترط في انضمام فلسطين الى الاتحاد السوري وبالنتيجة الى الاتحاد العربي العام تحقق الامور الآتية :

(أ) تقوم حكومة وطنية دستورية في فلسطين بحدودها

الحاضرة .

(ب) يبقى العمل بالكتساب الابيض موقفاً على ان يحل محله تفسير رسمي لوعده بلفور من الجانب البريطاني خلال مدة معينة ، وهذا التفسير يشترط فيه إزالة مخاوف العالمين العربي والاسلامي بتأكيد حقوق عرب فلسطين القومية والسياسية في وطنهم الخاص الموروث عن الآباء والأجداد ، بحيث يظل مركزهم القومي مضموناً في فلسطين لا يصر الى انتقاصه عن طريق أية هجرة يهودية او أية اجراءات أخرى ، مع وقف الهجرة اليهودية الاجنبية منذ الآن والاحتفاظ بالحالة الراهنة أي بما انتهت اليه نسبة السكان الحاضرة وهي نسبة ثلث من اليهود الى ثلثين من العرب ، تلك النسبة التي أوجدها منذ نهاية الحرب الماضية حتى الآن هجرة أجنبية متواصلة لم يعترف بمشروعيتها العرب قط . إن مثل هذه النسبة اليهودية الطارئة على فلسطين دون موافقة السكان العرب يجب ان تعتبر كافية في نظر الحكومة البريطانية لتبرير الادعاء بأنها قد أنجزت ما وعدت به اليهود ، لا سيما وهي مرتبطة في ذات الوقت بالتزامات مقطوعة للعرب تتعارض مع وعده بلفور يضاف الى ذلك ما للعرب من حقوق قومية شرعية ثابتة في وطنهم الموروث .

(ج) يراعى في إدارة فلسطين الوطنية المركز الخاص

للاماكن المقدسة .

(د) تعطى المناطق ذات الاكثية اليهودية إدارة لا مركزية تؤكداً لحفظ حقوق الاقلية اليهودية .

(هـ) يبادل الاتحاد العربي العام المواطنين الفلسطينيين من اليهود تعاوناً اقتصادياً نافعاً .

(و) يشترط لاقرار العرب هذه المزايا للاقلية اليهودية في فلسطين إعلان الهيئة اليهودية المسؤولة موافقة اليهود نهائياً على هذا الحل باشعار الحكومة البريطانية ذلك .

١٢ — في حالة عدم حل المشكلة الفلسطينية على هذا الاساس من الجانب البريطاني ، تظل فلسطين خارج نطاق الاتحاد السوري كما يظل العرب كأمة ذات ميثاق قومي وحقوق وطنية مشروعة ، غير معترفين بمشروعية الوضع الراهن لفلسطين ومثابرين على المطالبة بالغاء وعد بلفور ، مع العلم ان المشكلة الفلسطينية هي المنصدر الرئيسي لتسميم العلاقات البريطانية مع العالمين العربي والاسلامي ، ومع العلم ان فلسطين ليست هي المكان الذي يتسع لحل المشكلة اليهودية العالمية . وأنه لني صالح الجميع في رأي أصدقاء بريطانيا العظمى ان تحل المسألة الفلسطينية

كما أوضحنا وهو أوفق ما يمكن ان يرضى به العرب ويكفي أنه في مصلحة السلام والاستقرار والعدل الدولي حاضراً ومستقبلاً كما أنه يقطع دابر الفتنة والشكوك والدعاية المعادية للديمقراطيات في الشرق الأدنى .

١٣ — حال قيام الدولة السورية الاتحادية وفق الاسس المبينة في البنود السابقة يصار الى تأسيس الاتحاد العربي التعاهدي وفق ما ذكر في البند (٥) من المشروع الاول .

١٤ — تعمان المصالح البريطانية والأجنبية في الدولة السورية الاتحادية بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

بسم

(١) المرولة السورية الكبرى

والاتحاد العربي

يا أهل الشام : حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر
الأبيض المتوسط الى أعالي الفرات .

لقد علم الناس جميعاً أن العرب لم يكونوا في نهضتهم المثلى
وثورتهم الكبرى دعاة فتنة او طماعية ، بل دعاة حق وحرية
وسيادة قومية آمنوا بحقهم في الحياة الحرة فامتشقوا الحسام
زيداً عن منهج العروبية والاسلام ، وجعل أولو الرأي منهم
مخطط بلادهم من جزيرة العرب الى أقصى بلاد الشام والعراق
هدف الثورة التحريرية ومحط الأمانى القومية ، مؤمنين بمجادهم
وميراث آبائهم وأجدادهم ، وبما وعد به الحلفاء وفي مقدمتهم
بريطانيا العظمى من تأييد حقهم واحترام إرادتهم ودعم

(١) هو بلاغ للناس ونداء حار ، وجهه حضرة صاحب الجلالة الملك
عبدالله المعظم لأهل الشام — سكان سوريا بمحدودها الطبيعية — في ٣
ربيع الآخر ١٣٦٢ الموافق ٨ نيسان ١٩٤٣ ، ولم تسمح السلطات
المسؤولة في سوريا الشمالية وسوريا الجنوبية (فلسطين) ومصر لمخاطبتها
وصحفيها بأذاعة هذا البلاغ او نشره .

استقلالهم . وقد انتهت الحرب السابقة وللعرب حق جلي كتب بدم الشهداء تحت أعلام البطولة والوفاء .

ولقد أكبر ساسة الحلفاء وقوادهم أثر الثورة في نتائج الحرب فأثنوا على قيادتها الثناء المستطاب ، وكان من نتائج هذا ان استقلت المملكة العراقية واستقل الحجاز الشريف ونجد وكذلك اليمن ، ولم يبق على وضع ممزق وشمل مفرق سوى الديار الشامية ، تفكر بجمع شملها ورأب صدعها وتحقيق مثلها ، وتجهز أبدأ أنها — بحدودها الطبيعية — وطن واحد تجمعها الوحدة القومية والجغرافية والتاريخية ويرويه الفرات والعاصي والاردن شراباً سائغاً لذة لأبنائه ونزلاً له . وانه إذا كان تباين المصالح الخارجية قد أفضى الى تجزئتها وتمزيق وحدتها ، فان مبادئ العدل الدولي وحق الحياة الطبيعي وما وعد به السوريون خاصة والعرب عامة ليحول دون تجزئة البيت الواحد والارض الواحدة والأسرة الواحدة .

يا أهل الشام : حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر الأبيض المتوسط الى أعالي الفرات .

أما والدعوة الى اتحاد الأقطار العربية هي اليوم قول فصل ، فان من صلب هذه الدعوة المباركة أن نجهز بوجوب اتحاد الأقاليم السورية ، وأن يرد الأمر في ذلك الى إرادة الأمة المعلنة منذ

الحرب الماضية والى مصالحها الحيوية وحقوقها الطبيعية
والشرعية .

ها نحن أولاء نذود بالطرق السياسية ، ولما يبدو من بوارق
الرجاء في وعود الحلفاء بحكم جهادنا الماضي وقيامنا الحاضر على
أمر سوريا الجنوبية ، عن إرادتك المعلننة في قرار المؤتمر
السوري العام يوم ٨ آذار عام ١٩٢٠ وعمما حمل هذا القرار
التاريخي ورسائل مكماهون بيتنا الهاشمي من أمانة .

لا جرم أن ميثاق الأمة العربية السورية هو منذ البدء ميثاقنا
ودعوتها الى اتحاد شامل هي منذ البدء دعوتنا . وإذا آلت بنا
الظروف العارضة الى التريث في جزء من أجزاء سوريا الكبرى
فأنا لعاملون اليوم في ضوء ميثاق الديمقراطية الجديد معزراً
بالوعود السابقة واللاحقة على تنفيذ الارادة القومية في أمر
اتحادنا مع الاجزاء السورية الأخرى ، مؤمنين بحق بلادنا
وتأييد قومنا ، مترسمين في كل أثر تاريخنا وجهادنا
وأضواء دموعنا ودمائنا ، غير ناسين صداقة حلفائنا وما
لبريطانيا العظمى من أثر بارز في تأييد القضية العربية ، مقدرين
مع الشكر ما أعلنه مندوب الافرنسين الأحرار عام اول عملا
بالعقائد الافرنسية المجيدة من انتهاء الانتداب عن سوريا ولبنان
وإعلان استقلالها وسيادتها بضمانة الحكومة البريطانية واعتراف

دول أخرى .

يا أهل الشام : حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر الأبيض المتوسط الى أعالي الفرات .

لقد لبثت مصر الشقيقة نداء المبادي* التي أعلنتها الثورة العربية الكبرى ، داعية بلسان رفعة رئيس وزرائها الى عقد مؤتمر عربي رسمي يذلل الصعاب ويهيئ* الاقتراب . فشكراً لمصر الشقيقة شكراً . وان العراق الشقيق لمبادر ، وهو محيط بوجهة نظرنا الخاصة ، الى المشاركة في هذه الدعوة الرسمية ، وهي الدعوة التي مجدها وتنوّم ان يؤيد ميثاق اتحاد بلاد الشام لتتمكن سوريا الكبرى من وقوف أمثل الى جانب اتحاد عربي عام .

ألا وانا لداعون في الوقت نفسه جملة أهل الحل والعقد في بلاد الشام ، الى مشروع وحدة او اتحاد سوري شامل ووطن كامل ، يناقشون أمره في مؤتمر سوري خاص نرحب بعقده في عاصمة بلادنا ، عندما يجتارون وقته وزمانه او يؤيدونه بعد إنعام النظر في مراميه هيئات وفئات - زعماء وعلماء .

ألا ان الحق أبلغ وان الأمر لجد ، وان المستقبل لمشرب الى عمل الناطقين بالضاد في استعادة الاجساد وتحقيق الاتحاد . وان لله عباداً إذا أرادوا أراد وعليه الاعتماد . وصلى الله على سيد العرب والعجم وآله وصحبه وسلم .

معالجة المسألة السورية عملياً^١

الوحدة السورية على أساس الميثاق القومي السوري

عزيزي صاحب الفخامة

أكتب الي فخامتكم مهنئاً إياكم بسلامة الأوبة ، بعد فترة
الاجازة والاستجمام التي قتم بها بإيران ، متمنياً لكم الهناء
والسرور أنى كنتم .

وبهذه المناسبة أحب ان أشير الي فخامتكم بوجهة نظري
بسبب الوضع المعقد الراهن في الديار الشامية ، رغبة مني بتسهيل
الاتصال الأهلي وتعاون الحكومات المدنية لمصلحة الجميع بين
المناطق السورية المختلفة بعد ان انتهى أمر هذه المناطق الي
وحدة القيادة العسكرية العامة بيد بريطانية .

ونظراً لما لوجهة النظر هذه من صلة بمركز الافرنسيين
الاحرار وأمانى سوريا الوطنية ولأستقبالي يوم ١٧ مايو ١٩٤٣
ممثل فرنسا المحاربة — تلك الفئة المناضلة في سبيل تحرير فرنسا —

(١) في مذكرة من حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله العظيم الي فخامة
المنسوب السامي مؤرخة في ١٤ جادى الاولى ١٣٦٢ الموافق ٨ أيار ١٩٤٣

استقبالا ودياً ، أرجو ان يكون ما أبعده الاآن وسيلة حسنة
 للتقرب بين وجهات النظر المختلفة توصلنا الى نتائج عملية نافعة هي
 في مصلحة العرب والحلفاء على السواء ، آملا رفع كل هذا الى
 حكومة جلالته بربطانيا العظمى عن أسرع وأفعل رسائلكم .

تسلمون يا صاحب الفخامة أن جلالته والدي المغفور له (الملك
 حسين) عندما أعلن الثورة العربية التحريرية وكنت من
 دعائها وقوادها ، كانت سوريا بحدودها الطبيعية هدفاً أصلياً
 من أهداف تلك الثورة القومية التي اعترف الحلفاء جميعاً بأحقيتها
 وأعلنوا تأييدهم لها ولإبائها . وكانت ثقتنا عظيمة بعود
 حلفائنا ، والسوريون جميعاً قاموا بتصميمهم من التضحيات
 والنضال القومي ، وقد أعلن مؤتمر العام الممثل لجميع المناطق
 السورية استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية منذ ٨ آذار
 ١٩٢٠ ، وممثل فرنسا يومئذ المسيو (كوس) حضر بالذات
 إعلان ذلك الاستقلال وهنأ به .

ولكن ما وقع أخيراً من سوء تفاهم أوجده عدم اطمئنان
 في غير محلة من الجانبين العربي والافرنسي أدى الى نتائج لم تكن
 شرعية في نظر العرب كما أنها لم تكن في مصلحة الجانبين لانها
 أنتجت تجزئة البلاد السورية لغير مصلحتها ، وأفضى ذلك الى
 عدم الاستقرار وتوالي القلاقل والمتاعب والتجارب .

وبديهي ان هذا المصير لم يرض سوريا ولا الذين جاهدوا من
 أجل حرية العرب ، كما أنه لم يرض أرباب النظر النافذ بريطانيين
 وفرنسيين ، حرصاً على استبقاء الثقة وحسن التعاون بين الشرق
 والغرب . وعدم ارتياح هذه العناصر مجتمعة كان هو الأمل
 الذي يدفع سوريا الى المطالبة دائماً باستقلالها التام ووحدتها الكاملة
 مع مراعاة جميع المصالح عملاً بميثاقها القومي المعلن في ٨
 آذار ١٩٢٠ .

إن أمل سوريا بالاستقلال التام والوحدة الكاملة لم يضعف
 قط ، لأنه أمل مشروع يستند الى وعود رسمية مقطوعة للعرب
 والى شعور السوريين بحتمهم الطبيعي في الحياة الحرة . واذا
 كانت سياسة بريطانيا العظمى التقليدية ما برحت تستهدف الوحدة
 العربية الشاملة ، فان سياسة فرنسا التقليدية كانت تلتقي معها
 دائماً في استهداف استقلال سوريا بحدودها الطبيعية . يضاف
 الى ذلك ان مبادئ العدل الدولي وتقاليد الثورة الافرنسية
 وعود الحلفاء الرسمية السابقة واللاحقة ، كل اولئك كان من
 بواعث تزايد أمل المطالبين عن روية وإخلاص بتحقيق
 الاستقلال مع الوحدة الكاملة لشعب صغير وديع وذوي قابليات
 تمدنية باهرة كالشعب العربي السوري .
 ولقد كان من بواعث ذلك الأمل أيضاً ان الانتداب من

درجة (أ) هو بتمتضي المواثيق الدولية وكالة مؤقتة عن جمعية الامم ، والأصل فيه استقلال البلاد مع المساعدة الزهية لمصلحتها الى ان تقف وحدها متممة بالاستقلال التام . وقد اعترفت فرنسا في حينه ببلوغ سوريا هذه الدرجة ، عندما دعت سوريا الشمالية الى التعاقد معها عام ١٩٣٦ على هذا الاساس ، اقتداء بما سلكته بريطانيا العظمى في كل من العراق ومصر . ولا ريب ان موقف الاحرار الفرنسيين بالنسبة لتأييدهم إعلان استقلال سوريا الشمالية بضمانه الخليفة بريطانيا العظمى ، هو موقف مجيد يتناسب مع التقاليد الفرنسية ، وقد أئبنا على عملهم في بلاغنا المذاع أخيراً على قومنا ، لأن عملهم جاء مؤيداً للاماني العربية وإرادة الشعب السوري ووعود الحلفاء ، وهو جدير بالشكر لا سيما وقد زالت الصفة القانونية للانتداب بزوال جمعية الامم .

ولا ريب ان العرب عامة والسوريين خاصة ينظرون الى المصالح الافرنسية التي لا تتعارض واستقلال بلادهم بعين الصيانة والتقدير الصحيح دائماً . وما ورد في بلاغنا المذاع أخيراً على قومنا ، استناداً الى تصريح وزير الخارجية البريطانية الاخير بشأن الوحدة العربية والى الوعود الاخرى المقطوعة للعرب والى الاماني السورية الوطنية ولما أعلن في سوريا نفسها من قبل الافرنسيين الاحرار بموافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية

قد جاء مؤكداً للصدقة العربية — البريطانية — الافرنسية .
ولذلك شككنا عندما أنبئنا ان السلطات في سوريا الشمالية ولبنان
قد صادرت بياننا ومنعت نشره في الصحف المحلية وتعقبت فعلاً
من وجد لديه ، لا سيما بعد ان كان موقفنا في هذه الحرب
موقف المساعدة الفعلية في الساحة السورية ، كما ان رغبتنا دائماً
كانت هي الحرص على مصالح حلفائنا وأصدقاءنا حرصاً على
حقوقنا ومصالحنا ، وإننا نرى من صالح الجميع ان يكون هذا
الشعور الاكيد متقابلاً .

إن المسألة السورية ليست عويصة الحل طالما النوايا الحسنة
متوفرة لدى الجميع . وحبذا اقتناع ذوي الشأن جميعاً بان عقد
معاهدة تضمن المصالح البريطانية — الافرنسية والمصالح الاخرى
على أساس الوحدة السورية الكاملة وفق الميثاق القومي السوري
المعلن في ٨ آذار ١٩٢٠ ، لا يتعارض مع أية مصلحة من
المصالح البريطانية او الافرنسية . بل حبذا الاقتناع بان عقد
مثل هذه المعاهدة هو التدبير الحكيم الذي يعيد الثقة الى نفس
الامة العربية السورية في الاقاليم السورية جميعاً ويضمن التعاون
الحقيقي والاستقرار الدائم .

إن الخطوة العملية الاولى في الاعراب عن الاستعداد لتنفيذ
مشروع نافع للجميع كهذا تستلزم :

١ - إصدار تصريح رسمي مشترك بتأييد استقلال سوريا بمحدودها الطبيعية او تأييد اتحاد حكوماتها الوطنية الشرعية اتحاداً مركزياً مع التحفظات اللازمة لضمان المصالح البريطانية الافرنسية التي لا تتعارض مع استقلال البلاد ووحدتها او اتحادها . إن تصريحاً كهذا يصح ان يعبر نتيجة طبيعية لوضع البلاد الراهن وليس من فرصة مواتية لاصلاح أخطاء الماضي المتبعة وإرضاء أماني السوريين المشروعة بوحدة بلادهم دون إجحاف بحقوق احد كالفرصة السانحة في الوقت الحاضر .

٢ - أن يقوم تعاون فعلي منذ الآن بين حكومات المناطق السورية والشمالية والجنوبية يضمن حرية السفر والاتصال وحرية الرأي والتبادل ، فلا تتعامل هذه المناطق كبلاد أجنبية مختلفة لما بينها من مصالح حيوية مشتركة وصلات قومية وجغرافية وتاريخية أبدية .

٣ - ان يكون لنا معتمد او بعثة قنصلية في سوريا ولبنان منذ الآن ، وان نتشاور مع سلطاتها المسؤولة في العداير العامة المشتركة ذات الاهمية توثيقاً للتعاون الواجب والصدقة الضرورية في هذه الظروف الدقيقة .

٤ - أن يهيا مشروع المعاهدة بعد تبادل وجهات

النظر الاولية بين ذوي الشأن جميعاً خلال مدة معينة على أساس معاهدة ١٩٣٦ السورية الافرنسية والمعاهدتين المصرية والعراقية ، وان يتولى ذلك مفاوضون رسميون حائزون على الصلاحيات القانونية والثقة اللازمة .

٥ — أن يعتبر نظام الدولة السورية الموحدة او الحكومات السورية المتحدة مسألة سورية محضة تقررها الحكومات القائمة في الاقاليم السورية والشعب السوري نفسه بحرية تامة .

هذه مقترحات أولية أملتها المصلحة المشتركة العامة ، رجا ان تطلع عليها المراجع البريطانية العليا ، وان تؤول قريباً الى محادثات ومفاوضات رسمية منتجة . منتهزاً هذه الفرصة لتكرار الاعراب عن شعور الصداقة لشخصكم الكريم وتأكيد التمنيات الحسنة لبريطانيا العظمى صديقة العرب ، وللديمقراطيات المتحالفة في سبيل حقوق الامم وسلام العالم .

مقدماً لفخامتكم محبتي عزيزي .

(١) الوحدة السورية مطالب قومي أساسي

ومبدأ جوهرى من مبادئ الوحدة العربية

عزيزي صاحب الفخامة

استلمت جوابكم المؤرخ في ٢٢ مايس ١٩٤٣ وسررت لما تضمن من شعور نبيل ، مقدراً وشاكراً اهتمام فخامتكم بعرض ملاحظاتي ومقترحاتي على حكومة صاحب الجلالة البريطانية في أقرب فرصة ، آملاً ان يجد ما أملتة الصداقة الاكيدة والمصلحة المشتركة صداه المرتجى في بريطانيا العظمى .

ونظراً لما ورد في كتابي السابق من إشارة موجزة الى تدابير المنع التي اتخذت إزاء البيان الذي أذعناه على قومنا بصدد الوحدة العربية والقضية السورية العامة ، بحيث قد حال ذلك دون وصول آرائنا وأفكارنا المخلصة وغير المجحفة بحقوق أحد الى أسماع قومنا في البلاد المجاورة الصديقة ، فاني تجلية لهذه الجهة من الموضوع أضيف على ملاحظاتي السابقة الايضاح الآتي

(١) في مذكرة من جلالتة الى فخامة المندوب السامي مؤرخة في ٢٧ جادى الاولى ١٣٦٢ الموافق ٣١ أيار ١٩٤٣

رجاء اعتبار ما سأبديه الآن ملحقاً بذكرتي تاريخ ١٨
مايس ١٩٤٣ .

إن البيان العام الذي أذعناه على بني قومننا وعن عاصمة بلادنا
بهارين ٣ ربيع الآخر ١٣٦٢ الموافق ٨ نيسان ١٩٤٣ قد
تضمن شكر الحلفاء وفئة الاحرار الفرنسية لانتهاجهم سياسة
الوحدة العربية والاستقلال السوري مع تحييد ما دعت اليه
الحكومة المصرية من عقد مؤتمر عربي رسمي يتداول أمر الوحدة.
وقد وجهنا نظر قومننا لهذه المناسبة الى الميثاق السوري المعلن في
٨ آذار ١٩٢٠ من قبل المؤتمر السوري العام الممثل لسوريا
بحدودها الطبيعية ، والى وجوب التشاور بشأن الوحدة السورية
العامية (أي وحدة سوريا بحدودها الطبيعية) على اعتبار أن
أمرأ كهذا هو من صلب الوحدة العربية التي أعلن الحلفاء
ارتياحهم الى تحقيقها من قبل العرب أنفسهم ، وعلى اعتبار أنه
إذا جاز لسوريا الشمالية ان تتحد والعراق او مصر مثلاً كان من
حقها الذي لا ريب فيه ان تتحد وأجزاء سوريا الجنوبية لأنها
منها واليها ولأن الساسة الذين يعرفون مرامي القضية العربية
يدركون جميعاً انه ليس من منطلق الدعوة الى الوحدة العربية
إغلاق الباب على السوريين ان لا يتحدوا في وطنهم الخاص لا
سيما اذا كانت الحكومات السورية الشرعية نفسها او الشعب

السوري نفسه يرون مصلحتهم المشتركة في وحدة بلادهم .
 واتدلفت نظرنا بعد ذلك ان السلطات المسؤولة في سوريا
 الشمالية وفلسطين ومصر لم تسمح لمخطاتها وصحفها باذاعة بلاغنا
 او نشره ، مع العلم أنه ليس في دعوتنا ما يناقض سياسة الوحدة
 العربية او ينافي ما جهر به رئيس وزراء بريطانيا العظمى او
 وزير خارجيتها او ما أعلنته فئة الاحرار الفرنسية او ما دعا اليه
 رئيس الوزارة المصرية .

لذلك ونظراً لثقتنا بخلقنا وبانهم لا يضمرون مقاومة
 شعور العرب القومي وحرية رأيهم السياسي المؤتلف مع الحقوق
 الطبيعية والتعريجات الرسمية ، ولاعتقادنا بحسن مقاصد
 الحكومة المصرية في دعوتها الى عقد مؤتمر عربي رسمي ينظر في
 أمر الوحدة العربية ، كل ذلك لما يوجب علينا بحكم مهمتنا
 القومية والرسمية ان نرجو الاحاطة والاطلاع على أسباب المنع
 الواقع لنكون على بينة من ظروف ذلك المنع . لا سيما ونحن على
 ثقة ان دعوتنا المخلصة قد جاءت مؤيدة لدعوة رفعة مصطفى
 النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية في الوقت المناسب ، وأنها
 كانت ولا تزال جديرة بعطف وتأيد حكومة صاحب الجلالة
 البريطانية . وهذا ما يجعلنا نرجو الآن بالاضافة الى رجاء تسهيل
 دعوتنا المشروعة من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ،

أن تتكرم حكومة جلالته أيضاً بالوساطة الودية لدى الحكومة المصرية والسلطات المسؤولة في سوريا ، رجاء تعديل موقفها بهذا الشأن وإيضاح وجهة نظرهما عن أسباب وظروف المنع الواقع ، وعمّا اذا كان كل منهما يعتبر الدعوة من قبل إحدى الحكومات السورية الاقليمية المستقلة كحكومة شرقي الاردن الى مناقشة مشروع وحدة او اتحاد سوري عام بالطرق المشروعة أصراً مناقضاً لمبدأ الوحدة العربية الذي ترى حكومة جلالته الملك ان العمل لتحقيقه منوط بتبصر العرب أنفسهم .

ولهذه المناسبة أرجو ان تحاط حكومة جلالته علماً ، بانه ليس بصفةتنا وراثاً حقوق الثورة العربية والأمناء على مبادئها القومية فحسب ، بل بما لنا من صفة رئيس دولة سورية اقليمية مستقلة ايضاً ، نتعشم ان يكون رأينا مجحولاً على منتهى حسن النية وعلى المصلحة المشتركة ، عندما نرى ان الوحدة السورية العامة هي مبدأ جوهرى من مبادئ الوحدة العربية ومطلب قومي أساسى يتعلق بمصالح سوريا نفسها ، وكذلك عندما نرى أنه من حقوق السوريين أنفسهم ما داموا متمتعين بحقوق السيادة القومية ومن حق الحكومات السورية الاقليمية المستقلة كحكومة شرقي الاردن ان تجهر بهذا المبدأ وان تدعو اليه بجميع الطرق المشروعة دون ان يقام في سبيل دعوتها أية عقبة من قبل الحكومات

الحليفة او الصديقة . أما إذا كان القرض من هذا المنع إرضاء
 جهة معينة ، فان مصلحة العرب والسوريين في مثل هذا الحال
 تتطلب ان تكون هي الراجحة لدى المناضلين في سبيل الحرية
 وحقوق الامم الصغيرة والكبيرة ، لأن قضية الوحدة السورية
 العامة هي قضية أمة تطالب بحق طبيعي وشرعي . ونحن على
 ثقة ان الحكومات الصديقة جميعا ستقتنع معنا عندما تعيد النظر
 في موقفها ، بانه ليس من المصلحة المشتركة او المبادي
 الديمقراطية المعلنة او مقتضيات الوعود الرسمية المقطوعة للعرب
 عامة والسوريين خاصة ، أن تقاوم دعوة نزيهة كهذه لأي اعتبار
 خاص ، ما دام مرد الدعوة الى حقوق السيادة السورية ومصالح
 سوريا الحيوية المشتركة وإرادة السوريين أنفسهم ، دون أي
 محاسن بمصالح الحلفاء .

وإني في انتظار الردود المرجوة على هذه الملاحظات المخلصة
 من قبل الحكومات الصديقة المشار اليها ، أشكر لحكومة جلالة
 الملك وساطتها المرجوة أيضا لما هي في سبيله من توثيق صلات
 الود والتعاون وحسن العلائق بين المناضلين جنبا لجنب ، في
 سبيل تحقيق المثل العليا للمبادي الديمقراطية السامية .

مقدما لفخامتكم محبتي وأخلص تمنياتي عزيزي .

سوريا ...

كيف تستقل وتدوم وهي مجزأة ؟!

أليس من العجيب ان ترفض سوريا كل انتداب على أثر انتهاء الحرب العظمى الاولى ، وتعلن وحدتها وتختار ملكها وتصر على مبدأها وتقاتل عنه ، فتهاجم فيقضى عليها وتدار أمورها مدة ما بين الحربين بأيد أجنبية وبوحي أجنبي ، فتثور ثورتها المعروفة وتجاهد جهادها القويم ، ثم تأتي اليوم تخالف ذلك المبدأ فترضى بالتجزئة وتسعى لبقاء الحالة الراهنة كما هي ، ضاربة بالشعور الماضي عرض الحائط تاركة ميثاقها القومي ؟!

تالله إن هذا الأمر عجيب ! ...

إن التجزئة الحاضرة هي بعينها تطبيق عهد سايبكس ييكون بعينه . زد على هذا الآن سعي انكلترا لاحتلال النظام الذي أخلت به فرنسا في سوريا باعتدائها الاخير . فبريطانيا التي تعلن أنها نصحت للجانبين السوري والفرنسي بان يتساهلا فيتعاقدا على عهد يحفظ الوداد بينهما ويعطي سوريا استقلالها ويعطي فرنسا

مركزها الممتاز ، جاءت هي فكملت أيدي الفرنسيين وحلت قيود
الوطنيين واستولت بجهوشها على سوريا تديرها لتعيد النظام .
وستظل كذا حتى المؤتمر الثلاثي وحتى تعاهد سوريا ولبنان
فرنسا ، ولا يعلم أحد متى وكيف يتم هذا .

يا قوم ! لا حياة لسوريا وهي مجزأة ... يا قوم إن حياة
الفرد قصيرة وإن حياة الأمم طويلة ... يا قوم ألا تتعظوا بما هو
واقع نصب أعينكم ؟ لقد حرص هتلر على ان يكون أبرز
شخصية في تاريخ البشر ، فدعا أكبر أمة في أوروبا ليقودها
فاستقادت له نخر صريعاً في جداله الظالم وخرت صريعة معه ،
فلم يغن عنه حرصه شيئاً ولم تغن عنه تلك الأمة العظيمة ، لان
عمله عمل باغ ومسعاه لنفسه لا لأمة وشعبه .

يا قوم ! أنتم الذين جئتم لاعادة الحياة البرلمانية إبان الحرب
الحاضرة وفي وقت بعد فيه ميدان الحرب نوعاً ما عن الشرق
الاطوسط ، فقبلتم ما عرض عليكم بحرص شخصي ورغبة ذاتية ،
لتحكموا فتأمروا وتنهوا متكئين على حراب معادية أثبتت تحت
أقدامكم إن تحررتم عليها خرجت من رؤوسكم .

يا قوم ! لم تبوأتم مراكزكم قبل ان تضعوا أيديكم على ما
هو لكم ؟ ولقد نصحك الناصحون حينذاك ، لقد خدعتم يا

قوم او تخادعتم ! إنها يا قوم صنفقة خاصرة ، فماذا أنتم صانعون !
 إن لفرنسا حقاً ممعازاً ، تقول انكلترا أنها لم تنكره ، وتقولون
 أنتم لا تقبلونه ، وأنتم والفرنسيس اليوم في قبضة انكلترا التي
 اشترطت لخروج جيوشها ما يرفضه الجانبان .

يا قوم ! لا نخرج لكم اليوم من هذا المأزق بغير إعلان
 الوحدة وتنفيذها ، فإن هذا العمل يجعل قضية بلاد الشام في يد
 جانبين : العرب أهل الحق ، ودولتي الغرب انكلترا القوية
 وفرنسا الخاصرة . وعالم اليوم ليس هو بعالم الامس ، والحق
 لصاحب الحق ...

